منتديات مكتبة العرب

http://library4arab.com/vb

منتديات مكتبة العرب

http://library4arab.com/vb

مقدمة

العقرب والفاكهة الطرية

بقلم الدكتور علي الراعي

حوالى عام ١٨٦٥ ، حصل هنريك ابسن على عقرب ، اتخذه رفيقا له ، وجعله حشرة أليفة اليه ، يربيها ويرقبها . بل انه رأى فى العقرب بعضا من معنى الرمز ، فقد وجد تماثلا فى الحال بينه وبين العقرب . كلاهما ينشط للرد لدى أقل بادرة هجوم . وكلاهما يفرغ سمه اذا ما تكاثر عليه . يفرغه ويرتاح . وفى هذا يقول ابسن فى احدى رسائله :

« كنت وأنا أكتب « براند » أضع على مكتبى عقربا فى قدح فارغ من أقداح البيرة . وبين الحين والحين كان العقرب يشكو ويتململ ، واذ ذاك أضع فى القدح قطعة من الفاكهة الطرية ، فلا يلبث العقرب أن ينقض عليها فى سورة غضب ، ويفرغ فيها سمه ، ثم تبدو عليه علائم الراحة من جديد . أليس هذا حالنا أيضا ، نحن الشعراء ؟ » .

وكان السم الذى تراكم فى قلب ابسن فى تلك الأيام كثيرا حقا . كان قد أتم كتابه أولى المسرحيات التى لفتت اليه النظر فيما بعد — مسرحية « براند » ، ووافق مرغما على أن تنشر

فى طبعة محدودة ، وبأجر زهيد ، مقابل أن تخرج للناس قبل عيد الميلاد من عام ١٨٦٥ .

واتهى العام والناشر يضرب موعدا بعد آخر لظهورها ، ثم لا يفى بمواعيده . وجاء مارس ١٨٦٦ ، ولم تظهر المسرحية بعد ، فكتب ابسن الى بيت الناشرين جيلديندال ، فى كوبنهاجن، موجها كلامه الى صديقه مدير البيت ، فردريك هيجل ، يشكو سوء حاله .

كان ابسن اذ ذاك فى ايطاليا يعيش هو وزوجته وابنــه سيجورد عيشة الفقر المدقع ، يشترون الخبز بملاليم قليلة ، والجبن الرخيص بملاليم أخرى ، والنبيذ الأحمر السائب (غير المعبأ فى زجاجات) وتطهو الزوجة الطعام فى مطبخ له فرن كفرن الخبازين ، وفى درجة حرارة ثلاثين مئوية !

كتب ابسن يقول لصديقه مدير دار النشر : ان الانتظار قد أضناه ، وان التضحية التى أقــدم عليها (بقبول العرض المتواضع) لم تؤت ثمــارها . وأن القلق قد شله شــلا ، فلا المسرحية تظهر ولا هو قادر على كتابة غيرها . وهو الى هذا لا يجرؤ على مطالبة الحكومة بمنحة تعينه على العيش ، انما كل ما يستطيع أن يفعله هو أن يرجو الناشرين أن يعطوه دفعة على الحساب ، ليس فقط بالنسبة لمسرحية « براند »

التى لم تنشر ، بل وعلى عمل آخر لم يكتب بعد ، وان كان المؤلف يزمع كتابته !

ولم يكن عجبا أن ييأس ابسن من منح الحكومة ، فهو كان قد طالب بهــا عقب اغــلاق مسرح كريستيانيا ، الذى كان مستشارا له ، فلم تجبه الحكومة الى منحــة تفرغ ، وانما اكتفت بهبة مالية صغيرة يجمع بها ألحانا وحكايات شعبية فى منطقة الفيوردات فى غرب النورويج وهى الحكايات التى أفاد منها فى كتابة المسرحية التى أقدم لها هذه المرة — مسرحية بيرجينت .

وفى عام ١٨٦٣ ، طالب ابسن مرة أخرى بمنحة سنوية يعيش منها ويمارس عمله كشاعر ، فأعطى جنيهات قليلة ، عوضا عنها، كمنحة سفر . وقد استغلها الكاتب فى اتمــام مسرحيته : « المطالبون بالعرش » فى شهرين ، ثم سافر الى ايطاليا ، مخلفا وراءه ديونا كثيرة ، بلغ من كثرتها أن ظن صــديق له يدعى دانكر أنه لن يعود ، فباع متاعه بالمزاد العلنى ! وكان بين هذا المتاع استكشات لأزياء ومناظر مسرحية ، وبعض الرسوم الفنية بريشة ابسن ، وفضيات منزلية هى بعض من ارث تخلص الى زوجته . كل هذه ضاعت الى الأبد ، لأن صاحبها العبقرى مفلس ، هارب يستحق أن يعرض فقره عريانا أمام أنظار الناس!

وفى مرة ثالثة ، طالب ابسن حكومة النورويج بمنصب مريح ، يستطيع فيه أن يكتب شعره ويكسب عيشه ، فعرضوا عليه منصب موظف صغير فى الجمارك . ورفض ابسن العرض ، وفضل عليه أن يتضور جوعا .

وواصل من بعد فقره ومسغبته ، يكتب الخطاب الى صديق ، فيرجوه أن يدفع عنه ثمن طوابع البريد ، لدى وصول الخطاب ، لأنه لا يملك ثمنها . ويرجو فى مرة ثانية صديقا آخر أن يتحمل عنه هذا الثمن لأن رسوم التخليص على خطاب أرخص فى الدينمرك منها فى ايطاليا !

ثم يأتى مارس ١٨٦٦ فتنشر « براند » أخيرا ، وتستقبل فى النورويج استقبالا رائعا ، وتطبع ثلاث مرات قبل أن ينتهى العام . وفجأة تقبل الدنيا بوجهها على ابسن ، فتعطيه الحكومة المنحة التى طلبها كشاعر ، وتزيد فوقها منحة للسفر لم يطلبها . وكان ابسن يحب المراهنة ، ولكنه — حتى ذلك التاريخ — لا يجرؤ على الانغماس فيها . فاشترى — بعد أن تبدل حظه — أوراق الياناصيب التى تصدرها الحكومة الايطالية وربح فيها مرتين !

لا جرم أن أحس بالنشوة تملأ فؤاده ، وترفعه عاليا فوق الرءوس ، فنراه فى مايو من تلك السنة يقول فى احدى رسائله:

« قد أخذ النشاط بجماعى وملأتنى القوة ، حتى لأشعر أننى مستطيع أن أقاتل الدببة وأقتلها » .

هنالك جعل يغير ويبدل فى احدى مسرحياته القديمة ، ويغازل موضوعا لمسرحية جديدة (لم يقدر لها أن تكتب) ، ويتأمل كتابة « الامبراطور والرجل من جليل » ثم —فجأة— يأخذ موضوع « بيرجينت » بخناقه ، ويملك عليه لبه .

كان ابسن قد استجاب للتغير البادى فى حاله مع الناس ومع الهه الحظ بتغير مادى ونفسانى ملحوظ . أخذ يهتم بلباسه ، فزاد من أناقته ، وغير من شكل لحيته ، بل غير أيضا من خطه ، وبعد أن كان هذا لا يقرأ تقريبا ، أصبح واضحا عمودى الأحرف .

ثم شملت الكاتب سعادة داخلية ، انعكست على عمله . كانت الجهامة والاصرار القاسى الفؤاد على بلوغ الهدف ، طابع المسرحية السابقة « براند » ، فلانت قاسمت بطل ابسن فى العمل الجديد « بيرجينت » وشملته رغبة عفريتية فى السخرية والضحك من الدنيا ومن الناس ، بل ومن نفسه هو قبل كل الناس ! لكأنما سحرت شمس ايطاليا الساطعة الطبيعة القاسية فى النورويج عن نفسها ، فحولتها ضحكات تتألق ،

وسخرية تلذع ، وشعرا راقصا محلقا ، يتألف فيه الايقاع والقافية ، فيخلقان الجوى الأثيرى المجنح الذى نجده فى شعر ابسن فى « بيرجينت » .

وأكمل ابسن « بيرجينت » فى خريف ١٨٦٧ ، وأخـذ يقرؤها لزوجته وولده بصوت عال ، وكان الولد اذ ذاك فى السابعة . فلما وصل الكاتب الى ذكر الأم آس صاح الولد سيجورد : « الله ! هذه امى ! » وكانت الملاحظة فى محلهـا ، فقد اعترف ابسن فعلا بأنه استعار بعضا من صفات زوجته لدور آس .

وظهرت « بيرجينت » للناس فى كتاب قبل عيد الميلاد من نفس العام . طبعت فى كوبنهاجن ، ونفدت على الفور . غير أن النقاد لم يتفقوا جميعا على مدحها ، سواء فى الدينمرك أو فى النورويج بل ان بعضهم اتخذ منها موقف العداء الصريح وفى النورويج بالذات ، هاجم المسرحية النقاد من كل صـنف . وكتبت احدى الصحف تقول ، وقد لذعت كاتبها نغمة النقد الحرّاق الذى تخلل المسرحية ، ووجهه ابسن الى بنى وطنه : « حق له فعلا أن يضع على مكتبه عقربا ! » .

ورفع العقرب فى نفس ابسن ذيله وتهيأ للهجوم . وبدلا من أن يعود الى النورويج ، أخذ يعد العدة لقتال آخر ، فجاءته

فكرة مسرحية « عصبة الشباب » ورحل الى ألمانيا ، والسم يقطر من روحه .

***

هاجم النـاقد الدينمركى المرموق : كليمنس بيترسن ، « بيرجينت » فقال انها خالية من الشعر ، ثم مضى فاتهم ابسن بخداع قرائه خديعة فكرية . واستبد الغضب بالكاتب الكبير ، فأرسل الى الشاعر والمسرحى المشهور بيورينسون يقول : « لو كنت فى كوبنهاجن ، وكانت لى بالناقد كليمينس بيترسين مالك به من وثيق العلاقة ، لأفنيت عافيته فى قتال ، بدلا من أن أدعه يرتكب هذه الجريمة .. ضد الحقيقة والعدل .. ان مسرحيتى شعر فعلا . فان لم تكن كذلك الآن ، فستصبح شعرا فى المستقبل . سيتغير بفضلها مفهوم الشـعر فى بلادنا ، فى النورويج » .

وقد حدد ابسن مفهوم الحياة والشعر معا فى بيتين هامين قال فيهما :

ما الحياة الا قتال الجن
فى القـلب والفكـر
وما الشاعر الا من حكم على النفس بالحكم النهائى .

وهما بيتان يلخصان موضوع « بيرجينت » ، فى نفس الوقت الذى يلخصان فيه حياة ابسن ذاته .

كان ابسن مسحورا بفكرة المتناقضات الحادة فى روح

الانسان . كان هو نفسه شخصية منقسمة على ذاتها ، فهو عبقرى كبير فى آماله ، وتطلعاته ، وما يأخذ به نفسه من أهداف فى الأدب والفن وحياة الروح ، وهو فى حياته العادية قزم خجول ، كثيرا ما يهبط عن المستوى الذى حدده لنفسه فى الفكر والثورة[1] . وكان بين « الرجلين » صراع مر دام حياة ابسن كلها . صراع بين الوضاعة والسمو فى روحه . كان البشرى العادى فى نفس ابسن يزل ، فيتلقفه المثالى باللوم والتقريع ، بل وبالكى بالنار جزاء ما قدمت يداه . ولا تنتهى المشكلة عند حد الجريمة والعقاب ، بل تبدأ الدائرة من جديد : خطيئة يتلوها ندم . فلا الندم يكفر عن الخطيئة ، ولا الميل الى الزلل يمحوه العقاب . بل ان ابسن كان يكتنز فى صدره ذكريات خطاياه ، ولا يدعها قط تنساب الى ظلال النسيان .

فى سنوات حياته الباكرة ، حين كان الشقاء ضيفا دائما عليه فى جريمستاد ، اتصل وهو فى الثامنة عشرة بخادمة تكبره بعشرة أعوام ، فحملت منه سفاحا . وكان الذنب فى هذا — فى الغالب — ذنب الفتاة . ولكن ابسن لم يغتفر لنفسه قط هذه الزلة ، فقد شملته المعركة بسببها طول حياته . ظل يطوى عليها صدره سرا

(١) كان يسير ذات مرة مع فتاة خطبها لنفسه ، فرآه أبوها ، فأسلم ابسن ساقيه للريح . وبهذا فقد الفتاة الى الأبد .

مغلقا ، وأنفق على ثمرة خطيئته من ماله القليل طيلة أربعة عشر عاما . ثم تخمرت الزلة فى ذاته الفنية واتخذت أشكالا متعددة . هى فى « بيرجينت » تنعكس بوضوح فى العلاقة الشاذة التى أنشأها بير مع ابنة ملك الجان ، فكان ثمرتها أن أولدها ولدا ظلت تطارده به حتى أفسدت حياته القصيرة مع سولفيج فى الفصل الثالث . وهى فى مسرحية « براند » تبدو فى حرمان ابسن لقسه المتجبر من ابنه الذى يحبه . ان الولد يموت وتأتى الغجرية لترث ملابسه وأشياءه الصغيرة الأخرى ، وذلك تكفيرا عن زلة ارتكبتها أم براند ، حين رفضت خطيبا لها ، فتحطم قلبه وذهب من فوره فزنى مع جنية ما لبثت أن ولدت له جيرد ، وهى نصف جنية ونصف بشرية ، ترمز الى الخطيئة التى تشوه جمال المثال . ترمز الى كنيسة الشيطان التى تودى بالكنيسة العظمى التى ظل براند يحلم بها ، وفقد حياته فى سبيلها .

كان ابسن اذن ، يختزن ذكرياته المريرة ، ويشقى بها ، ولكنه يعتصرها مادة لفنه . كان يعيش هذه الذكريات الى الحد الذى تصبح فيه الذكرىَ هى الحياة الحقة ، وتصبح الحياة الواقعة ظلا أو خيالا . كانت الذكريات تسكنه ، كما تسكن الأرواح بيتا مهجورا . لهذا أصبح الماضى بالنسبة له شيئا هاما ، وتشكلت به عواطفه ، وصنعته المسرحية . وفى

هذا يقول ابسن : « الشىء الذى نفقده هو وحده الذى نملكه » . ويقول أيضا : « ما هو كائن لا وجود له . وما ليس كائنا هو الوجود الوحيد » . ويعنى بالقولين اننا اذ نفقد الشىء العميق الأثر فى نفوسنا — عاطفة ، أو شيئا عزيزا أو شخصا نحبه ، يتبلور أساننا عليه الى الحد الذى يتجسد فيه الفقيد داخل أنفسنا ، فيستوى شيئا أو شخصا موجودا بالفعل فى حياتنا وتتجه أفكارنا وعواطفنا اليه حتى يصبح هو والماضى الذى يلفه أهم ما فى حياتنا من وجود . بينما يتضاءل وجودنا فى الحاضر الى مكان ثانوى ، لا أهمية له » .

لكل هذا أصبحت ذكريات ابسن حقائق مجسدة موجودة دائما فى نفسه . أصبحت شخوصا درامية تعيش داخل فكره وقلبه . ودخل الفنان المفكر معها فى صراع مر ، هو الذى يشير اليه الشاعر ابسن حين يقول :

ما الحياة الا قتال الجن فى القلب والفكر .

قتال ، يهز كيان الفنان هزا اذ هو يحاول التصدى للماضى، مناجزا أشباحه ، متحديا اياها أن تقتله والا قتلها .

مثل هذا القتال خاضه براند ، اذ هو يناجز الخطيئة الأولى التى هوت بآدم من النعيم الى الأرض ، فحقت عليه اللعنة . فنرى براند يتحدى آدمية الانسان وضعفه الطينى ، ويطلب اليه أن يرتفع عن الأرض محلقا مرة أخرى فى السماء .

وخاضه أيضا كل من مسز الفنج وولدها اوسوالد ، اذ هما يحاولان الهرب من أشباح الماضى — أخطاء الزوج والوالد ، والميراث الذى تركه الوالد للولد من مرض وسكر ، وأخطاء الزوجة التى تركت نفسها تقع عبدة لواجب مزيف فرضته على نفسها .

ونازل الماضى أيضا روزمير وربيكا فى « بيت روزمير » ووقعا فريسة له فى النهاية ، اذ لم يستطيعا منه خلاصا .

ونازله كذلك پيرجينت وانتصر عليه انتصارا ان يكن مؤقتا فهو على الأقل يغرى بشىء من الأمل .

وپيرجينت شاب قروى ، فقير ، يشعر بالمعرة من فقره ، ويعيش بروحه على الأحلام . هو كذاب جعجاع ، كسول ، ولكن المرء لا يملك الا أن يحبه ، بل ويشغف به . فوراء شطحات خياله المضحكة ، وأكاذيبه التى تثير الأعصاب ، تكمن مأساة الانسان وشاعريته معا : اضطراره الذى لا مفر منه الى العيش فى الواقع الكالح ، وتمرده الذى لا يهدأ على هذا الواقع ذاته . وخلف منظر پيرجينت الرث ، وجبنه البادى وولعه بالشراب ، تطلع جسور الى مثل أعلى يبدو مستحيل التحقيق لمن هو — فى الظاهر — أكثر منه شجاعة . هو يتطلع دون تلبث الى حياة الروح الرفيعة متمثلة فى سولفيج ، ذات

البراءة العذرية والجمال الأزلى ، ولا يتردد فى أن يعرض عليها قلبه وروحه — هو الفقير ، الهزأة — هو الخاطىء العاصى ، هو المجنون الذى لا صبر له على حياة العقلاء .

وهو فى سبيل سولفيج يخوض نضالا روحيا طويلا مع « الجن فى القلب والفكر » . يحارب وضاعته وجبنه ، ونزواته التى تدعوه الى الثورة العارمة ، بلا تعقل ولا تبصر ، كما فعل حين خطف انجريد فى حفلة العرس ، فجلبت بهذا الشقاء على أهلها وعريسها ، وباعد ما بينه وبين أمه ، ونفى نفسه من حياة « العقلاء » فى الوديان الى حياة المتسكعين المنبوذين ، طريدى القانون ، فى أعالى الجبال .

فعل كل هذا لأنه استمع الى صوت « الجنى » فى نفسه ، فشرب وتعارك ، ونسج أكاذيب الخيال ، وجعل نفسه هزأة ، ومضحكة فى حفل العرس ، فلما رأته سولفيج على هـذه الحال ، رفضت أن تتحدث اليه ، أو تستمع الى نداء قلبه ، أو أن تراقصه أو حتى أن تكون معه على وفاق .

هنالك ثار ، وعاقب نفسه ، وعاقب غيره ، فخطف العروس انجريد ، ومضى بها مصعدا فى قمم الجبال ، ليتركها من بعد ، وحيدة ، فريسة لشهواته ، بعد أن قضى منها وطره .

من هذه اللحظة حتى اللقاء الأخير مع سولفيج فى الفصل

الخامس ، يمعن پير فى الطريق المؤدية الى الاستسلام الى رهط الترول [1] ، أى الجن أو الأوهام التى تعشش فى أرواح البشر ، وتمثل فيها قوى الشر التى تشل الارادة البشرية فى كثير من الأحيان ، وتسيطر على أفعال الناس .

وينزلق پير عبر مغامرة هوجاء وليلة عابثة مع راعيات ثلاث للبقر كن على اتصال بمملكة الترول — ينزلق فاذا هو يغازل ابنة ملك الجان ، وتبدو لعينيه مليحة ولطيفة ، رغم ذيل البقرة الذى يلتصق بها . وتقوده الفتاة بعد أن يبذل لها من العهود والمواثيق ما يدير الرأس ، تقوده الى الملك ، الذى يرحب به ، ويرتضيه زوجا لابنته بشروط : هى أن يتطبع بطباع الجان وعاداتهم ومظهرهم (وان كان لايهم أن يعتنق معتقداتهم ، فالمظهر فى مملكة الجان هو العمدة ، وما عداه ثانوى) ، وأن يلصق فى مؤخرته ذيلا ، وأن يفقأ احدى عينيه ليرى الأمور من وجهة نظر الترول .

ويلقن الملك صهره المقبل الفرق بين الترول والانسـان فيقول : ان شعار الترول هو : اجعل فى نفسك لنفسـك الكفاية . أما شعار الانسان فهو : كن أمينا لنفسك .

(١) لا يوجد مرادف دقيق لهذه الكلمة النورويجية فى أية لغة . والمعنى الذى أورده هنا تقريبى .

والفرق بين الشعارين واضح . الأول يدعو المرء الى أن يعيش لذاته ويدافع عن بقائها بالحق والباطل ، لا يهم ان أصبح فى هذا انتهازيا . والثانى يهيب بصاحبه الى أن يستمسك بالمبدأ الشريف ويناضل فى سبيل تحقيقه . انه يدعو الى أن ينتص الانسان لأحسن ما فى نفسه ، وأن يناصر الخير فى روحه على حساب الشر .

الشعاران على هذا هما وجهان للخير والشر فى روح الانسان . والصراع بينهما يستعر طوال المسرحية فى روح بير . وفى هذه اللحظة التى يقف فيها بير أمام ملك الجان ، ملوثا بمغامرته مع راعيات البقر ، منبوذا من قلب سولفيج ، مطرودا من دنيا « الفضلاء » وقارئى الانجيل ، تعلو فى روحه موجة الانتهازية ، ويلوح له طيف الملك والسلطان فاتنا ، مبشرا ، فيقرر أن يعيش مع الجان وينحو نحوهم .

ولكن الثمن الذى يطلبه الملك فادح حقا . انه يريد من بير استسلاما دائما . وبير — ككل انتهازى حق — يود لو يستسلم مؤقتا ، ليعود من بعد الى طريقه المألوف . لذلك، يقول للملك : اذا أنا وافقت على أن تسمل عينى ، فمتى أستعيد

قدرتى الطبيعية على الابصار ؟ ويرد الملك : بل لن تسترد بصرك المألوف قط .

هنالك « يثور » بير جينت على هذا العسف ، ويقرر الهرب من مملكة الجان . ولكنها ثورة انتهازية مفتعلة . هو لا يحارب بها من أجل الشرف ، وانما يريد أن يحتفظ عن طريقها بقدرته على اقتناص الفرص .

هذا هو السر فى أنه يمضى قدما فى طريق الترول ، حتى بعد أن يفلح فى الهرب من مملكتهم . انه — دون أن يدرى — يعتنق شعارهم الذى ثار عليه فى الظاهر . وحين يقابله الترول المسمى بويج (معناه : المنحنى) يلقنه المفهوم الواضح الصريح لشعار الترول . يقول له : لا تتجه قط فى خط مستقيم . وانما در ، وراوغ ، ولا تقرر شيئا . اترك الجسور سليمة وراءك لترتد اليها فى أى وقت . فكر فى الحلول التوفيقية ولا تحسم شيئا .

وحين تعرض لبير فرصة العيش السعيد مع سولفيج (الفصل الثالث) يجد نفسه غير قادر ولا هو مؤهل لتحمل هذا القدر النفيس من السعادة الروحية . ان سولفيج قد تركت الأب والأم من أجله ، وتخلت فى سبيل العيش معه عن كل ما لها . وها هو ذا — بدوره — ابتنى لها فى الغابة بيتا

وهيأ مكانا وثيرا . غير أن شبح خطاياه السابقة سرعان ما يفرق بينهما . ان ابنة ملك الجان لا تلبث أن تظهر له ومعها ثمرة خطيئته : الولد الشائه الذى ولدته له . الولد الذى « خرج من أفكار وشهوات » كما تقول أميرة الجن .

ويتذكر پير ما قاله له البويج : در دائما وراوغ ، واترك وراءك الجسور سليمة لترتد . ويجد أن الطريق المستقيم بينه وبين سولفيج غير مهيأ — الآن على الأقل — فيقرر أن يكون انتهازيا مرة ثانية ، ويترك سولفيج بدعوى أنه غير أهل لها .

على أن پير كان يكذب على نفسه — كدأبه حتى الآن . فليس صحيحا أن الطريق الى سولفيج لم يكن مهيأ ، فما كان أهون عليه — لو أراد — أن يندم على ذنبه ويعلن — مخلصا — توبته . هو نفسه يقول هذا حين يشير الى آية فى الانجيل تحض على الندم والتوبة . ولكنه فى حقيقة الأمر لا يريد . ان ظهور أميرة الجن وابنها ان هو الا رمز لعودة قوى الشر فى نفسه الى السيطرة عليه . فكأنه وقد ابتنى لسولفيج البيت ، وتهيأ الظرف لتوبة وتبتل — كأنه قال فجأة ، وقد مالت فى نفسه كفة الانتهاز: ومالى أتوب الآن وما زالت فى العمر بقية لمزيد من امتاع الذات ؟

هنالك تلقف پير عذر كل جبان مخاتل تطبق عليه فرص

الخير اطباقا فيفر منها ، ويزعم أنه غير جدير بها ، فترك سولفيج وما ضحك ، وهرب ، مرجئا فرصة التوبة الى وقت آخر !

وتموت أمه آس فى نهاية هذا الفصل ، فينقطع عنه ، من تلك اللحظة ، عون المرأتين اللتين ناصرتاه دائما ضد كل الدنيا ، وضد شرور نفسه . ويقول پير « لكارى » ، للمرأة التى صادقت أمه وعاونتها حتى الممات : احرصى على أن تدفن أمى فى شرف . ثم يمضى عنها وهو يقول : سأركب البحر . وتسأله المرأة : أتذهب هكذا بعيدا ؟ فيقول : بل وأبعد .

وبعيدا حقا ذهب پير ، ممعنا فى الطريق ! لقد أصبح من بعد رأسماليا كبيرا ، وتاجر عبيد ، وموردا للأصنام ، ومنافقا باسم المسيح فى ربوع الصين ، كما ناصر الاستعمار على ضحاياه ، وباع السلاح لمن يملك الثمن ، وادعى النبوة ، وعبد الجسد ، وصلى للشهوات وانتهى به المطاف فى مستشفى للمجاذيب بالقاهرة ، حيث أطبق عليه النزلاء وأوقعوه فى الوحل ، ووضعوا على رأسه تاجا من قش ، وأعلنوه امبراطورا لعبّاد بالذات !

وبهذا حقت عليه لعنة الشعار الذى اتخذه هاديا : « اجعل من نفسك لنفسك كفاية » .

***

ويعود بير جينت من أسفاره الطويلة الى النورويج — عجوزا ، لوحتـه صروف الزمن ، وقست ملامح وجهـه ، وانطوى — أكثر مما كان — على ذاته . يعود بلا قلب ، الى مسقط رأسه ، ومهد طفولته ، لينكر على الناس أن يكون لهم أولاد ، ما دام هو لا ولد له . وليعلن أنه يستحق الحياة — هو العجوز — قبل الشباب ، لأنه لم يبق له فى العمر طويل بقية .

ويقابله الموت فيطالب بجسده ، ولكن بير يفر منـه ، مستعيذا ، ساخطا ، ويقابله أيضا صانع الأزرار ، ويلح عليه فى أن يسلمه روحه ، لتلقى فى مغرفة الصهر ، ويعاد تشكيلها من جديد ، بوصف أنها بضاعة تالفة ، لم يحسن مصنع الحياة اخراجها ، فلم تبلغ هدفا ، وأصبح حتما أن تصهر من جديد .

ويدخل الاثنان فى نقاش طويل ، يحاول صانع الأزرار أن يثبت به أن بير جينت قد كان مجرد خاطىء تافه ، لا يحسب له حساب . وهو من أجل هذا لا يستحق الخلود فى نار جهنم ، شأن العصاة الكبار ، وانما يليق به فقط أن يعود الى مادة الخلق الكبرى ، ويندمج بها ، فاقدا بهذا كيانه وشخصيته وفى هذه اهانة ما بعدها اهانة لإنسان أفنى عمره فى عبادة ذاته وتوكيدها على حساب كل القيم وكل الناس .

وازاء هذا المصير المفزع ، تصح توبة بير جينت ، بعد أن

تتبين له النتيجة المحتومة لكل عابد لذاته . بعد أن يعرى البصلة من قشرها فلا يجد لها جوهرا ، وبعد أن يصلى دوما فى معبد الذات فينهد المعبد عليه ، وينتهى أمره الى مغرفة صانع الأزرار.

هنالك تتبدى له سولفيج من جديد . يسمع غناءها هو وصانع الأزرار ، فيقوى قلبه ، ويتبين طريقه اليها — الطريق المستقيم ، الذى يدُورُ ولا يراوغ ، وانما يقرر ويتجـه الى تنفيذ القرار .

وتحتضنه سولفيج ، وقد أضحت الآن امرأة عجـوزا ، وتضمه الى صدرها ، وتغنى له أغنية من أغانى الأطفال . أجل فهو الآن طفلها الذى طال ضلاله وتنكبه للطريق . وهى الآن امرأته وأمه معا . هكذا يدعوها بير ويضيف انها امرأة مقدسة ، ويهيب بها أن تخبئه — من الموت والفناء — فى ثنايا حبها .

وتنتهى المسرحية وقد مالت كفة الميزان لحساب الخير ، وحلت المتناقضات فى روح بير .

ولكن صانع الأزرار ما زال يلح :

سنلتقى فى آخر مفترق للطريق يا بير . واذ ذاك نرى .

نرى ماذا ؟ لا يقول صانع الأزرار ، وانما يلتحف بالصمت البليغ .. !

لعله يريد أن يقول : نرى ما اذا كان حب سولفيج لك ، والتجاؤك اليها قادرين على انقاذك من مغرفة الصهر !

***

فى پير جينت لمحات قوية من دون كيشوت ، وفاوست . وله أيضا وثيق الصلة بالقس الجهم براند ، فى مسرحية ابسن التى تحمل هذا الاسم .

وهو كذلك يرمز للانسان ، مثلما ترمز اليـه شخصية هامليت .

له من دون كيشوت شطحات الخيال التى تجعلنا نتراوح بين الهزء به والعطف عليه . وله أيضا ما للفارس الأسبانى من تعلق ساذج مؤثر بالمثل الأعلى الجميل الذى يسـعى وراءه وتناله فى سبيله الاهانات ، بل وتدمع عينه ويسيل دمه فداء له .

وله من فاوست هذا الميثاق الذى يعقـده كلاهما مع الشيطان ، لقاء متع الدنيا ولذة الجسد . وله كذلك ضـجر فاوست بحياة الناس العادية الرتيبة ، وتطلعه الى حياة أسمى منها وأمتع ، وانقسام روحه بين الأرض والسماء والسعى الدائب وراء هدف مستحيل البلوغ ما دامت روح الانسان تسكن فى هيكل من لحم .

وفى حياة كل من فاوست وپير مثل أعلى للجمال الذى

يتناهى حتى يصبح قدسية فى حياة فاوست هيلين وفى حيـاة پير سولفيج . وكلاهما قد ارتكب الخطيئة ووقع فى براثن الشر، غير أنهما قط لم يغب عن بصرهما طويلا طيف الحق والخير .

أما ما يربط بين پير جينت وبراند فهو عـلاقة النقيض بالنقيض براند جهم قاسى الفؤاد ، يسعى الى هدفه فى خط شديد الاستقامة ، ويبلغه على أشلاء حبه وحطام قلب أمه ، وجثة ابنه ، وحياة زوجته . أما پير ، فهو يظل يدور ويدور طوال حياته ، حتى يوشك أن يتلف فليجأ فى اللحظة الأخيرة الى الطريق المستقيم . وهو غير نافر من متع الجسد والقلب ، ولا هو شاك السلاح دائما فى سبيل الدفاع عن مبدأ يراه بوضوح ويؤمن به .

انه فى تردده ، وبحثه الروحى والفكرى الطويل ، أقرب ما يكون الى هامليت . هو كالأمير الدينمركى فى مخـاوفه وتردده ، وفى حيرته على مفترق عديد من الطرق . وهامليت ينحو نحو پير — وان اختلف المعنى — حين يقطع الحلقة المفرغة بحد سيفه ، ويمضى أخيرا الى الطريق المستقيم — طريق الفعل، بعد أن ظل طريق الفكر سبيله الوحيد .

***

قال ابسن فى وصف مسرحية « پيرجينت » انها نبتت

من تلقاء ذاتها بعد مسرحية « براند » . ولعله بهذا كان يشير الى حقيقة بعينها ، وهى أنه هنا ، وفى هذه المسرحية فقط ، قد أطلق العنان لخياله ، وترك نفسه على سجيتها ، فاذا به يكتب متأثرا بشمس ايطاليا الساطعة ، وبالحظ الذى كان قد تحول اليه ، فتخرج من قلمه قصيدة درامية مليئة بالحياة ، استمد بعضها مما جاء فيها من تجارب شبابه ، ورسم أمه فى شخصية آس [١] ، وأخرج صورا كاريكاتورية لبعض شخصيات عصره، ثم ملأ مسرحيته بكثير من الاقتباسات من أعمال أدباء آخرين مثل هانز كريستيان اندرسون وبيورنسون ، وجوته ، مما دفع نقادا من أمثال « بول » ومارتن لام الى تسجيل شدة وثوق ابسن من اصالته ، واعتماده الكبير على قدرته على اظهار هذه الاصالة ، وسط هذا الحشد الواضح من الاقتباسات من من أعمال الأدباء وأقوالهم الى جوار العديد من آيات الانجيل. والواقع أن أصالة ابسن تبدو فى هذه المسرحية فى أسطع وأنصع صورها .

أما السبب الأساسى فى هذا فمرده الى شخصية پيرجينت

(١) هكذا يقول ابسن نفسه . ولكن راجع ما تقدم من وصف ابنه سيجورد لشخصية « آس » بأنها صورة من أمه ، أى زوجة ابسن .

نفسها . انها الى جوار ما تقدم ذكره من انتماءات الى شخصيات أدبية عالمية ، تمثل الشخصية النورويجية ، خير تمثيل . ويذكر ابسن انه وصل اليها عن طريق شىء من تحليل الذات . أى أنها تمثله هو الى جوار انها تمثل مواطنيه . وقد حصل ابسن على اعتراف صريح بنسب پيرجينت وأصله النورويجى ، فى رد الفعل العنيف الذى أحدثته المسرحية فى النورويج . لقد اعتبرت سخرية من الشخصية القومية للبلاد ، وتحير موقف الناس منها بين الاعجاب والسخط الشديد . الاعجاب بالقروى الشاعر الكذاب ، الذى يشتعل خياله لأقل بادرة ، فيجمل الواقع بالأكاذيب الساحرة ، ويحيل القصص القديمة المتهالكة جديدة فتانة بمجرد روايته لها . والسخط الشديد على هذه الصفات نفسها ، وعلى ما جاء فى المسرحية من سخرية شديدة من رجل الأعمال الناجح ، الذى يبدأ عصاميا ، ثم ينقله نشاطه، وذكاؤه ، وقدرته الخارقة على سرقة اللقمة من أفواه ضحاياه الى مرتبة الرجل العظيم المحترم .

لقد كان ابسن شديد الرغبة فى فضح هؤلاء الناجحين ، بدليل ما فعل فيما بعد بكل من هيلمر (بيت الدمية) وبيرنيك (أعمدة المجتمع) كما كان دائب السخرية من مواطنيه فى النورويج ، الذين كانوا يتطلعون الى محاكاة جارتهم البعيدة

الناجحة : بريطانيا . فكان يقول : ان أهل النورويج يريدون أن يتنازلوا عن انسانيتهم ويصبحوا انجليزا !

ولكى يضمن ابسن مسرحيته المعانى الكثيرة التى أشرت الى بعض منها لجأ الى أسلوب الحكاية الخرافية فى بناء مسرحيته . اننا لا نجد هنا البناء المحكم الذى اشتهر به ابسن، وانما طريقة سهلة هينة فى اختيار الأحداث وفى نمط تتابعها . فالمشاهد التى يغلب عليها الرمز ، مثل مشهد مملكة الجان ، ومشهد صانع الأزرار ومشهد المسافر الغريب فوق السفينة وفى الزورق ، تتساوى فى الأهمية المعطاة لها مع المشهد المؤثر الذى يدور بين بير جينت وأمه حين تحضرها الوفاة ، ومع تلك التى تدور بين بير جينت وأنيترا ، أو بينه وبين مجانين القاهرة، أو مع مشاهد أخرى قصيرة مثل مشهد اللص وبائع المسروقات.

كل هذه المشاهد تتتابع فى سهولة ظاهرة ، وبغير ارتباط واضح ، ولكنها فى الواقع لازمة جميعـا لنقل المعنى الكلى للمسرحية . والتفاعل الذى يتم بين بعضها البعض هو الذى يضفى على المسرحية كل هذه الحيوية التى نحسها فيها ، ويخلع عليها السذاجة اللذيذة التى تبدو هنا ، خاصة فى مشاهد الفصلين الأول والرابع حيث يجرى بير وراء أفكاره النشوى المجنونة

ويخلط الفعل بالخيال ، والخيال بالفعل ، فنتتبع مغامراته فى الحالين فى نشوة كبرى .

أجل هى نشوة كبرى تلك التى أبدعت هـذه المسرحية الفذة ، وجعلتها شعرا لذيذا مطلقا ، يتفق ومفهوم الشعر عند كاتبها . ألم يقل ذات مرة : ما الشعر الا أن ننظر حوالينا ونرى — نرى بنشاط ؟

وأى نشاط يفوق ذلك الذى نجده فى « بير جينت » ؟

علی الراعی

الفصل الأول

المشهد الأول

المنظر : قرب مزرعة آس — يرى تل تعلوه أشجار الغابات وتتساقط منه مياه جدول جبلى . فى الجانب الآخر طاحونة عتيقة . يوم قائظ من أيام الصيف . بير ، جينت ، وهو شاب قوى البنية فى نحـو العشرين . يهبط التل من أحد الممرات . تتبعه امرأة ضئيلة الحجم ، هزيلة ، وعليها امارات الغضب . انها آس ، أم بير .

آس : بير ، أنت تكذب .

پـير : (دون أن يتوقف) ماذا ؟ أنا ؟ أكذب ؟

آس : قسم اذن أنها الحقيقة .

پـير : أقسم ؟ لماذا أقسم ؟

آس : اخـص ، أنت مفـزوع ! أكاذيب ، أكاذيب ، أكاذيب ! هذا كل ما فى الأمر .

پـير : كل ما قلته هو الحق الصريح .

آس : (تواجهه) تقدر أن تنظر فى وجهى دون خجل ؟ أولا ، وموسم العمل على وشك المجىء ، تهرب

بالأسابيع سعيا وراء نزواتك الراقصة فى الجبال، تسرق غزال الرنة فى الجليد ! غير أنك تعود وقد مزقت منك الثياب — فأين صيدك ؟ وأين سلاحك ؟ تظن أنك تستطيع خداعى بقصص للصيد سخيفة مخترعة ! قل لى أين رأيت هذا الغزال ؟

بيير : قرب جيندين .

آس : (فى ضحكة هازئة) معقول هذا !

بيير : كنت مختبئا فى دغل ، محتميا به من ريح مثلجة . وكان هو راقدا فى الجليد ، يبحث عن نبت يأكله .

آس : (نفس الهزء) لا يا شيخ !

بيير : كتمت أنفاسى ، ووقفت أستمع ، فوصلنى صوت حوافره تأكل فى الجليد . ثم رأيت قرونه العظيمة، فزحفت ببطىء على بطنى ، متجها الى أمام . كانت الأحجار الصغيرة الناعمة تغطينى . فأخرجت رأسى من مخبئه . يا له من غزال ! ناعم لماع ، مكتنز الشحم ! لم أكد أصدق عينى .

آس : لم تكد !

بيير : بانج ! أطلقت عليه رصاصة . وقع الغزال بكل ثقله بين الأحجار . وفى غمضة عين كنت راكبا على كتفيه ، ممسكا باذنه اليسرى . واذ أنا موشك أن أغمد سكينى فى نحره — هى ! ، هب الوحش البغيض واقفا وصرخ ، ثم دفع برأسه فى الهواء وقذف بالسكين من يدى قذفا ، ثم اذا هو يستل قرونه ويخزنى بها حتى الصلب ، ويمسك برجلى فى قبضة من فولاذ . ثم انطلق مسرعا كالبرق ، بحذاء حافة جيندين .

آس : (دون وعى) يا اله السموات !

بيير : أتعرفين الحافة ؟ تمتد نصف ميل من بدايتها حتى المنتهى ، حادة كأنها المنجل . والى أسفل ، وراء الثلاجات ، خلف المنحدرات والوديان العميقة الشهباء ، ترين على الجهتين ، على منخفض مقداره ألفا قدم وأكثر ، مياه البحيرات الصامتة المتأملة . بحذاء هذه الحافة شققنا طريقنا فى كبد السماء ، أنا والغزال . يا لها من رحلة ، ويا له من جواد ! على البعد البعيد منا كانت الشمس تشرق على الثلاجات وفى الفراغ المخيف الذى

انعقد بيننا وبين تلك البحيرات المظلمة بدا لنا أن نسورا مذهبة تهيم فى الهواء ثم تسقط مبتعدة كأنهـا ذرات الغبار تسبح فى ضـوء الشمس . وكانت هيرات الثلج تزمجر وهى تسقط ، ولكن صوتا ما لم يصلنى ، فقد كان جن الجبل يمرقون من حولنا ، راقصين ، مغنين ، دائرين سابحين ، كأنما هم سكارى ، فحجبوا عنى البصر والسمع معـا .

آس : (توشك أن يغمى عليها) آه ، يا رب رحمتك !

پـير : وفجأة هب طائر عظيم من طيور القطا ، ناهضا فى الجو من مخبئه الحافل بالخطر ، على شـفا صدع كبير فى الجبل ، وتحت أقدام الغـزال تماما . هب مصوتا ، ضاربا الهواء بجناحيـه العظيمين ، فزعا . ودار الغزال حواليه ، ونهض برجليه الأماميتين ، ثم قفز قفزة فاذا بنـا معا مندفعان فى الفضاء المخيف .
(تتعثر آس وتمسك بجذع شجرة) . خلفنـا الحائط الجبلى العملاق ، وتحتنا هوة بلا قرار! مررنا فى سـقوطنا بطبقـات من السحاب ، ثم اخترمنا قطيعا من طيور البحـر ، كانت تزعق وتدور حولنا ، ففرقناها ودفعنا بها فى مهب الرياح الأربع . وما زلنا نسقط ونسـقط ، فى سرعة ما برحت تزداد ، وفى أسـفل سافلين كان شيء يلمع ، ضاربا للبياض . آه يا أمى ، كان هـذا الشيء خيالنا وقد انعكس فى مياه بحيرة الجبل . كان يصعد الينا وكنا فى الوقت نفسه نهوى اليه، ونحن نقترب من الماء .

آس : (منبهرة الأنفاس) بير ! ارحمنا يا رب ! أكمل سريعا !

پـير : والتقى الغزال القادم من الجو بالغزال الساكن فى الأعماق ، وارتطمنا فى صوت عظيم ، ودفعا بزبد الماء أميالا عديدة فى دائرة كبيرة . وهكذا وصلنا ، ونحن أقرب الى الغرقى منا الى الأحياء . ثم استطعنا أخيرا أن نهـرول الى الشـاطىء الشمالى . سبح الغزال وتعلقت أنا به بكل قواى الى أن — ها أنذا !

آس : ولكن أين الغزال ؟

پـير : الغزال ؟ ربما لا زال هناك .

(يفرقع بأصابعه ، ويدور على قدمه) .

حلالى بلالى[1] ! اذهبى وانظرى بنفسك .

آس : ولكن كيف لم يدق عنقك ؟ رجلاك سليمتان . انك حتى لم تكسر عمودك الفقرى . لله الحمد ! لنسبح بحمد الله فى فرح ، فقد حمى ابنى العزيز! سروالك ! .. انه حتى لم يتمزق ! ولكن هذه نقطة فرعية ، ما دمت قد نجوت من شر ما كان يتأتى من سقطة مخيفة كهذه !

(فجاة تتوقف ، وتحدق فيه مفتوحة العينين ، والفم ، وقد انعقد لسانها ، ثم تصيح فجأة أيضا).

آه ، أيها الكذاب ! آه ، أيها الشيطان ! آه ، يا الهى ! يالها من أكاذيب ، يالها من أكاذيب ! تذكرتها الآن جميعا ! أسمعت هذه القصة أول مرة عندما كنت فتاة عذراء . هذه القصة الخرافية التى حكيتها لى الآن ، حدثت بحذافيرها لرجل يدعى جودبراند جلسن ، ولم تحدث لك .

---

(١) تعبير دارج يقابل تماما العبارة الانجليزية الدارجـــة ، findings keepings التى يســـتخدمها النص
ومعناه : حلال لى أن أتملك ما أجده صدفة . (المترجم) .

پــير : بل لى أنا أيضا . وما دام هو فعلها ، فلم لا أفعلها أنا ؟

آس : (مغضبة) آه ، شد ما تستطيع تجميل أكاذيبك، وطلاءها ، والباسها الزاهى من الثياب ، لتخفى جلدها المتعفن وعظامها البارزة . فى هذا تنفق وقتك ، تبنى قصورا فى الهواء ، مخترعا ومتخيلا، راكبا جناح نسر ، أو مطلقا أكاذيبك بالشمال وباليمين ، مهــرفا بكل فارغ من الكلام حتى ليختلط الأمــر على مستمعيك ، فلا يعــودون يدرون أحقيقة ما تقول أم خيالا .

پــير : لو غيرك قال هذا ، لما أضعت وقتى فى التردد ، اذا لالقيته على الأرض من فورى .

آس : (تبكى) آه يا ربى ، يا ليتنى مت قبل هــذا ، ووريت أعمق التراب ! حتى الدموع والصلوات لا تترك فيه أثرا . أنت ملعون — هذا كل ما فى الأمر .

پــير : يا أعز الناس — يا أمى الصغيرة المليحــة كل ما تقولينه صحيح ، ولكن لم الأسى ؟ هــونى عليك !

آس : اسكت ! أهون على ؟ وكيف تأتينى السعادة ؟ ربيت خنزيرا ولم أرب ولدا . يا لها فضيحة صارخة أبدية ، أن تضطر أرملة فقيرة عزلاء الى الاطراق خجلا من أعمال ابن لها .

(تعود الى البكاء) .

ماذا بقى من المال الكبير الذى كان يملكه جدك الغنى ؟ أين النقود السائلة التى تركها رازماس جينت ؟ طارت ، اختفت ، بددت ، ذابت ! سالت كالرمل خلال أصابع أبيك ذى اليد المبسوطة . اشترى أرضا هنا ، وأرضا هناك ، وأرضا فى كل مكان . وركب عربة مذهبة يجرها جوادان . أين الآن ما أنفق فى تلك الوليمة المشهورة أقامها ذات شتاء ، حين شرب المدعوون وألقوا وراءهم الأقداح فتهشمت على الحائط ؟

پير : أين ثلوج شتاء مضى ؟

آس : احفظ لسانك حين تتكلم أمك . انظر حواليك الى منزلك البديع . نصف نوافذه لا يسدها الا الخرق ، وأسواره وأخشابه المحيطة وأعشابه كلها جاثية على الأرض . والماشية فى العراء دائما، هبت الريح أم سقطت المطر ، والمروج لا تمسها يد العناية قط ، وكل شهر يقع على رأسنا حجز جديد .

پير : كفى عن النواح والعويل . أنت تعلمين أن المصائب لا تأتى فرادى . قد أدبر الحظ عنا ولكنه سيعود .

آس : والأرض التى كانت كثيرة الخصب ، أضحت الآن ملحة . ولكنك تتبختر وتختال ، متألقا ، راضيا ، رشيقا مثلما كنت يوم جاء ذلك القس من كوبنهاجن وسألك عن الاسم الذى عمدت به ، اذ ذاك أقسم القس أن أكثر أهل البلدة علما خليقون أن يحسدوننا على ابننا هذا اللامع الذكاء . واستخف الطرب أباك فمنح القس جوادا ثم عربة انزلاق ، تحية منه لتباسطه . فى تلكم الأيام كان كل شىء على ما يرام . كان رجال الكنيسة ورجال الجيش ، وكل ذى سمعة وجاه يغشون بيتنا دواما ، يأكلون ويشربون حتى تكاد تنشق منهم البطون . الفقر يرينا حقيقة الناس . ما أن أعرضت عنا آلهة الحظ ، وولت أكياس أموالها حتى أصبح هذا البيت قبرا مهجورا .

(تجفف عينيها بمريلتها) .

وأنت أيها الفحل المفعم صحة ، كان من واجبك أن تكون لى عكازة أتوكأ عليها وأنا فى هذه السن الطاعنة . كان من حقى عليك أن تشتملك المزرعة ، وتشغلك عن نفسك ، وبهذا ترعى ميراثك وتحفظه .

(تعود الى البكاء) .

الله يعلم قلة ما تقدمه لى من عون ، أيها المتشرد ! حين تكون فى البيت تأخذ تقلب نار المدفأة — هذا كل ما تفعل . تخيف من البنات من تلقاهن فى حفلات الجيران ، وتضحك علينا الناس ، وتتعارك مع كل من يصادفك .

پير : (مبتعدا عنها) اسكتى ، يا أمى .

آس : (تتبعه) وفى ذلك العراك الأخير الذى شب فى لوند فى حفلة للتسابق على الشراب ، أصحيح أنك كنت قائد تلك الجماعة التى تنازعت كالكلاب ؟ أتنكر أنك أنت الذى كسرت ذراع الحداد « أسلاك » أو أنك — فى القليل — أصبته بخلع فى اصبعه ؟ .

پير : من ذا الذى أرجف لك بكل هذا! ؟

آس : (فى انفعال) زوجة العامل الزراعى . لقد سمعت الصرخات .

پير : (يدلك كوعه) كنت أنا الذى صرخ .

آس : أنت ؟

پير : نعم ، أنا . أنا الذى ناله الضرب .

آس : ما هذا ؟

پير : هل شعرت بوطأة عضلاته ؟

آس : عضلات من ؟

پير : عضلاته . عضلات أسلاك . أنا شعرت بها !

آس : يا رحمة الله ! انك تحملنى على التقيؤ . هذا الكسول السكير ، الخبيث النظرات ، هذا العاطل المخمور المخبول ، هذه الكتلة اللحمية الفارغة العقل ، قد ضربك هكذا .

(تأخذ فى البكاء من جديد) .

قد تحملت بسببك العار واحتقار الناس ، ولكن هذه ، هذه ضربة أكبر من أن أحتمل . وبفرض

أن عضلاته قوية ، هل يليق أن تبدو أنت رخوا غبيا هكذا ؟

پـير : أنت لا يهمك ضربت أم ضربنى الناس ، المهم عندك أن تبكى . (يضحك) هونى عليك ، يا أمى !

آس : كنت تكذب على ! هيه ؟

پـير : نعم . هذه المرة كذبت . جففى دمعك وكفى عن البكاء .

(يقبض يده اليسرى) .

انظرى . بهذه الكماشة التى يشكلها ذراعاى أمسكت بالحداد وثنيته . كانت ذراعى اليمنى مطرقتى الكبرى .

آس : يا وغد ! ستدفع بى الى القبر بأعمالك المجنونة هذه .

پـير : لا ، لا ! بل أنت تستأهلين مصيرا أحسن من هذا ، أحسن منه عشرين ألف مرة ! حبيبتى ، أمى الصغيرة البسيطة ، أنت لا شك خليقة أن تثقى بى . ستنحنى لك الناحية كلها ، لأميال عدة،

وتنكس لك الرأس يوما ما . انتظرى فقط حتى آتى شيئا عظيما حقا ! .

آس : (فى احتقار) أنت ؟

پـير : من يدرى ماذا يخبىء الغيب .

آس : لو أوتيت من العقل ما يعينك على رتق فتوقك ، لحمدت الله وشكرته .

پـير : (فى انفعال) سأكون ملكا . سأصبح امبراطورا .

آس : يا اله السموات ، أوشك المسكين أن يفقد عقله على قلته !

پـير : أمهلينى قليلا فهذا كل ما أسأل .

آس : المثل يقول : لو أمهلتنى قليلا لطاولت السماء .

پـير : مهلا ، يا أمى .

آس : اسكت ! أنت مجنون ! ولكنك كنت جديرا أن تصبح شيئا مذكورا ، لو لم تضيع الوقت بانيا قصورا فى الهواء — فتاة هجستاد كانت تريدك، وكنت خليقا أن تظفر بها لو أحسنت التصرف .

پـير : تظنين هذا ؟

آس : أبوها العجوز لا يقوى على مقاومة نزواتها . حزمه لا يتعدى حدا معينا ، بعده تحصل الفتاة على

ما تريد . وأيان تسير أنجريد ، ينقل أبوها وراءها الخطو ، وهو حريص .

(تأخذ فى البكاء من جديد) .

آه ، يا بير ! انها تفرز ذهبا ! انها وارثة ! تصور لو أنك كنت عقدت العزم ، لأصبحت الآن عريسا ذا شأن ، بدلا من المتشرد القذر ذى الرائحة الذى أنت هو الآن .

پير : (فى انتفاضة) هيا معى . سأجد فى طلبها من الآن.

آس : الى أين ؟

بير : الى هجستاد .

آس : يا ولدى المسكين . لم يعد الطريق خاليا الآن للمحبين .

پير : ولم ؟

آس : آه ، يا الهى ، بى رغبة فى البكاء ! لقد ضاعت منك الفرصة !

پير : ولم ؟

آس : وأنت تهيم فى طرقك الجبلية ، وتركب الغزلان صاعدا فى السماء جاء « مادس موين » وظفر بالفتاة !

پير : ايه ؟ هو ؟ ذلك المغفل ! ذلك الهزءة !

آس : نعم ، هذا هو الرجل الذى ستتزوجه .

پير : انتظرى ، فسأذهب أعد المهرة والعربة .

(يتحـــرك) .

آس : اقعد مكانك ، فالعرس يقام غدا .

پير : وأى بأس ! سأصل هناك الليلة .

آس : ستزيد الطين بلة . ستنالك الاهانة فوق ما أصابك من جراح .

پير : هونى عليك ! الأمور ستسير وفق المرام . اعداد المهرة يستغرق وقتا طويلا .

(يزعق ويضحك فى آن واحد) .
على اســتعداد يا أمى ؟ سنترك العربة جانبا .
(يمسكها بين يديه) .

آس : أنزلنى !

پير : لا ! سأحمل أمى الى حفل الزواج .

(يخوض بها الجدول) .

آس : النجدة ! آه ، ارحمنا يارب ! بير ! اننا نغرق !

پير : أنا لا أغرق ! ولدت لأموت ميتة مجيدة .

آس : صحيح ! سيهتز جسمك فى عود المشنقة يوما من الأيام .

(تشد شعره) .

پــير : كفى عن التملص . فالقاع هنا زلق !

آس : يا حمار !

پــير : قولى ما بدا لك . فما على الحديث حرج . لا العصى ولا الحجارة تنال منى أو تكسر لى عظما . الآن ، الآن ، يصبح القاع أقل غورا !

آس : لا تنزلنى !

پــير : شيه ، حا ! هل نلعب لعبة بير والغزال ؟ (يركض كالفرس) أنا الغزال وأنت بير .

آس : سيغمى على . أين أنا ؟ يا الهى !

پــير : الآن ، الآن . وصلنا الشط الآخر . (يصعد جانب الشط) الآن أعطى الغزال قبلة طويلة أخرى ، واشكريه على هذه الركوبة اللطيفة .

آس : (تعرك أذنه) هذا هو الشكر الذى تستحقه منى .

پــير : آى ! يا له من جزاء لطيف .

آس : أنزلنى !

پــير : الى حفل الزواج أولا ! أنت تحسنين الكلام ، فحاورى هذا الرجل الأخرق ، قولى له أن « مادس موين » من السكر لا يفيق .

آس : أنزلنى !

پــير : اظهرى له حلاوة من اللسان . بينى له فضائل ابنك .

آس : من هذه الناحية ، اطمئن . فسأصورك فى خير صورة . سأقول له كل ما أعرف عن ابنى الذى لا نفع فيه . صدقنى ، لن أدخر وسعا .

پــير : حقا ؟ اذن ، اذن !

آس : ولن أكف حتى يطلق الرجل عليك كلابه كما يطلقها على اللصوص .

پــير : فى هذه الحال ، سأذهب بمفردى .

آس : فى هذه الحال ، سأتبعك .

پــير : أمى العزيزة ، أنت لا تقوين .

آس : سترى ! اننى فى حال تجعلنى أطحن الصخر فأحيله مسحوقا ! ها ! أحس أن فى امكانى أن آكل الزلط نفسه ! أنزلنى !

پــير : هيه ، هل تعدين .

آس : لا ، بل سأذهب معك . سأشرح للحضور جميعا حقيقة أمرك !

پـير : اذن تبقين فى المكان الذى أختاره لك .

آس : أبدا ! بل أسير وراك .

پـير : لا ، لا ، لن تفعلى !

آس : وكيف تمنعنى ؟

پـير : سأضعك فوق السقف .

(يضعها فوق سطح الطاحون . تصرخ آس) .

آس : أنزلنى !

پـير : تسمعين كلامى اذن ؟

آس : لا !

پـير : أمى العزيزة ، اسمعى نصيحتى .

آس : (تلقى عليه حفنة من الحشائش) .
أنزلنى توا ، يا بير .

پـير : لا أقدر ، لا أجرؤ ، والا لفعلت .

(يقترب) .

الآن ، اذكرى ، أرجوك ، ان عليك أن تقبعى فى سكون . لا تحركى ساقيك ، لا تنتقلى أنملة ، لا تمزقى قش السقف ، والا وقعت ثم —

آس : أيها الوحش الفظيع !

پـير : لا تضربى برجلك !

آس : وددت لو كانت العفاريت خطفتك ، كالطفل البديل ، من وجه الأرض .

پـير : يا للعـار !

آس : ياه !

پـير : كان أجدر بك أن تمنحينى بركتك وأنا مقدم على رحلة مجهدة كهذه . هل تفعلين ؟

آس : بل سأضربك كما يضرب الطفل ، وأنت كبير وفحل هكذا .

پـير : اذن ،وداعا ، يا أمى العزيزة . كونى صبورة ! لن أغيب طويلا !

(يروح عنهـا ، ولـكنه يستدير ويرفع اصبعه محذرا) .

تذكرى ! أهدئى كما يهدأ الفأر فى جحره !

آس : بير ! يا رب ارحمنى ، لقـد ذهب ! يا راكب الغزلان ! يا كذاب ! هوه ! هل تصغى الى ؟

لا ، لقد ذهب ، راح عبر الحقول — (تصرخ)
أوشك أن يغمى على ! النجدة !

(تقترب من الطاحـون عجوزتان تحملان غرارتين على ظهريهما) .

العجوز الأولى : من هذه التى تكاكى كالدجاج ؟

آس : أنا !

العجوز الثانية : آس ! لقد ارتفع مقامك فى الدنيا !

آس : الدنيا ؟ بل سأصعد الى السماء قريبا !

العجوز الأولى : رحلة طيبة !

آس : علىّ بسلم ! انزلانى . ملك الأوغاد هذا ...

العجوز الثانية : ابنك ذاك ؟

آس : قد رأيتما بأعينكما كيف يفعل بى .

العجوز الأولى : سنشهد عليه .

آس : أعينانى على النزول . سأذهب الى هيجستاد من فورى .

العجوز الثانية : هل ذهب بير الى هناك ؟

العجوز الأولى : اذن فستأخذين بثأرك . ان الحداد سيحضر حفل الزواج .

آس : (تعصر يديها) آه ، ارحمنى يارب ! يا لولدى المسكين ! سينتهى الأمر بقتله .

العجوز الأولى : سمعتهم يلمحون لهذا مرارا . لا تقلقى ، فسرعان ما يصلك النبأ اليقين .

العجوز الثانية : العجوز قد فقدت عقلها . هذا واضح .
(تزعق حتى يبلغ صوتها التل) . أيفينـد ، أنديرس ! هيه ، أقبلا !

(تزعق حتى يبلغ صوتها التل) . أيفيند ، أنديرس ! هيه ، اقبلا !

صـوت رجل : ماذا جرى ؟

العجوز الأولى : انظر ، بير جينت قذف بأمه الى السقف .

الفصل الأول : المشهد الثانى

المنظر : منحدر مغطى بالعشب والشجيرات . خلف المنحدر ووراء سور ، يجرى الطريق العام . يظهر بيرجينت سائرا فى الممر ، ثم يتجه الى السور مسرعا ، ويدقق النظر فى الأفق .

بـير : هيجستاد أخيرا ! سرعان ما أصل . (يطوح باحدى ساقيه عبر السور ، ثم يتردد) . ترى هل أنجريد بمفردها فى حجرتها ؟ (يحمى عينيه من وهج الضوء بيده ويدقق النظر الى أمام) . لا ! بل سيهومون حولها بهداياهم كما يهوم الذباب . خير لى أن أعود من حيث أتيت . (يسحب ساقه) انهم سيضحكون منى من وراء ظهرى ، وسوف تسم همساتهم لحمى كما يسم الحديد المحمى اللحوم .

(يبتعد خطوة من السور ويهرش رأسه مفكرا) .

ما حاجتى الحقة الا لشراب طيب قوى . ربما استطعت أن أنزلق داخلا دون أن يرانى أحد ! من أسف أنهم يعرفوننى جميعا ! شراب قوى

جدا هو خير ما أسعى اليه ، واذ ذاك لن تفعل بى سخرياتهم شيئا .

(يتلفت حواليه فى انزعاج ، ثم يختبىء وراء بعض الشجيرات . يمر به اناس يحملون هدايا العرس ، متجهين الى المزرعة) .

رجـل : (محدثا غيره) قضى الشراب على أبيه ، أما أمه فكلبة قذرة .

المـرأة : لا غرو أن يكون الابن من هو .

(يمضيان . بعد قليل يخرج بير من مخبئه ، تعلو وجهه حمرة الخجل . ينظروراءهما) .

بـير : أنا الذى يعنيان بهذا المديح ! (يهز كتفيه) ليكن ! لا يهمنى ! لم أسمع قط عن رجل قتلته الاشاعات .

(يرمى نفسه على العشب ويظل راقدا على ظهره بعض الوقت ، ويداه مشبكتان خلف رأسه ، وهو ينظر الى السماء) . يا لها سحابة غريبة الشكل ! تبدو كجواد منازل . وهذا رجل ممتط صهوة الجواد ، وذاك سرج ولجام . ثم عجوز طاعنة فى السن ، تمضى وراءه راكبة مكنسة .

(يبتسم لنفسه) .

انها أمى ! انها تلوم وتصرخ : « أيها الوحش ! أنت هناك ، يا بير ! » .

(تنغمض عيناه تدريجيا) .

انها الآن تنكمش . يخيل لى أنها خائفة . فى المقدمة يركب بير جينت ، وخلفه حشد هائل من أعوانه . لجامه من الفضة ، وجواده ينتعل الذهب . يلبس قفازين هائلين ويحمل سيفا وغمدا . أما عباءته الفضفاضة فمزينة بغالى الحرير . انهم كالأمراء رفعة شأن ، أولئك الذين يسيرون فى ركابه ! ولكن أحدا منهم لا يمتطى جواده فى نبل كما يفعل بير — ليس منهم من يلتمع مثله فى ضوء الشمس . ومئات فوق مئات من الناس يصطفون على جانبى الطريق ، يقذفون بقبعاتهم فى الهواء من فرط الفرح . النساء تنحنى محييات . فمن ذا الذى لا يعرف الامبراطور بير جينت والآلاف المؤلفة من رجاله؟ انه ينثر الفضة على طول الطريق ، وقطع النقود تنتشر هنالك كالزلط . وفى ثوان ، يصبح الكل

أغنياء كالنبلاء . ثم يركب بيرجينت البحار ويصعد الى السماء ، وعلى الشاطىء ينتظره أمير انجلترا ، ومن حوله أجمل فتيات البلاد وكبار رجال انجلترا ، وملك انجلترا العظيم ، يهبون واقفين حين يهل عليهم بير جينت . ويخلع الملك تاجه ويتحدث فى احترام :

(يظهر « أسلاك » الحداد ، ومعه آخرون ، فى الناحية المقابلة من السور) .

الحداد : انظروا ! هذا بير جينت ! الخنزير فاقد الوعى من الشراب مرة أخرى !

بير : (ينتبه فجأة فزعا) يا صاحب الجلالة .

الحداد : (يتكىء على السور ويضحك) ألا تستطيع أن تنهض ، يا بنى ؟

بير : اللعنة ! انه « اسلاك » ماذا تريد ؟

الحداد : (للآخرين) أنها أعقاب حادثة لوند .

بير : (يقفز واقفا) انصرفوا !

الحداد : لا تخش شيئا . لن نبقى . ولكن أين كنت ، يا رجل ، أين كنت مختبئا ؟ لقد غبت ستة أسابيع! هل احتجزتك الجن ؟

پـير : أنا نفسى مندهش مما فعلت هذه الأسابيع .

الحداد : (يغمز لمرافقيه) اذن حدثنا !

پـير : لا فائدة ! لن تفهموا قط .

الحداد : (بعد فترة) ذاهب الى هيجستاد ؟

پـير : لا .

الحداد : طالما قالوا ان انجريد بها أكثر من صبوة اليك .

پـير : أيها الغراب العجوز القذر .

الحداد : (يوشك أن ينصرف) لا تفقد أعصابك . اذا كانت أنجريد قد هجرتك فغيرها كثير . لا تنس أنك ابن الثرى الأمثل . تعال معنا الى المزرعة ستجد هناك بنات فى مرح الحملان ، وأرامل ناضجات ، ينتظرن القطاف .

پـير : اذهب الى الجحيم !

الحداد : ستجد واحدة أو أخرى ترضى بك . طاب مساؤك . سأحمل تحياتك للعروس .

(ينصرفون ضاحكين متهامسين . يحدق بيرجينت فيهم لحظة ، ثم يضرب برأسه ويستدير نصف استدارة) .

پـير : من جهتى أنا ، تستطيع أنجريد أن تتزوج من تريد . لا يهمنى هذا ببصلة !

(يتفحص ملابسه) .

سروالى ممزق ، وملابسى أسمال ! لو أننى فقط حصلت على بدلة جديدة !

(يخبط الأرض بقدمه) .

شد ما أنا مشوق الى أن أسن سكين جزار ثم أقطع بها هذه السخريات من قلوبهم !

(ينظر حواليه فجأة) ما هذا ؟ من هناك ؟ سمعت شخصا يضحك فى خفوت . أكاد أقسم أننى سمعت شيئا ! لا بد أننى واهم . علىَّ أن أعود الى أمى .

(يأخذ يصعد التل ، ثم يتوقف ثانية ويصغى ، وهو مسدد أذنه فى اتجاه المزرعة) .

الآن يبدأ الرقص .

(يضنى عينيه وأذنيه تحديقا واصغاء ، ثم يسير ببطء فى الطريق يمسح يديه فى سرواله) .

بنات ، يا لهن بنات ! سبع أو ثمان لكل رجل ! اللعنة ! سأذهب ، لا أقدر أن أضيع حفلة ! ولكن أمى ستبقى معلقة فوق السقف .

(تهيم عيناه فى اتجاه المزرعة . يقفز ويضحك
اصغ ! العشاء والسمر ! لقد أضفوا عليهما حياة
ومرحا ! وجوتورم موفق تماما فى العزف على
كمانه ! ان نغماته تبرق وتزأر كمياه الشلال . ثم
هاته البنات ، هاته البنات الرائعات ! اللعنة !
سأحضر الحفل ، لا يمكن أن تفوتنى حفلة !

الفصل الأول : المشهد الثالث

المنظر : فناء فى هيجستاد . المزرعة تبدو فى الخلف . الفناء يملؤه الضيوف ، والرقص يدور على الحشائش . عازف الكمان يجلس على مائدة ، ومشرف الحفل يقف بالباب . العذارى يرحن ويجئن بين الأبنية . العجائز متحلقون يتناقلون الاشاعات . احدى النساء تنضم الى جماعة تجلس على كومة خشب .
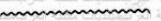
المرأة : العروس ؟ انها طبعا تبكى قليلا . ولكن منذا الذى لاحظ هذا ؟

مشرف الحفل : (لجماعة أخرى) هيا ، يا سادة ، افرغوا كئوسكم . فما زال الكثير فى الزجاجة .

رجل : شكرا ! ولكنى أجد صعوبة فى اللحاق بك !

الشاب : (يمرق أمام عازف الكمان ممسكا بيد فتاة) واصل العزف بنفس الهمة يا جوتورم ، أعزف حتى تنفجر !

الفتاة : اعزف واعزف ، وخل التلال تردد نغماتك .

فتيات : (متحلقات حول فتى يرقص) انه بارع الرقص، أليس كذلك ؟

الفتــاة : ساقاه طويلتان جدا !

الشــاب : (وهو يرقص) ، وما الضرر ، والسقف عال والغرفة كبيرة .

(يقترب العريس من والده ، وهو يكاد يبكى . الوالد يتحدث الى اثنين من الضيوف . العريس يجذب والده من كمه) .

العريس : أبى ، حاولت ، ولكنها لا تستجيب . انها متكبرة

الوالد : تستجيب لماذا ؟

العريس : لقد ذهبت فأغلقت وراءها الباب .

الوالد : ولماذا لا تذهب فتبحث عن المفتاح ؟

العريس : لا أدرى أين أبحث .

الوالد : أنت مغفل كبير .

(يلتفت للضيفين . العريس يسير تائها) .

شــاب : (قادما من خلف المنزل) بير جينت قدم اتوه . سيصبح الموقف مدعاة التسلية .

الحداد : (وقد وصل من فوره) ولكن من الذى دعاه ؟

المشرف : هذا ما أود أن أعرفه !

(يتجه صوب المنزل) .

الحداد : (للفتيات) تجاهلنه ، يا بنات ، لو حاول التودد اليكن .

الفتــاة : (للأخريات) من جهتنا نحن ، هو لا وجود له !

(يدخل بيرجينت متدفقا بالحياة . يقف بازاء الجماعة ويفرك يديه) .

بــير : من أبرع الراقصات هنا ؟ من منكن سريعة القدم؟

الفتــاة : (وقد اقترب منها بير) غيرى .

فتاة اخرى : ولا أنا .

فتاة ثالثة : ولا أنا بكل تأكيد .

بــير : (لرابعة) تقدمى أنت اذن ،، قبل أن تظهر من هى أبرع منك !

الفتــاة : (توليه ظهرها) لا وقت لدى .

بــير : (لخامسة) أنت ، اذن !

الفتــاة : حان وقت الرحيل .

بــير : الرحيــل ؟ مبكرا هكذا ؟ لا يحسن أن تذهبن جميعا !

الحداد : (بعد لحظة ، وفى صوت خفيض) . انظر ، يابير ، لقد ذهبت مع هذا العجوز الأجرب !

پـير : (يلتفت مسرعا الى رجل عجوز) أين تجلس الفتيات ؟

الرجل : اذهب وتبين بنفسك .

(ينصرف الرجل . يفقد بيرجينت حيويته فجأة . يرمق الجماعة فى خجل ، مختلسا النظر . الكل ينظر اليه ولكن لا أحد يكلمه . يدنو من جماعات أخرى . الصمت الحجرى يقابله فى كل مكان . وكلما غادر مكانا ابتسم الناس وتابعوه بالنظر)

بـير : (فى صوت خفيض) نظراتٌ سُود ، وأجوبة حِدَاد ، وبسماتٌ تعال ! هُزء ! انهم ينشزون ، كما ينشز المبرد على سلاح منشار .

(ينكمش عند السور . تدخل سولفيج بصحبة الصغيرة هيلجا ، ومع الاثنين والدا سولفيج) .

رجل : (لرجل آخر قريب من بير جينت) هؤلاء جيراننا الجدد .

الرجل الثانى : القادمون من الغرب ؟

الرجل الأول : من هيدالين .

الرجل الثانى : آه . أجل . أنت على حق .

(يقترب بيرجينت من القادمين ، ويشير الى سولفيج ثم يسأل أباها) .

پـير : تسمح بأن أراقص ابنتك ؟

الرجل : (فى هدوء) أجل ، بالتأكيد . ولكن ، لندخل أولا لنحيى صاحب الحفل .

(يدخلون) .

المشرف : (يعرض على بير شرابا) ما دمت قد جئت ، فلا بأس أن تشرب شيئا من هذا .

پـير : (يسدد النظر خلف القادمين) لا . شكرا . لست ظمآنا . انما جئت لأرقص .

(ينصرف المشرف . ينظر بير الى البنت ويبتسم) .

كم هى مليحة ! لم أر أخرى فى ملاحتها ! عيناها تغضان النظر ومريلتها ناصعة البياض ! والطريقة التى أمسكت بها ثوب أمها ! وحملها لكتاب الصلاة فى طيات منديلها ! لابد أن أراها ثانية .

(يتجه ليدخل المنزل . يخرج من المنزل عدد من الشبان) .

الشـاب : ماذا ، أترحل هكذا سريعا ؟

بـــير : لا .

الشــاب : اذن قد فقدت الاتجاه .

(يمسك بكتفيه ويحمله على الاستدارة)

بـــير : دعنى أمضى .

الشــاب : آه . فهمت ! أنت خائف من الحداد !

بـــير : أنا ؟ خائف ؟

الشــاب : أجل ، ان حادثة لوند لم تنقض بعد .

(تضحك الجماعة ، ويتجــه افرادها الى حلبة الرقص) .

سولفيج : (وهى بالبــاب) أظن انك أنت الذى طلبتنى للرقص .

بـــير : طبعا ! لا يمكن أن تكونى نسيتنى — هيه ! تعالى !

سولفيج : أمى قالت لى لا تذهبى بعيدا .

بـــير : أمى قالت ، أمى قالت ! انت ابنة الأمس ؟

سولفيج : تسخر منى !

بـــير : الظاهر انك ما زلت طفلة ! لم تكبرى بعد .

سولفيج : قد ثبت فى الربيع الماضى .

بـــير : أخبرينى باسمك ، ترتفع بيننا الكلفة .

سولفيج : اسمى سولفيج . وما اسمك ، من فضلك ؟

بـــير : أنا بير جينت .

سولفيج : (تسحب يدها) آه ، يا الهى !

بـــير : أى عيب فى هذا ؟

سولفيج : قد انفك رباط جوربى . لابد أن أعقده .

(تبتعـــد عنـــه) .

العريس : (يجذب اليه أمه) — حاولت ولكنها لا تريد —

الأم : لا تريد ماذا ؟

العريس : لا تريد ، يا أمى !

الأم : ماذا ؟

العريس : لا تريد أن تفتح الباب .

الأب : (فى صوت خفيض ، غاضب) الولد لا يصلح الا لاطعامه بالملعقة !

الأم : لا تلم المسكين هكذا ، سرعان ما ينصلح حاله .

(ينصرفان . يقترب أحـــد الشبان من بير ومعه جمع من الناس) .

الشــاب : براندى ، يا بير ؟

بـــير : لا ، شكرا !

الشــاب : هيا ، هيا ، قليلا فقط .

بـــير : (ينظر اليه فى تشكك) ألديك براندى اذن ؟

الشـــاب : ربما نعم ، وربما لا !

(يجذب زجاجة من جيبه ويشرب) يا له من مذاق يبعث النشوة ، هيـــه ؟ .

پـــير : صحيح ؟ اعطنى قليلا ! (يشرب) .

الشاب الثانى : جرب شيئا من هذا ! خذ لك جرعة طيبة !

پـــير : لا !

الشاب الثانى : سخف ! ماذا حدث لك ؟ لم تكن أبدا تتباطأ هكذا فى الشراب .

پـــير : اذن جرعة واحدة ، لا أكثر (يشرب ثانية) .

الفتـــاة : (فى صوت منخفض) يجب أن نذهب .

پـــير : أنت تخافيننى .

شاب ثالث : ومن ذا الذى لا يخافك ؟

شاب رابع : رأينا منك أشياء فى لوند . بدا منك ما فتح منا العيون .

پـــير : أفعل أكثر من هذا ، اذا ما أردت .

الشـــاب الأول : (هامسا) ويبدو أنه يريد الآن ، صدقونى !

عدد من الشبان : (يتحلقون حوله) هيا ، اجعلها قصـــة تشـــق الجنوب ! قل لنا ما تستطيع أن تفعله .

پـــير : غـــدا .

عدد من الشبان : بل الآن

فتـــاة : هل تتقن السحر الأسود ؟

پـــير : استحضرت العفريت المشهور !

رجـل : جدتى فعلت هذا قبل أن أولد .

پـــير : كذاب ! لا أحد سواى يتقن هذه اللعبة . قد أدخلت الشيطان فى بندقة ! بندقة أتلفها الدود .

عدد من الشبان : آه ، هذا واضح !

پـــير : أخذ الشيطان يلعن ، ويصرخ ، وحاول جاهدا أن يرشونى بهذا وذاك —

واحد من الجمع : وهل أكرهته على دخول البندقة ؟

پـــير : طبعا . ثم سددت الثقـــوب بدبوس يا الهى ! لو سمعتم كيف أز وكيف هدر !

فتـــاة : كان يمتعنا أن نسمع ؟

پـــير : طبعا . كان كالنحلة الهائلة !

فتـــاة : ولكن أين هو الآن ؟ ما زال داخل البندقة ؟

پـــير : لا ، لا . استطاع الافلات من فوره . وهذا هو الذى يجعل الحداد يكرهنى الى الآن .

شـــاب : صحيح ؟

پـــير : ذهبت للحداد وقلت له : دق لى هذه البندقة .

فقال على العين والرأس ! أمسك بالبندقة ليسحقها . ولما كان قبيح الحركة كدأبه دائما ، فقد أرجح المطرقة فى الهواء كما هى عادته .

صوت من بين الحافرين : وهل قتل الشيطان ؟

پـيـر : هوى بالمطرقة كالمجنون ، ولكن الشيطان خرج فى عاصفة من اللهب — واخترق السقف والحيطان .

جمع من الناس : والحداد ؟

پـيـر : فغرفاه ، وتحرقت يداه كالروستيف ! ومن يومها أصبحنا عدوين .

(الجميع يضحكون) .

جمع من الناس : قصة طريفة !

آخرون : من أحسن قصصه .

پـيـر : تلمحون الى أننى اخترعتها ؟

رجـل : لا ، أبدا ! لا يمكن أن تكون اخترعتها . هذه احدى قصص جدى التقليدية .

پـيـر : يا كذاب . لقد حدثت لى .

الرجل : لن نجادل اذن .

پـيـر : (ضاربا برأسه) ماذا تظنون ، اننى أستطيع أن

أصعد فى الجو على ظهر جواد . عشرات من الأشياء لا تحيط بها أفهامكم أستطيع أن آتيها .

(انفجارات أخرى بالضحك) .

احد الحافرين : هيا اذن ، واركب الهواء !

كورس من الناس : هيا ، هيا ، أيها العزيز !

پـيـر : فى الوقت الذى أحدده أنا . فكفوا اذن عن الرجاء والسؤال . سيأتى يوم أركب فيه ، كدوامة الهواء ، فوق رؤوسكم جميعا ، واذ ذاك ستسجدون بين يدى .

رجل عجوز : جنونه بين !

آخـر : فقد عقله .

ثالث : المدعى !

رابع : الكذاب !

پـيـر : (مهددا) عليكم بالانتظار ! وعوا كلامى !

رجـل : (نصف سكران) احفظ أنت كلامى هكذا . سأعطيك علقة تدفىء سروالك .

كثيرون غيره : علقة كبيرة ممتازة . وعينان سوداوان من الضرب !

(ينصرف الجمع ، الكبار فى السن منهم غاضبين ، والصغار ضاحكين أو مستهزئين) .

العريس : (قرب پير) اسمع ، يا پير ! أصحيح انك تركب الهواء ؟

پير : صحيح طبعا يا مادز . أستطيع أن أفعل الكثير .

العريس : أعتقد أن لديك سترة الاخفاء ؟

پير : تقصد طاقية الاخفاء . طبعا !

(يترك العريس . تقطع سولفييج الغناء ، وفى يدها هيلجا . يتجه بير اليهما . تبدو الحياة فى عينيه أكثر تألقا)

ها قد عدت يا سولفيج ! أنا سعيد ! هيا نرقص .

(يمسك بمعصمها) .

سأريك كم أنا رشيق الحركة .

سولفيج : دعنى أذهب من فضلك .

پير : أتركك تذهبين ؟

سولفيج : أنت حاد الطبع !

پير : كغزال الجبال حين يقبل الصيف ؟ هيا يا فتاة ، ولا تكونى عنيدة .

سولفيج : (تجذب منه ذراعها) لا أقدر لا ، لا أجرؤ .

پير : ولم ؟

سولفيج : كنت تشرب (تذهب مع هيلجا) .

پير : لماذا لم أشهر سكينى وأرشقها فيهم كلهم — أجل — فيهم جميعا ؟

العريس : (يلكز پير بكوعه) يا ليتك تساعدنى على أن أدخل حجرتها .

پير : (فى غياب ذهن) حجرة العروس ؟ أين هى ؟

العريس : فى الغرفة العلوية .

پير : آه ، فهمت !

العريس : انها أهون أفعالك عليك . حاول .

پير : أن أدخل بعروسك ؟ هذا شىء تفعله أنت بنفسك .

(فجأة ، تلمع فى رأسه فكرة . يتحدث برقة ، ولكن بلهجة ذات مغزى) .

انجريد فى الغرفة العلوية ! .

(يذهب الى سولفيج) .

هل غيرت رأيك ؟

(تحاول سولفيج أن تذهب . يسد عليها الطريق) .

أنت خجلانة منى ! أبدو كالمتشرد !

سولفيج : لا أبدا . ليس صحيحا ! لم أفكر فى هذا قط .

پـيـر : بل أنا أبدو كالمتشرد فعلا . وأكثر من هذا ، أنا سكران قليلا . كنت مغتاظا . لقد أغظتنى . لهذا شربت والآن هل .. ؟

سولفيج : آنا خائفة . وحتى لو ..

پـيـر : خائفة ؟ ممن ؟

سولفيج : من أبى قبل غيره .

پـيـر : أبوك ؟ فهمت ! انه رجل مستقيم ! هل يحكم البيت بعصا من حديد ؟ أجيبينى .

سولفيج : وماذا أقول ؟

پـيـر : هل يغنى فى فريق الانشاد الكنسى ؟ وأنت وأمك كذلك ؟ هل أنتم جميعا سواء ؟ لماذا لا تجيبيننى؟

سولفيج : أرجوك أن تدعنى أذهب !

پـيـر : (فى صوت خفيض يتهدد) لا ، لن أفعل ! أستطيع أن أحول نفسى الى جنى ! وعندما تدق الساعة الثانية عشرة سأكون فى غرفتك ، وستسمعين صوتا غريبا ، صوت يفح ويبصق ، قرب سريرك، ولن يكون صادرا عن قطتك ، انما هو صوتى أنا ! سأنزح دمك من عروقك وأفرغه فى كأس ، وسأخطف أختك وآكلها . فأنا فى كل ليلة أتحول الى ذئب . سأعض منك الصلب وأعض منك الظهـر .

(فجأة يستدير ويستعطفها) .

ارقصى معى ، يا سولفيج !

سولفيج : (تنظر اليه فى استرابة)

لا ، لقد كنت فظيعا !

(تدخل البيت . يعود العريس هائما الى پير) .

العريس : لك منى ثور لو ساعدتنى .

پـيـر : هيا بنا !

(يختفيان وراء البيت . فى نفس الوقت يأتى حشد من الناس قادمين من حلبة الرقص . معظمهم سكارى . ضوضاء وفوضى . تخرج سولفيج وهيلجا من البيت ومعهما الوالدان وناس آخرون) .

المشرف : (للحداد الذى يقف فى المقدمة) اخرس !

الحداد : (يخلع سترته) لا ، سنصفى الحساب الآن بصفة نهائية . أما بير جينت واما أنا ، الآن أو أبدا .

بعض الحضور : دعهما يصفيان الحساب .

آخرون : بل خلهما يتبارزان بالكلام .

الحداد : الكلام ! يسقط الكلام ! اما اللكمات والا فلا .

والد سولفيج : اضبط نفسك ، يا رجل !

هيلجا : أهم يريدون أن يضربوه ؟

شاب : لماذا لا نطرحه أرضا من ساقه ، جزاء أكاذيب العتيقة السخيفة ؟

شاب ثان : ارفسوه حتى يغادر المكان !

شاب ثالث : سأبصق فى وجهه .

شاب رابع : (للحداد) وأنت ، هل تنسحب ؟

الحداد : (يلقى بالسترة جانبا) لا ، بل سأقتله .

والد سولفيج : (لسولفيج) الآن عرفت نظرة الناس اليه !

(تدخل آس وفى يدها عصا) .

آس : أهو هنا ؟ أين ولدى ؟ سأعطيه ما يستحق ! يا الهى ! يا لها من علقة ينالها منى !

الحداد : (مشمرا عن ساعديه) وغد مثله ، الهراوة لطيفة عليه .

أصوات : الحداد سيفرشه !

آخرون : سيهبشه !

الحداد : سأنهشه !

(يبصق على يديه ويهز راسه لآس) .

آس : ماذا ؟ أنت تنهش ولدى بير ؟ حاول ان جرؤت ! أمه العجوز آس لها أسنان حامية ومخالب ! أين هو (تدعوه) بير ! .

(يدخل العريس وهو يجرى) .

العريس : أبى ! أمى !

الوالد : ماذا جرى ؟

العريس : هل دريت ؟ بيرجينت .

آس : (تصرخ) هل قتلته ؟

العريس : لا ، بير جينت قد — انظرى — الى أعلى — فوق التلال !

الجمع : بالعروس !

آس : (تسقط منها العصا) . آه ، الحيوان !

الحداد : (مصعوقا) انها قمة شاهقة ! انه يصعدها ! يا الهى ، كأنه جدى !

العريس : (باكيا) انظروا كيف يحملها ! كأنها خنزير !

(آس تهز قبضتها مهددة بير) .

آس : يا رب يقع ! (تصرخ فى رعب) انتبه ! انها خطوة خطرة !

(يدخل والد انجريد عارى الراس ، وقد ابيض وجهه من فرط الغضب) .

والد انجريد : قد هتك عرض فتاتى ! سأقتله .

آس : ليعاقبنى الله اذ سمحت لك أن تمس شعرة واحدة من رأسه .

الفصل الثاني

المشهد الأول

المنظر : ممر ضيق فى اعالى الجبـال . الصباح الباكر . بير جينت يتمشى ، وهو كثير العبوس . انجريد ، وهى فى بقية من ملابس العرس ، تحاول ان تستبقيه .

بـير : اغربى عنى !

انجريد : (تبكى) ولكن أين أذهب ، بعد ما حدث ؟

بـير : اذهبى حيث تشائين .

انجريد : (تعتصر يديها) أيها المجرم !

بـير : احفظى لسانك ! الآن نفترق الى الأبد .

انجريد : الذكريات تربطنا الى الأبد .

بـير : لعنة الله على الذكريات جميعا ! ولعنتـه على النساء أيضا ، الا واحدة !

انجريد : ومَنْ هى هذه الواحدة ؟

بـير : ليست أنت !

انجريد : فمن هى ، اذن ؟

بـير : اذهبى ! عودى الى بيتك ، ارجعى الى أبيك .

انجريد : يا أعز الأحبة — !
پــير : أوه ، بحق السماء !
أنجريد : لا يمكن أن تعنى ما تقول .
پــير : بل أعنى كل كلمة .
انجريد : تحصل على بغيتك ، ثم تضعنى فى صرة وترمينى.
پــير : قولى لى ماذا عندك تقدمينه .
انجريد : مزرعة هيجستاد ، وكثير غيرها .
پــير : هل تضعين كتاب صلاتك فى طيات منديلك ؟ أين ضفيرتك الذهبية ؟ هل تغضين الطرف وتنظرين الى مريلتك ؟ أتراك تتعلقين بثوب أمك ؟ أجيبى!
انجريد : لا .
پــير : هل ثبتوك الربيع الماضى ؟
انجريد : لا ، ولكن اسمع يا بير —
پــير : هل لعينيك ذلك الخفر العزيز ؟ أتستطيعين أن ترفضينى اذا ما توسلت ؟
انجريد : يا الهى ! قد جن الرجل !
پــير : هل تهبط رحمة الله على من يراك ؟ أجيبينى !
انجريد : لا ، ولكن —
پــير : هذا كل ما يهمنى .
(يستدير ليذهب) .

انجريد : (تمنعه) سيشنقونك اذا ما تخليت عنى الآن .
پــير : سأخاطر بعنقى لأهرب منك .
انجريد : ستنال الثروة والجاه اذا ما اتخذتنى —
پــير : مستحيل .
انجريد : (تنفجر باكية) آه ، يا مخادع !
پــير : كنت راغبة !
انجريد : كنت يائسة —
پــير : كنت مغفلا .
انجريد : (مهددة) ستدفع الثمن غاليا !
پــير : أغلى الأثمان سأجده بخسا .
انجريد : تصر على هذا ؟
پــير : ثابت كالصخر .
انجريد : ليكن اذن ! سنرى مَنْ ينتصر !
(تهبط أنجريد عبر المنحدر) .
پــير : (بعد برهة) لعنةُ الله على الذكريات جميعاً ! ولعنتُه على كلِّ النساء .
انجريد : (تلتفت اليه وتهتف ساخرة) الا واحدة !
پــير : الا واحدة .
(يذهبان كل فى طريق) .

الفصل الثانى ــ المشهد الثانى

المنظر : بحيرة جبلية تحيطهــا أرض قاحلة . عاصفة تتهيأ للهبوب . آس تصيح ، وتدقق النظر حواليها . تبدو يائسة سولفيج تجــد صعوبة فى اللحاق بها . والدا سولفيج وهيلدا يتبعونهما غير بعيد . آس تقبض راحتيها وتمزق شعرها .

آس : الأشياء جميعا تتآمر ضــدى مع قوات الشر ، الضباب والمياه ، والجبال اللعينة ! الضــباب يسبل ستائره ليعميه ويضله . المياه الخائنة تنتظره لتغرقه . الجبال ستفتح فاها لتبلعه أو تهرسه . والناس ! كلهم خرج يطلب حياته ! يا الهى ، برحمتك احمه ! لا حياة لى من بعده . المجرم ! يسمح للشيطان أن يغره !

(تلتفت الى سولفيج) .

لا أجدنى أصدق أن هذا قد حدث حقــا . هو الذى لا يفعل شيئا سوى الرقاد والانغماس فى الأحلام ، هو الذى لا حول له الا قدرته على التفاخر ، هو الذى لم يؤد عملا حقيقيا يوما ما ، هو — ! بى رغبة للضحك والبكاء فى آن ! كنا على وفاق فى شقائنا وحاجتنا . لابد قد بلغتك سمعة زوجى السيئة — كيف أنه جاب الحى كله ينثر ماله كانما هو قاذورات، وكيف سكر وسب، بينما أنا وبير قابعان فى البيت . فماذا كان فى طوقنا الا أن نحاول النسيان؟ لم يكن لى قدرة على أن أمسك الأمور بحزم . من المريع أن ترى القدر يحدق فيك وأنت ساكتة . اذ ذاك تريدين فى استبسال أن تلقى عنك الهموم . ولكن الفكر لا يجلب الا الأسى والدموع ، ولذا فاما تسكرين أو تجرين وراء الأوهام . وهكذا لجأنا الى قصص الخــرافة وحــكايات الملوك والجــان وغريب الحيوان ، وأخرى عن عرائس يخطفهم الشبان . فأنى لى أن أعلم أن القصص ستثبت فى رأسه ؟

(ينتابها الفزع ثانية) .

آه ، يا لها من صرخة ! أهو جان أم شيطان ! بير، أهذا أنت ؟ هناك فوق التل ؟

(تجرى الى قمة المرتفع وتحدق من فوقها فى البحيرة ، يتبعها والدا سولفيج) .

لا أرى شيئا !

الزوج : (فى هدوء) هذا من سوء حظه !

آس : (تبكى) آه ، يا ولدى بير ! يا حملى الضائع المسكين !

الزوج : (يحنى رأسه فى رقة) أصبت ، هو ضائع حقا .

آس : لا ، لا ! لا تقل هذا ! انه شديد المهارة . لا أحد يدانيه !

الزوج : تتحدثين لغوا من الكلام !

آس : أجل ، أجل ، أعلم هذا . قد أكون مغفلة ، ولكن ابنى بخير !

الزوج : (مواصلا هدوءه ورقته) قد قسا قلبه ، وضاعت منه روحه !

آس : (فى فزع) لا ، لا ! الله ربنا سيحيطه برحمته .

الزوج : قد أثقلته الذنوب . أتظنين أنه سيندم ؟

آس : لا ، ولكنه سيركب الجو على ظهر غزال !

الزوجة : الله أكبر ! مجنونة أنت ؟

الزوج : ما هذا الذى تقولين ؟

آس : لا شىء يعز عليه ، أقول لكما ! فقط انتظرا ! لو امتد به العمر فسيأتى شيئا عظيما .

الزوج : من الخير أن نراه على المشنقة .

آس : (تصرخ) بالله لا —

الزوج : وحبل ملتف حول عنقه ، فقد تنفتح عيناه ، وربما شعر بالندم .

آس : (فزعة) انكما تدفعاننى للجنون بكل هذا الكلام ! يجب أن نعثر عليه !

الزوج : لننقذ روحه !

آس : وجسمه ! ان كان سقط فى بركة ، فلنجره منها الى الشط — وان كان الجان قد خطفوه فلندق الأجراس .

الزوج : انظرى ، هذا أثر !

آس : الله يجزيك على ما تقدم من عون .

الزوج : انه واجبى كمسيحى .

آس : غيرك من الناس وثنى . ما من أحد منهم يريد أن يرفع اصبعا فى عونى !

الزوج : لأنهم يعرفون ابنك جيدا .

آس : بل هم لا يستحقونه بينهم .

(تعتصر يديها) .

كلما فكرت — كلما فكرت أن حياته فى خطر !

الزوج : هذا أثر أقدام ! انظرى !

آس : اذن فنحن على الطريق الصحيح .

الزوج : لنتفرق اذن ، ولنجرب البحث فى هذه الأرض القاحلة الممتدة الى أسفل .

(**يواصل هو وزوجته السير**) .

سولفيج : (لآس) رجوتك أن تقولى لى المزيد .

آس : (تمسح دمعها) عن ابنى ؟

سولفيج : أجل ، كل شىء !

آس : (باسمة ورافعة رأسها) أقول لك كل شىء، بل سأصدع رأسك !

سولفيج : بل تتعبين أنت من الكلام قبل أن أتعب أنا من الانصات بوقت طويل .

~~~~~~~~~~

الفصل الثانى : المشهد الثالث

المنظر : تلال صغيرة عارية ، تحت الهضبة الجبلية – على البعد ترى قمم الجبال مغطاة بالثلوج . أوشك المساء أن يهبط ، وظل الأشياء يزداد طولا . يدخل بر جنت وهو يجرى ويقف على المنحدر .

بير : القرية كلها تجد فى أثرى . سلحوا أنفسهم بالبنادق والعصى . وعجوز هيجستاد على رأسهم. اسمعه الآن يعوى ! انتشر الخبر يقول أن بير يطارده الناس . ليس الأمر هينا كعراكى مع الحداد ! هى الحياة ! أنا قوى كذب .

(يقذف ذراعيه حواليه ، ويقفز فى الهواء) .

سأسبح فى التيار السريع ، سأنزع أشجار الصنوبر من منابتها ! سأحطم ! سأقلب الدنيا كلها رأسا على عقب ! هذه هى الحياة ! انها ترفع روحك عاليا بالنشوة ، وتسلحها بالحديد ، وتقسيها ! لتذهب الى الجحيم كل الأكاذيب الصغيرة !

(تظهر ثلاث من راعيات الأبقار ، يجرين عبر التل ، وهن يغنين فى انتشاء) .
~~~~~~~~~~

راعيات الأبقار : يا تروند ڤالڤيلد ! يا بارد وكار . ناموا معنا
يا جان ، واسمعوا حكايتنا !

پــير : على من تزعقن ؟

الراعيات : على الجان — كلهم أجمعين !

الراعية الأولى : تروند ، كن قويا !

الراعية الثانية : بارد ، كن رقيقا مخلصا .

الراعية الثالثة : على التبن فى كوخنا مكان فسيح .

الراعية الأولى : القوة رقة !

الراعية الثانية : والرقة قوية !

الراعية الثالثة : ننام مع الجان الليل بطوله !

پــير : وأين رجالكن اذن ؟

راعيات الأبقار : (يضحكن فى ابتذال) ذهبوا جميعا .

الراعية الأولى : رجلى كان يناديني يا حبوبة : يا معشوقة الفؤاد.
ثم مضى فتزوج شرسة فى أواسط العمر !

الراعية الثانية : ورجلى عثر بغجرية تنام فى الأعشاب . والآن هما
أفاقان يجوبان معا الطرقات .

الراعية الثالثة : ورجلى قتل ابننا غير الشرعى ، وهو الآن يضحك
جالسا على خازوق ، مكفرا عن جريمته السخيفة.

الراعيات : تروند ڤالڤيلد ! بارد وكار ! ناموا معنا ، يا جان،
واسمعوا قصتنا !

پــير : (يقفز بينهن) أنا جان ذو ثلاثة رؤوس ، وأنا
رجلكن اليوم .

الراعيات : إلى هذا الحد أنت قوى ؟

پــير : ستعلمن نبأى بعد حين !

الراعية الأولى : الى الكوخ ! لنذهب من فورنا !

الراعية الثانية : لدينا عسل مخمر !

پــير : فليسل فى أجوافنا !

الراعية الثالثة : فى كوخنا ، الليلة ، سيتغضن التبن .

الراعية الثانية : (تقبله) انه يبرق ويلتمع كالمعدن — تحسسا !

الراعية الثالثة : (تقبله) عينا طفل ، وأطراف كالفولاذ !

پــير : (يرقص معهن) نذر كئيبــة ، وأفكار ســود
تستيقظ ، عينان تضحكان وقلب يتحطم !

(الراعيات يضعن أصابعهن ، على أنوفهن
استهزاء بالجبال ، ويغنين فى وحشية) .

الراعيات : تروند فالفيــلد ، بارد وكار ! قد نمتم معنــا
يا جان ، وعرفتم حكايتنا .

(يرقصن على التــلال ، مبتعدات ، بينهن
بير جينت) .

الفصل الثانى : المشهد الرابع

المنظر : بين جبـــال الروند الوقت : المغرب . القمم كأنها تلتمع ، مغطاه بالثلوج ، ومحيطة بالمكان .

بـــير : (يدخل وحشى المنظر ، مضطرب التفكير)
القصر فوق القصر يرتفع ! انظـــر الى البوابة
اللامعة ! قفى ! هلا وقفت ! انها تبتعد ، أكثر
وأكثر ! الديك على مؤشر الريح يرفع جناحيه
كأنه على أهبة العـــراك . هو يذوب فى ضباب
أزرق ، والجبل يغلق وتقوم أمامه الأســـوار
ما هذه الأشجار ونباتات الجبـــل التى تنمو فى
شقوق الصخور ؟ انهـــا أقزام باقـــدام مالك
الحزين ، وهى الأخرى تبهت وتختفى . الهواء
مخطط كأنه قوس قزح ، يتعب عينى وعقـــلى
على البعد أسمع أجراسا تدق ، وعيناى مثقلتان
بالرصاص . اللعنة ! شرايين رأسى تنبض كأنما
قد أُحِيطَ بها بشريط من نار أوثق ربطه . ولكنى

بحق الشيطان ، لا أدرى من وضع ذاك الشريط
هنـــاك .
(ينهار على الأرض) .
ركبت مرتفع جيندن ، وراء الأوهام الجميـــلة
وصغار الأكاذيب ! تسلقت أحد الصخور مع
العروس ، وسكرت يوما بطـــوله ، مُطـــاردًا
الصقور والحدأة ، تتهددنى العفاريت والجان
وفظائع من نسوة مجنونات ، أحلام وأكاذيب
سخيفة ! .
(يحدق طويلا الى أعلى) .
نسران ذهبيان يحلقان ! الأوز البرى يطير جنوبا
وأنا أنقل الخطو الثقيل وأتعثر فى الطين والدنس
حتى الركبتين .
(يقفز واقفا) .
سأطير وراءها ! سأغسل ذنوبى فى حمـــام من
أحد ما يهب من ريح ! سأحلق مرتفعا ، علويا
ثم أقذف بنفسى عميقا فى ماء هذا النبع المتألق
الطهور ، لأخرج ، وقد خلصت من كل الذنوب
سأطير فوق المروج ، سأطير حتى تطهر روحى

فوق المحيط الأجاج ، ممعنا فى الارتفاع فوق
أمير انجلترا . أجـل ، انظرن يا بنات ، ولكن
لا تظنن اننى قادم اليكن . لا تكلفن أنفسكن
مشقة الانتظار ! أو ، لعلى أنقض هابطا عليكن
آه ، باللعنة ! هـذان النسران الذهبيان ؟ قد
سرقهما الشيطان ! انظر ! هذه نهاية جدار مثلث
وثمة بيت يرتفع حجرا فوق حجر ، من بين هذه
الأنقاض العفنة ! والآن ، ها هو ذا الباب مفتوح
على مصراعيه ! اذن فهـذه هى المسألة ! إنى
أعرفها ! هذه مزرعة جدى العجوز ! قد ذهبت
الخرق التى تسـد كسور النوافذ ، وأخشاب
السور جديدة لامعة ، وفى كل حجرة نار تتأجج
للدفء ، وفى القاعة مأدبة تقام . اسـمع القس
ينقر بسكينه على كأسه . والقبطان يلقى بزجاجته
فيهشم المرآة تهشيما . خلهم يسرفون ويبذرون
أهذا يهم ؟ أمى ، اهدئى ! ان جون جينت الثرى
الأمثل ، قد أقام وليمة . مرحى لبيت جينت
ما هذا الهرج والمرج كله ؟ لم كل هذه الضوضاء
القبطان يدعونى ، والقس يشرب فى صحتى

ادخل اذن يا بير جينت لتشارك فى الانخاب ، ان
أصـداء الهتاف والغنـاء تتردد عاليا « أنت
يا بير جينت قد ولدت فى رحاب العظمة ، وعظيما
ستكون قبل طويل وقت » .

(يندفع الى الامام ولكنه يصدم انفه فى
صخرة ويقع مغشيا عليه) .

الفصل الثانى — المشهد الخامس

المنظر: منحدر جبلى عليه أشجار ضخمة . تصفر فيها الريح النجوم تتألق خــلال فرجات أوراق الشجر ، والطيور تغنى على الأغصــان . ترى امرأة فى ثياب خضر ، سائرة على جانب التل . خلفها بيرجينت ، وهو يعبر بالحركة عن كل آيات التودد الغرامى .. تقف المرأة وتستدير اليه .

المـرأة : صحيح ؟

پـــير : (يشير بأصبعه عبر حنجرته) صحيح كما أننى أنا نفسى بير جينت . صحيح مثلما أنت عطوف وجميلة . أتقبليننى ؟ ستجديننى رقيقا كل الرقة لن تضطرى الى غزل أو نسيج ، أو رتق فتوق طعامك سيكون وافرا ومصروفك كثيراً ، وأبدا أبدا ، لن أشدك من الشعور .

المـرأة : ولن تضربنى ؟

پـــير : لا ، هذا يكونُ أمْراً غير مألوف ! نحنُ أبنــاء الملوك لا نضربُ نساءنا .

المـرأة : أنت ابن ملك ؟

پـــير : نعــم .

المـرأة : وأنا أيضا ابنة ملك دوفر .

پـــير : لا يا شيخة ! ، يا لها من مصادفة غريبة !

المـرأة : وقصر والدى فى أعماق الروند .

پـــير : أنا واثق ان قصر والدتى أفخم من قصركم .

المـرأة : هل تعرف أبى ؟ اسمه الملك بروس .

پـــير : هل تعرفين أمى ؟ اسمها الملكة آس .

المـرأة : حينما يغضب أبى ، تصحو الرياح الأربع .

پـــير : وحين تعنف أمى ، تزلزل الأرض زلزالها .

المـرأة : أبى يرفس برجله فيرفع الشىء الى عِلـّيين .

پـــير : أمى اذا شاءت طحنت الصخر فأحالته دقيقا .

المـرأة : أليس لديك ما ترتديه سوى هذه الأسمال ؟

پـــير : انما يهم الرجل داخل الثوب .

المـرأة : كل يوم أرتدى الحرير وقميصا من الذهب .

پـــير : انما يبدو لى ما ترتدينه غزلا وصدأ نحاس .

المـرأة : آه ، اسمع ! عليك أن تذكر شيئا بذاته ، فى الروند ، ترى الأمور فى غير هذا الضوء ، فيبدو لكل شىء وجهان . حينما تدخل قاعة عرش أبى ، فقد تظنها كومة حقيرة من الأنقاض .

پـــير : غريب ! فعندنا نفس الحال ! فقد تنظرين الى

الذهب فتجدينه معدنا خسيسا لا نفع فيه ، وقد
يبدو لك زجاج النافذة اللامع حزمة من الجوارب
والقاذورات وحشيش الصخور .

المرأة : لشر يبدو خيرا ، والأسود يصبح أبيضا .

پير : والكبير يرتد ضئيلا ، والسخيف لامع الذكاء .

المرأة : (تهوى على عنقه) أرى أننا خلقنا لبعضنا يا بير!

پير : كالسراويل للأرجل أو المشط للشعر !

المرأة : (تهتف عبر التلال) يا جواد زواجى ! هلمَّ الى!
فسنقفز على صهوتك !

(يدخل خنزير هائل وهو يدب . لجامه من الخيط ، وسرجه من الخيش العتيق . يقفز بيرجينت فيمتطيه ، ويضع المرأة أمامه) .

پير : هى — هُو ! عبر أبواب « الروند » نمضى ! شى حا ! يا خنزيرى الأمين !

المرأة : (فى وله) وأنا الذى كنت حزينة منذ قليل ! هذا يريك أن عمدتنا هو القدر !

پير : (يضرب الخنزير ليستحثه فينطلق) انما تظهر عظمة العظماء من طريقة ركوبهم .

الفصل الثانى : المشهد السادس

المنظر : القاعة الملكية فى قصر ملك جبال دوفر . جمع كبير من رجال بلاط الجان من كل عمر وحجم ووصف . الملك جالس على عرشه تاجه فوق رأسه ، وصولجانه فى يده . بالقرب منه أولاده وبخاصة أقاربه متحلقين . فى مواجهته يقف بيرجينت . بالقاعة ثورة كبيرة .) .

رجال البلاط : اقتلوه ! مسيحى تجاسر فخدع أجمل بنات ملك دوفر !

جنى شاب : دعونى أقطع أصابعه شرائح !

جنى شاب آخر : خلونى أمزق شعر رأسه .

جنية شابة : اسمحوا لى بأن أقطع قطعة كبرى من لحم اليته !

ساحرة : (ممسكة بمغرفة) هل نأكله ثريدا أم نضعه فى اناء الحساء ؟

ساحرة اخرى : (ممسكة شاطورا) نلتهمه مشويا ، أم محمرا على نار وسيخ ؟

الملك : اهدأوا ! (يشير الى المستشارين) آن الأوان لكى نكف عن تملق أنفسنا . قد انحدرت فى الآونة الأخيرة أمورنا . ولا أحد يعلم هل تعود

الى صعود ، أم تمضى فتصبح هشيما . لهـذا لا نملك أن نرفض العون ، مهما كان مصدره . ثم ان الشاب لا عيب يذكر فيه . وهو — ان لم أكن مخطئا — بادى الفحولة . صحيح أن له رأسا واحدا فقط ، ولكن ابنتى نفسها بها هذا العيب . الجان ذوو الثلاثة الرؤوس أصـبحوا مودة قديمة ! بل ان ذوى الرأسين قد أضحوا نادرين . ومن واجبى أن أقـول انهم ليسـوا أصحاب منظر جميل .

(مخاطبا بيير جينت) .

اذن فأنت تجرى وراء ابنتى ؟

پـير : ابنتك ومملكتك معا ، كجزء من دوطتها .

الملك : سأعطيك نصف المملكة وأنا حى ، فاذا ما انقطع نفسى فخذ الباقى .

پـير : اتفاق عدل .

الملك : اصبر قليلا ، يا بنى . علىَّ أن آخذ منك بعض المواثيق . فاذا ما خرجت على أحدها صار اتفاقنا لاغيا ، واذ ذاك لن تخرج من هنا حيا . عليك أولا أن تمحو من ذاكرتك العالم خارج الروند .

تجنب النهار وأموره ، ولا تمشى قط فى الشمس .

پـير : ما دمت سأصبح ملكا ، فلن يكون هذا عسيرا .

الملك : ثانيا : الآن نريد أن تتبين ما لا تعرفه من أمور .

(يقف)

أكبر رجال البلاط من الجن : الآن نرى ما اذا كان ضرس العقل عندك يستطيع أن يكسر بندق الألغاز ويستخرج منها ثمـار الحكمة لدى رجل عجوز .

الملك : ما الفرق بين الجنى والانسان ؟

پـير : لا فرق مطلقا فيما أرى . كبير السن بين الجن يريد أن يشوينى ، وصغير السن يود لو يسلخنى . ونحن البشر نفعل المثل لو جرؤنا .

الملك : هذا حق ! هناك نقط تشابه كثيرة . غـير أن الصباح هو الصباح والليل هو الليل ، والفرق واضح اذا كان بصرك حديدا . الآن أقول لك ما الفرق . هناك حيث البشر يعيشون تحت القبة الزرقاء ، يمضى القول : « أيها الانسان ، لنفسك كن مخلصا ! » أما فى التلال فلسنا نأبه بمثل هذه الأقوال المعظمة للذات . انما نحنُ نقولُ : « أيها الجنى ، كفى بنفسك معينا » .

رجال البلاط : (مخاطبا بير) : أتفهم ؟
بير : تبدو لى المسألة غير واضحة .
الملك : « كفى بنفسك » عبارة شاملة يا بنى ، وعليك أن تحفرها علَى شارتك .
بير : (يهرش وراء أذنه) ولكن —
الملك : هذا واجبك ، ما دمت ستصبح ملكا هنا !
بير : ما دام هذا واجبا فهو واجب . انه ليس أسوأ —
الملك : وبعد هذا ، عليك أن توائم ما بينك وبين أسلوبنا البيتى الصريح البسيط فى الحياة .

(يشير ، فيدخل جنيان لهما راسا خنزير ؛ يلبسان قلنسوتين بيضاوين ويحملان طعاما وشرابا) .

أبقارنا تلد فطائر وثيراننا تحلب العسل المخمر .
لا تسأل ان كانت الفطائر والعسل حلوة أم مرة،
فالمهم أن الفطائر بيتية والعسل مخمر فى المنازل.

بير : (يدفع بها بعيدا عنه) اذهبوا للشيطان بشرابكم الغريب ! لن أعتاد قط أحوال بلدكم .
الملك : ان القصعة جزء من الشراب ، وهى من الذهب. فمن يأخذ القصعة يأخذ ابنتى أيضا .

بير : (متفكرا) هيه — يقولون ان علينا أن نبلع ما نكره ، ولا شك عندى فى اننى سأعتاد هذا الطعم بمرور الوقت . الآن أشرب (يشرب) .
الملك : هذا قول حكيم ! أتبصق ؟
بير : كان هذا مجرد حكم العادة .
الملك : بعد هذا ، عليك أن تخلع ملابسك المسيحية . فى هذا البلد ، يشرفنى أن أقول ان كل شىء هو من صُنع الجبـال . لا شىء يأتينا من الوادى الا الذيول .
بير : (فى غضب) أنا لا ذيل لى .
الملك : اذن أعطيك ذيلا . أيها الحاجب ، ألصق به أفخر ذيولى .
بير : اياك أن تجسر ! أأنتم تسخرون منى !
الملك : لن تستجيب لك ابنتى وعجزك عاطل من الذيل!
بير : أتريدون أن تحيلوا البشر وحوشا !
الملك : يا ولدى ، أنت مخطىء ! انما أنا أحيلك فارسا غندورا . سنعطيك ذيلا أصفر فى لون اللهب وهذا تشريف ما بعده تشريف .
بير : (متفكرا) هيه — يقولون اننا ريش فى مهب

الريح ، وان العادة والطريقة تحملاننا حمــلا .
ليكن اذن ، امضوا قدما !

الملــك : أنت شاب حكيم .

رجل البلاط : انظر كيف تحرك ذيلك فى خيلاء .

پـــير : (مغيظا) أهناك شىء آخر يجب أن آتيه ؟ هل أنزل عن عقيدتى المسيحية أيضا ؟

الملــك : بل تمسك بها اذا كان هذا يسرك . حرية المعتقد هنا مكفولة . لا ضرائب عليها . انما يميز الجنى طريقة تفصيل ثيابه . اذا ما اتفقنا على العادات والملابس ، فأنت حــر فى أن تؤمن بما تشاء ، ولو كان جديرا أن ينزل فى قلوبنا الفزع .

پـــير : بالرغم من الشروط التى تفرضونها ، فأنتم أكثر اعتدالا مما قدرت .

الملــك : من أسف يا بنى ، اننا نحن الجن لا تطــابق حقيقتنا سمعتنا . وهذا فارق آخر بيننا وبينكم . على كل حال ، قد انتهى القسم الجاد من المسألة ، والآن نمتع العين ، ونشنف الأذن . يا صاحب القيثارة ، المس برفق أوتار قيثارتك ! أيهــا الراقص ، ارقص بخفة على أرض قاعة دوفر .

(موسيقى ورقص)

رجل البلاط : أيعجبك هذا ؟

پـــير : يعجبنى !

الملــك : قل رأيك بصراحة . ماذا ترى ؟

پـــير : شيئا لا يعقل ! بقرة تجــذب وترا بحــافرها ، وخنزير فى جوارب قصيرة ، يرقص مضطربا ، على هذا النشاز .

رجــال البلاط : كلوه !

الملــك : اذكروا أن مقاييسه انسانية .

فتيات الجن : دعونا تقطع أذنيه ، ونخزق عينيه !

امرأة فى ثياب خضر : (تبكى) بو — هو ! حرام أن تتحمل هذا كله ، وأنا وأختى نرقص ونعزف بكل مهارة !

پـــير : يا لسوء الحظ ! أهو أنت ؟ انما كنت أغيظك فقط . فى الحفلات كل ما يقال هذر .

المرأة فى الثياب الخضر : أتقسم انك كنت تغيظنى ؟

پـــير : كانت الموسيقى والرقص تخلب اللب . أقسم على هــذا .

الملــك : شىء غريب ، هــذه الطبيعة البشرية . تلتصق بالانسان كأنها بشرته . فاذا ما أصيب فى شجار ، تركت فيها الاصابة أثرا . غير أن الجراح سرعان

ما تلتئم . هذا زوج ابنتى أصبح مطواعا . خلع عنه سراويله المسيحية ، وشرب ، مختارا ، عسلنا المخمر ، ورضى أن نلصق بمؤخرته ذيلا . فعل كل هــذا بمحض رغبتــه حتى لقد ظننت أن الانسان المدرك فيه قد خرج الى الأبد ولكن كنت واهما ! فما أسرع ما عاد اليه هذا « الانسان » لهذا ، ترانى مضطرا ، يا بنى ، الى أن أشفيك من انسانيتك هذه .

پــير : وكيف تفعل ؟

الملــك : سأسمل عينك اليسرى حتى ترى كما نرى ، ويصبح كل ما يقع عليه بصرك مدموغا بطــابع الامتياز . وبعدها سأكسر اللوح الزجــاجى الأيمن فى نافذتك —

پــير : أنت سكران ؟

الملــك : (يضع على المائدة بعض الآلات الحادة) هذه أدوات الزجّاج . سنروضك كما يروض الثور الهائج ، واذ ذاك ستجد عروســك فاتنة . لن تخدعك من بعد عيناك فتخيــل لك خنــازير مضطربة الخطى وأبقارا تعزف بحوافرها .

پــير : هذا جنون .

اكبر رجال البلاط : هذا قرار ملك الجان . انه هو الحكيم وأنت المجنون !

الملــك : اذكر المتاعب التى ستنجو منهــا عبر السنين ولا تنس أيضا أن العيون هى مصدر الدموع المرة الغاضبة .

پــير : هذا حق ، والانجيل يقــول : اذا ما أغضبتك عينك اليمنى ، فاسملها . الآن قل لى ، متى يعود بصرى الى سابق عهده ؟

الملــك : لا يعود قط ، يا صديقى !

پــير : ما دام الأمر كذلك فانى أقول : «لا ، أشكركم».

الملــك : وماذا تفعل اذن ؟

پــير : أرحل على الفور !

الملــك : صحيح ؟ من السهل الدخول الى مملكتى ، ولكن أبواب قصرى لا تفتح الى الخارج .

پــير : هل تبقوننى هنا قسرا ؟

الملــك : اصغ الى ، أيها الأمير بير ، وحاول أن تكون حكيما ! ان مواهبك تؤهلك لأن تكون جنيا

ممتازا — أليس له طابع الجنى وهيأته ؟ وأنت تحب أن تكون جنيا ، أليس كذلك ؟

بير : يعلم الله انى أريد ! ان كسب عروس جميلة ، ومملكة نموذجية الى جوارها ، مسألة تستأهل بعض التنازل . ولكن لكل شيء حدود . قد قبلت الذيل ، هذا صحيح ، ولكن ما الذى يمنعنى أن أخلعه ؟ وقد خلعت سراويلى ، وكانت قديمة ممزقة . ولكن ماذا يردنى عن ارتدائها من جديد؟ أما حياة الجن هذه ، حياتكم ، فلتخطفنى الشياطين ان لم أستطع أن أنضوها عن نفسى . اذا شئتم أقسمت أن البقرة فتاة بكر ، فانى أستطيع دائما أن أتحلل من القسم . ولكن أن أفقد حريتى ، وأعلم انى لن أستردها من جديد ، وانى حين أموت لن أدفن كما يدفن خيار الناس ، وانى سأقضى بقية أيامى مع الجن فى الجبال ، وكما تقول الأقاصيص لا أعود الى بيتى قط — وهذه مسألة تلحون عليها كل الالحاح — فأمور كلها غير مقبولة لدى .

الملك : الآن ، بعزتى وجلالى ، أشعر أن صبرى ينفد ،

ولست أنا الذى يستهان به . أيها الحمار الطويل الأرجل ! أتعلم من أنا ؟ أنت أولا قد تماديت مع ابنتى —

بير : هذا كذب !

الملك : وعليك أن تتزوجها !

بير : أتجرؤ أن تدعى — ؟

الملك : أتنكر أنك قد أحسست بالرغبة فيها ؟

بير : (يصفر) هذا ليس جرما كبيرا ، على كل حال .

الملك : البشر كلهم سواء . أنتم تتحدثون وتتحدثون وتتحدثون عن أرواحكم ، غير انكم انما تعنون حقا بالجسد . واذن فأنت ترى أن الرغبة أمر غير ذى بال . ليكن اذن ، فسرعان ما تتبين انك واهم .

بير : لن تصيدنى بهذا الطعم من الأكاذيب .

المرأة فى الثياب الخضر : لا ينتهى العام حتى تصير والدا فخورا .

بير : اتركونى أخرج من هنا .

الملك : سنرسل لك وليدك ملفوفا فى جلد عنزة .

بير : (يمسح العرق من جبهته) لو اننى فقط أستيقظ !

الملك : أنرسل الوليد الى قصرك ؟

بير : الى القرية .

الملك : ليكن اذن ، أيها الأمير بير ، هذه مسألة تخصك ولكن شيئا واحدا مؤكد ، وهو أن ما كان قد كان . وسيأخذك العجب حين ترى ابنك فإن الأولاد المخلطين يكبرون بسرعة هائلة .

پير : أيها العجوز ، أنت كالبغل فى عنادك . سيدتي العزيزة ، هدئى نفسك ! فقد نستطيع الوصول الى اتفاق . على أولا أن أوضح اننى لا أنا أمير ولا ثرى . ومهما تصورونني فلن أكون مصدر فخر لكم .

الملك : (ينظر اليه باحتقار ثم يقول) مزقوه اربا على الصخور ، يا أولادى .

شباب الجن : ألا نلعب به أولا لعبة النسور والبوم ؟ أو لعبة الذئب ؟ أو لعبة الفأر الأشهب والقطة ذات العين الجهنمية ؟

الملك : أيها تشاءون ، ولكن اسرعوا ! فانى مغضب نعسان . طاب مساؤكم !

(يخــــرج)

پير : (يطارده شــباب الجن) اغربوا عنى ، أيهـــا الشياطين !

(يحاول الخروج من المدخنة) .

شباب الجن : أيها العفاريت ، يا صغار الشياطين ، عضوا جسمه جميعا .

پير : آى !

(يحاول الخروج من الباب السحرى الى غرفة الكرار) .

شباب الجن : سدوا كل المنافذ .

رجل البلاط : كم ينعمون بهذه الدعابة ، هؤلاء الأعزاء الصغار !

پير : (مناضلا مع جنى صغير ملتصق بأذنه) اتركنى ، أيها الدودة !

رجل البلاط : (يضربه خفيفا على ركبتيه) اذكر انك تتحدث مع أبناء الملك .

پير : جحر فأر ! (يندفع صوبه) .

شباب الجن : أيها العفاريت ، سدوا هذا الجحر !

پير : الملك العجوز كان جهنميا ، وهؤلاء الصــغار أسوأ منه .

شباب الجن : اسلخوا جلده !

پير : (يدور ويدور فى سرعة) لو اننى كنت فى حجم الفأر —

شباب الجن : (يتجمهرون حوله) أحيطوا به ! قد وقع في أيدينا !

پـــير : لو اننى كنت قملة ! (يسقط) .

شباب الجن : اسملوا عينيه !

پـــير : (يختفى عن الأنظار وراء كتل الجن) النجدة يا أمى ، انهم يقتلوننى !

(تسمع أصـــوات أجراس الكنيسة عن بعـــد) .

صبيان الجن : أجراس فى الجبال ! أبقار ذوى الملابس السود

(يهرب الجـــان . ضوضـــاء وصيحات متوحشة . تتداعى قاعة الملك يختفى كل شيء) .

الفصل الثانى — المشهد السابع

المنظر : ظـلام دامس . يســـمع بيرجينت وهو يلهب شيئاً بسوط من غصن الشجر .

پـــير : قل لى ! من أنت ؟

صوت فى الظلام : أنا نفسى .

پـــير : تخل عن الطريق .

الصـوت : بل در أنت . فى الجبال متسع .

(بير يحاول ان يســـير فى اتجاه آخر ، ولكنه يصطدم « بالشيء ») .

پـــير : من أنت ؟

الصـوت : أنا نفسى . أتستطيع أن تدعى انك نفسك ؟

پـــير : أقول ما أريد ، وسيفى هذا يضرب بشدة ! خذ حذرك ، والا أوقعته على رأسك ! كان الملك « سول » يذبح بالمئات ، أما بيرجينت فيقتـــل الوفا . (يلهب بالسوط) من أنت ؟

الصـوت : أنا نفسى !

پـير : رد يدل على غباء خـله لنفســك . وكن أكثر وضوحا . من أنت ؟

الصوت : أنا الجنى بويج العظيم .

پـير : هذا رد أفضل قليلا . لغزك قد أخذ يتكشف الاسود فيه أصبح رماديا . خـل عن الطريق يا بويج .

الصوت : بل در أنت ، يا پير .

پـير : سأخترقك . (يقطع الهواء بضربة من الغصن) ها قد سقط !

(يحاول التقدم ولـكنه يصطدم بالشىء من جديد) .

آه ! هذه « أشياء » أخرى !

الصوت : بل البويج ، يا پير جينت ! هناك واحد فقط . البويج الذى لم ينله الأذى ، البـويج الذى جرح . البويج الذى مات، البويج الذىهو حى.

(يلقى بير جينت الغصن جانبا) .

پـير : لا جدوى من سيفى ؛ فلأعتمد على قبضتى .

(يلكم الهواء) .

الصوت : أعتمد على قبضتك ؛ اجعـل أملك فى قوتك . ها ها ! انك جدير ، يا پير جينت أن تبلغ الذرى.

پـير : (يعود) الى الوراء أو الى الأمام ، نفس المسافة. بالداخل ، أو الخارج ، الممر ضيق. انه هنا ! وهو هناك ! وهو فى كل مكان يبـدو أننى نجوت ! لا ! الدائرة السحرية اطبقت على . من أنت ؟ اظهر ! قل ماذا تكون !

الصوت : آنا البويج .

پـير : (يتحسس على غير هدى) لا أنت ميت ولا حى. لا شكل لك . غروى وضبابى . دببة تهمهم فى غضب ، وهى نصف نائمة ، تتجـه حـولى وتدوسنى . (يصرخ) اضرب ، ألا تستطيع ؟

الصوت : بويج ليس مجنونا .

پـير : اضرب !

الصوت : لا حاجة هناك .

پـير : قاتل . يجب أن تقاتل !

الصوت : بويج العظيم سينتصر ، ولكنه لا يقاتل .

پـير : هل من جنى صغير يقرصنى أو يغزنى ! ولو جنى فى عامه الأول ! شىء اقتتل واياه ! وليس فراغا ! آه ، انه يشخر ! بويج ؟

الصوت : نعـم ؟

پـير : لماذا لا تقاتل ؟

الصوت : بويج العظيم يحصل على ما يريد بالتمسك بأسباب الأمن .

(پير يعض ذراعيه ويديه) .

پـير : اعطونى مخالب وأسنانا لأقطع لحمى ! دعونى أذوق طعم دمى ، وأحس ملمسه !

(يسمع صوتا كانما هو لجناحى طائر ضخم) .

الطيور : أهو قادم ، يا بويج ؟

الصوت : نعم . قدما قدما !

الطيور : اخواتنا قادمات من مكان بعيد !

پـير : اذا كنت تريدين انقاذى ، يا فتاة ، فافعلى الآن . لا تقفى هناك هكذا ، معضية الطرف فى خفر . كتاب صلاتك ! أقذفيه فى وجهه تماما !

الطيور : انه يضعف !

الصوت : قد وقع فى أيدينا .

الطيور : يا شقيقاتى ، اسرعن !

پـير : ساعة كهذه من نضال كالعذاب ، ثمن أفدح من أن تستأهله الحياة .

(يتهاوى) .

الطيور : يا بويج ، ها قد سقط ! امسكه ! ، امسكه الآن.

(تسمع أجراس كنائس ، وغناء كنسى عن بعد) .

بويج : (يشهق ويتلاشى صوته تدريجيا) كان أقوى منا. قد حمته النساء

الفصل الثانى — المشهد الثامن

المنظر : الفجر : جانب الجبل خارج كوخ آس . البــاب مغلق . المــكان صامت مهجور . بير جينت نائم ، الى جوار الحائط . يصحو ، وينظر حواليه بعينين بليدتين ذهب منهما البريق ، ثم يبصق .

بــير : ما أشد ما تهفو نفسى الى الرنجة المخللة !

(يبصق ثانيــة . فى نفس الوقت يرى هيلجا تقترب منــه وفى يدها سلة بهــا طعام) .

هوه ، يا صغيرة ، ماذا تفعلين هناك ؟

هيلجا : سولفيج —

بــير : (ينتفض واقفا) أين هى ؟

هيلجا : وراء الكوخ .

سولفيج : (وهى مختبئة) اذا جئت الى ، فسأفر هاربة !

بــير : (متوقفا) أما زلت تخشــين أن أضــمك الى صدرى ؟

سولفيج : أنت لا حياء لك !

بــير : أتدرين أيا كنت الليلة الماضية ؟ ابنة ملك دوفر كانت تطاردنى !

سولفيج : اذن فخيرا فعلنا اذ قرعنا الأجراس .

بــير : ليس بيرجينت بالذى يؤخذ دون مجهود . هيه قولى شيئا !

هيلجا : (باكية) آه ، انها تولى هاربة !

(تجرى وراءها) .

انتظرى !

بــير : (يمسكها من ذراعها) انظرى ماذا أحمــله فى جيبى ! زرار من الفضة ! سأهبك اياه لو قلت كلمة طيبة فى حقى !

هيلجا : دعنى أذهب ، أرجوك !

بــير : هذا هو .

هيلجا : دعنى أذهب . هذه هى السلة !

بــير : اذا لم تفعلى ، فالله يرحمنى

هيلجا : أنت تؤلمنى ! اتركنى من فضلك .

بــير : (فى هدوء ، يدعها) لم أقصد شرا ، أرجها أن لا تنسانى .

(تفر هيلجا هاربة) .

الفصل الثالث

المشهد الأول

المنظر : فى أعماق غابة صنوبر ، يوم داكن من أيام الخريف الثلج يتســـاقط . يرى بيرجينت وقد خلع ســـترته ، يقطع أشجارا . ويسدد ضرباته الى شجرة شربين طويلة ، لهـــا أغصان ملتوية .

پــير : آه ، أنت قوى يا صديقى العزيز ، ولكن قوتك لن تجدى . ان أيامك معدودة (يقطع من جديد) أعلم انك ترتدى درعا ولكن سأخرقه ، رغـم قوته . أجل ، حرك أذرعك الملتـوية ، فأنت غاضب مغيظ أنا فاهم . ولكنى سأجعلك تجثو على ركبتيك — !

(يتوقف فجـــــاة)

مزيد من الأكاذيب ! لا بطل هناك وراء الدرع ، مزيد من الأكاذيب ! ليس البطل الا شـــجرة عتيقة ، شجرة شربين لحاؤها مشقق . عمل شاق،

قطع الأخشاب ، ولكنه أكثر مشقة حين يخلطه المرء بأحـلام اليقظة . يجب أن تنتهى هــذه الشطحات العجيبة الى ما فوق السحاب ، الى عالم اثيرى لم يوجد قط . أنت طريد ، خارج على القانون ، يا فتاى ، طريد فى غاب .

(يقطع فى سرعة كبيرة)

أجل ، هارب ! لا أم لك الآن تبســط المائدة وتحضر لك الطعام . اذا أردت أن تأكل ، فاعمل فى سبيل القوت ، اصطد الوحوش فى الغــاب أو السمك فى جداول الماء ، اقطع الخشب الذى تحتاج وأشعل النار للدفء ، ابن بيتك بيديك ورتبه بنفسك . تريد الملابس دثارا ؟ اقتل غزال الرنة . تريد أن تبتنى بيتا ؟ اقطع بيديك الأحجار. تحتاج عروقا من البلوط ؟ عليك أن تنشر الخشب وتحمله الى البيت على كاهلك القوى العريض .

(ينزل بلطته ويحدق فيما أمامه) .

سأبنى لنفسى بيتا ذا جمال ، له برج ، ومؤشر للريح ، وعند نهاية الحائط سأحفر صورة لحورية بذيل طويل تضرب به الماء . سأكسو مؤشر الريح

والاقفال كساء من النحاس . وقد أحصل على
زجاج للنوافذ وسيرى الأغراب البيت عن بعد،
فيفغرون الأفواه ويعجبون بمجده وجلاله .

(يضحك فى عدم ارتياح) .

أحلام وأكاذيب ! فعلتها ثانية . أنت طريد منبوذ.

(يستأنف العمل فى لذة جديدة)

كوخ له سقف مناسب ، يمنع المطر والصقيع .

(ينظر الى الشجرة)

انه يتداعى . ضربة أخرى ! ها قد سقط ! ها قد
انطرح على الأرض عند قدمى . الأشجار الشابة
ترتعد كلها حولى .

(يأخذ فى تكسير الأغصان ؛ وفجأة يتوقف
ويتسمع ، وفأسه مرفوعة) .

هذا شخص يطاردنى . أيكون ذلك العجوز من
هيجستاد جاء يجرب فى ألاعيبه ؟

(يختبىء وراء شجرة وينظر امامه
باحتراس) .

صبى ! مجرد ولد ! يبدو خائفا . متسللا أيضا .
ما هذا الذى يخفيه تحت سترته ؟ منجلة ؟ انه

يحدق فيما حوله . يضع يديه على غصن. ما الذى
يفعله الآن ؟ انه ساكت السكوت كله ، متوتر
تماما .. آه ، يا للفظاعة ! لقد بتر اصبعه ! بتره
تماما ! وهو ينزف الدم كالثور الذبيح . انه
يجرى هاربا وقد لف خرقة حول يده .

(يقترب من مكان الحادث) .

يا للشيطان ! اصبع ! بتره ! فعل هذا عن عمد .
آه ! الآن فهمت ! طريقة ناجعة للهرب من الخدمة
العسكرية . لابد أن الأمر كذلك . أرادوا له أن
يحارب ، وهو يكره الحرب . ولكن ، يبتر
اصبعه — ! يشوه نفسه — ! فكر فى هذا ،
نعم ، لديك الرغبة ، والنية . افعلها اذن ! لا !
هذا يفوق قدرتى .

(يهز رأسه ويستأنف العمل)

الفصل الثالث : المشهد الثانى

المنظر : غرفة فى بيت آس . الفوضى ضـــاربة اطنابها . الصندوق فارغ . الملابس متناثرة فىأرجاء الغرفة . على الفراش ترقد قطة آس ، وزوجة أحـــد الفلاحين ، واسمها كارى ، تحاولان جاهدتين ترتيب الغرفة .

آس : (تهرع الى أحـد أركان الغـرفة) . كارى ، اسمعى !

كارى : ماذا هناك ؟

آس : (من أبعد أطراف الغرفة) أين هو ؟ انى لأعجب أين — قولى لى . قولى لى أين — عم أبحث . سأجن ! أين مفتاح الصندوق ؟

كارى : فى الثقب .

آس : ما هذه الضوضاء ؟

كارى : هذا آخر حمل ينقل الى هيجستاد .

آس : (تبكى) يا ليتهم ينقلوننى فى نعشى الى القبر ! شد ما تتحمل نحن البشر المساكين من عنـاء ! ارحمنا يا رب ! قد أخذوا معهم متاع البيت كله .

وتركوه خواء . ما نسـيه هيجستاد ، أخـذه المحضرون . ولم يتركوا لى خرقة أستر بها ظهرى . من المخجل أن يبلغ الناس هذا الحد من القسوة.

(تجلس على حافة الفراش) .

ذهبت المزرعة والأرض معا ، والى الأبد . كان هيجستاد العجوز قاسيا ، ولكن القانون أقسى منه . لم يساعدنى انسان . لم يظهر أحد عطفا علىّ . وابنى بير غائب ، وما من ناصـح لى أو معين .

كارى : هذا البيت ملكك حتى يوافيك الأجل .

آس : آكل خبز الاحسان ، أنا وقطتى !

كارى : الله فى عونك ! كل هذا بسبب بير !

آس : بير ؟ أظن انك تخلطين الأمور ! قد عادت انجريد الى بيتها سالمة فى النهاية . لو كانوا عادوا باللائمة على الشيطان لكانوا أكثر حكمة . انه هو الذى أجرم ، ولا أحد غيره . ان أبا الأكاذيب قد غرر بابنى المسكين !

كارى : أليس من الأوفق أن نرسل للقس ؟ قد تكون حالتك أسوأ مما تقدرين .

آس : ترسل للقس ؟ أظن أن هذا واجب .

(تنهض) .

ولكن ، يا الهى ! لا ، لا أستطيع ! اننى والدة بير ، وعلى أن أساعده ! انه واجبى المقدس . قد تخلوا عنى جميعا . فلأفعل ما أستطيع . قد تركوا له هذه السترة . وسأرقعها . لو وجدت من نفسى الجرأة على سرقة البساط ! أين الجوارب ؟

كارى : فى هذه الكومة من النفايات .

آس : (تبحث فى الكومة) ما هذا ؟ آه ، انها مغرفة قديمة للصهر . كانت احدى لعبه . كان يلذ له أن يصهر فيها الأزرار ويشكلها من جديد . وذات يوم ، دخل ابنى بير على أبيه فى حفلة ، وسأله أن يعطيه قطعة من الصفيح . فقال زوجى « لن أعطيك صفيحا وانما فضة . لا يليق بابن جون جينت الا نقود الملك كريستيان » سامحه الله ، فقد كان سكرانا ، لا يفرق بين الصفيح والذهب . هذه هى الجوارب . انها مليئة بالخروق . على أن أرفوها ياكارى .

كارى : اسرعى اذن ، فلا وقت أمامك .

آس : حين انتهى من الرفو ، سآوى الى الفراش . انى منهكة ، وأحس بالمرض يثقل على .

(فى ابتهاج) .

انظرى يا كارى ! ، هذان قميصان ! نسوا أن يأخذوهما !

كارى : فصلا !

آس : هذا شىء من حسن الحظ ! أظن أنه يحق لى أن أحتفظ بأحدهما . لا ! بل ليس ما يمنع أن أبقى الاثنين . ان القميص الذى يلبسه قد أصبح خيوطا .

كارى : ولكن هذه خطيئة ، يا آس ، كما تعلمين .

آس : أعلم هذا . وأعلم أيضا أن الندم يغفر الذنوب . ليكن اذن ، سأندم !

الفصل الثالث . المشهد الثالث

المنظر : خارج كوخ حديث البناء فى الغابة . قرون غزلان مثبتة على الباب . الثلج متراكم فى أكوام عالية . الوقت غسق . بيرجينت واقف بالباب يثبت رتاجا خشبيا كبيرا . بين الحين والحين يتوقف ويضحك .

پـير : يجب أن أضع رتاجا . رتاجا يضمن لى أن يدرأ الباب عنى الجان ، والرجال والنساء . على أن أضع رتاجا ، رتاجا يصد عنى طائفة الشياطين المسمومة الأنفاس . انها تهبط حين يأتى المساء . تدق الباب وتخبط عليه ، وتصيح : افتح يا بير اننا خفاف الحركة كالأفكار ! سنزحف تحت الفراش ، وننكش فى الرماد ، وننفخ فى المدخنة فتسقط كالتنين الملتهب . هى — هى — ! يا بيرجينت ، أتظن أن المسامير والأخشاب تمنع عنك الأفكار العفريتية ؟

(تدخل سولفيج على قبقاب الانزلاق . جاءت عبر الأرض الخلاء . تلبس شالا وتحمل فى يدها صرة) .

سولفيج : كلل الله عملك بالنجاح ! رجوتك ألا تطردنى . لقد طلبتنى وها قد جئت . والآن أنا ملك لك .

پـير : سولفيج ! لا ، لا يمكن — ! بل هى أنت فعلا ولا تخافين أن تقربينى الى هذا الحد !

سولفيج : قد بعثت برسالة مع هيلجا الصغيرة ، وجاءت رسائل أخرى مع الريح والصمت . وكانت كلمات أمك محملة هى الأخرى برسائل ، وفى أحلامى المزدحمة رأيت رسائل كذلك . قالت لى الليالى الطويلة ، الطويلة ، وأيامى الفارغة : اذهبى اليه . فى الوادى ، نضب معين الفرح . عز على الضحك والبكاء معا . لم أدر ماذا يدور فى نفسك ولكنى عرفت ما يجب أن أفعل .

پـير : وأبوك ؟

سولفيج : فى هذه الدنيا العريضة الواسعة ، لا أعرف أحدا أسميه أبى أو أمى . قد تركتهما الى الأبد .

پـير : سولفيج يا درتى ! . كل هذا لأجلى ؟

سولفيج : نعم . لأجلك وحدك . كن لى وحدى ، يا صاحبى ، يا حياتى .

(تبكى) .

أسوأ ما عانيت فراق أختى الصغيرة . وأسوأ منه فراق أبى ، وأشق منهما فراق من حملتنى فى

ذراعيها وعلى صدرها . لا ، غفر الله لى ، بل الأشق فعلا هو ألم فراقهم جميعا — أجل جميعا.

پير : تدرين بالحكم الذى صدر على ؟ كيف صادروا تركتى ؟

سولفيج : ما من أجل متاعك ومنقولاتك تركت من أحبهم كل هذا الحب .

پير : وتعلمين الباقى ؟ حياتى فى خطر لو عثر علىَّ أحد خارج هذه الغابة .

سولفيج : جئت على حذاء الانزلاق . سألت عن الطريق . قالوا لى : « الى أين تقصدين » قلت : «بيتى».

پير : لتذهب اذن المسامير والألواح والقضبان ! مابى حاجة لرتاج يحمينى من أفكار العفاريت . ما دمت جسرت على أن تقيمى معى هنا ، فمقدس هذا الكوخ . خلينى أنظر اليك يا سولفيج ! لا ، لا تقتربى هكذا ! دعينى أديم النظر فيك فأنت نقية ، وجميلة ! دعينى أحملك ، فأنت رشيقة ، مجنحة ! هل أحملك يا سولفيج ؟ لن أتعب قط ! لن تتسخى للمسى . سأحملك بعيدا عنى . أنت مليحة دافئة ! . مَنْ كان يظن أننى أجعلك تهويننى ؟ شد ما طال اليك بالليل والنهار حنينى! انظرى ! قد بنيت هذا ! قطعت الخشب ، أيضا . انه ينهار ! انه ضئيل وحقير —

سولفيج : صغيرا كان أم كبيرا ، أنا أحبه ، فهو بيتك . ما أروح أن ينسم المرء الهواء هنا فى الجبل . الوادى خانق . شعرت اننى فى قبر . من أجل هذا جئت . أما هنا فانى أسمع نواح الصنوبر — اسمع الصمت والغناء — هنا أنا فى بيتى .

پير : وواثقة أنت من حبك ؟ هذا عمل لا رجعة فيه .

سولفيج : جئت اليك — ولا رجوع .

پير : فأنت اذن لى ! ادخلى ! أريد أن أراك داخل البيت . ادخلى ! سآتى بحطب للنار . سرعان ما يصبح المكان وثيرا ومنيرا ودافئا . سيكون دائما أليفا . ولن تحسى قط ببرد .

(يفتح الباب . تدخل سولفيج . يظل واقفا لحظة . ثم يضحك ويقفز من الفرح) .

ابنة الملك ! وجدتها ، كسبتها أخيرا ! والآن يقوم فى هذا المكان قصر ملك .

(يلتقط بلطته ويأخذ فى مغادرة المكان . تظهر عجوز تلبس أسمالا خضرا . وتقترب من غابة الصنوبر . ولد قبيح المنظر ومعه قنينة يقفز على رجل واحدة وراءها ، ممسكا بثوبها) .

المرأة : طاب مساؤك يا بير ، خفيف الرجل .

پير : ماذا ؟ من أنتما ؟

المرأة : صديقان قديمان ، يا بيرجينت ! بيتى قريب . نحن جيران .

پـير : صحيح ؟ لم أكن أعلم .

المرأة : حينما بنيت كوخك ارتفع كوخى الى جواره .

پـير : (محاولا الذهاب) أنا فى عجلة —

المرأة : كنت كذلك دائما . ولكنى سأنقل خطوى الثقيل ، ولا أزال أتبعك .

پـير : أنت مخطئة .

المرأة : لا ، أبدا ! أخطأت مرة .. حين بذلت وعـودك الفاتنة .

پـير : وعود ؟ أنا ؟ ماذا تعنين بحق الجحيم ؟

المرأة : ذلك المساء الذى زرت فيه أبى وشربتما معا — هل نسيت ؟

پـير : نسيت ما لم يحدث قط ! ما هذا ؟ متى التقينا آخر مرة ؟

المرأة : آخر مرة كانت أول مرة .

(للصبى) .

أبوك ظمآن . أعطه شرابا .

پـير : أبوك ؟ أنت سكرانه ؟ أتريدين أن تقولى —

المرأة : يعرف الخنزير من جلده ! أين عيناك ؟ ألا ترى أنه معوج الساقين كما أنك معوج العقل ؟

پـير : تريدين —

المرأة : تريد أن تتملص ؟

پـير : هذا الشقى الطويل الساقيين —

المرأة : قد كبر سريعا .

پـير : أيتها الساحرة العجوز ، هل تجسرين على أن تقولى —

المرأة : اسمع ، يا بيرجينت ، أنت وحشى كالثور !.

(تبكى) .

أهو ذنبى اننى لم أعد على جمالى الذى عهدته يوم غررت بى فى التلال ؟ فى الخريف الماضى ، حين جاءنى المخـاض ، كان الشـيطان طبيبى الوحيد . لا غرو أن ذهب جمالى . اذا شئت أن ترانى جميلة كعهدك بى فاطرد هذه الفتـاة . اطردها من عقلك ومن بصرك ، افعل هـذا ، يا حبيبى ، وسيعود الىّ الجمال .

پـير : امشى من هنا ، أيتها الكركوبة !

المرأة : لن ترانى أفعل !

بير : سأفلق رأسك .

المرأة : جرب ، ان جسرت ! لا ، لا يابيرجينت ، انى أتحمل شديد الضربات . سآتى هنا كل يوم . سأفتح الباب وأتلصص عليكما . وحين تجلسان فى وهج النار ، وتهفو نفسك الى حبها ، وتحن الى قبلات وعناق ، ستجدنى الى جانبك فى مكانى الشرعى . سنتقاسمك . سننام بالدور فى فراشك . وداعا ، يا عزيزى بير ، الآن اذهب وتزوج !

بير : أيتها الشيطانة من الجحيم !

المرأة : يالله — كدت أنسى ! عليك أن تربى ابنك ، أيها الشقى ! ، اذهب ، أيها الشيطان الصغير ، اذهب الى أبيك .

الولد : (يبصق) سأحطم رأسك ببلطتى . اصبر ! اصبر على .

المرأة : (تقبل الولد) يا للفرحة ! يا له من ولد ممتاز ! ستكون صنو أبيك حين تكبر ويشتد منك العود!

بير : (يدق الأرض بقدمه) ليت دونكما من البعد .

المرأة : مثلما ما بيننا من قرب ؟

بير : (يقبض راحتيه) وكل هذا —

المرأة : ثمرة أفكار وشهوات . الأمر قاس عليك ، يابير!

بير : هو عليها أشد قسوة ! سولفيج ! يا أجمل ، يا أنقى نضار !

المرأة : آه ، أجل ! انما يقاسى من الناس الأبرياء . هكذا قال الشيطان حينما ضربته أمه لأن أباه عاد اليها وهو بيّن السكر !

(تختفى وراء الشجيرات مع الولد ، الذى يقذف القنينة فيصيب بها رأس بير) .

بير : (بعد قليل) .

در مكانك . هكذا قال بويج . وهذا ما يجب أن أفعل . قد تهاوى قصرى الملكى . كنا جد قريبين. والآن أحاطت بها الأسوار . والجمال والفرح ذهبا الى الأبد .

در مكانك . ليس ثم طريق مستقيم بينى وبينها. مستقيم ؟ هيه .. ربما .. ربما كان هناك طريق . أظن أن بالانجيل شيئا عن الندم . ولكن ما هو؟ ليس معى انجيل . قد نسيت . ليس فى هذا الغاب من يدلنى على الطريق . النـدم ؟ قد تمضى سنوات وسنوات قبل أن أكسب اليها الطريق !

وخلال هذه السنين تكون الحياة خواء ، ويهلك
الانقياء ذوو الجمال . أمستطيع أنا أن أقيم
المتداعى بالقطع والشظايا ؟
قد ترقع الكمان ولكنك لا ترقع الساعة . اذا
أردت لحقلك أن يظل أخضر ، فلا تدسه بالأقدام.
على كل حال ، فقد كانت الساحرة العجوز
تكذب ! قد غابت عن بصرى بأفكارها النتنة ،
نعم ، غابت عن بصرى ، ولكنها لم تغب عن
عقلى. ستعقبها أفكار دساسة . انجريد ! والنسوة
الثلاث اللاتى رقصن وصرخن على التلال !
أيأتين ويلمن ويسخرن ، ويطلبن أن أهصرهن فى
عناق كما فعلت هذه ؟ أو أن يحملن فى حنان على
ذراعين ممتدتين ترحيبا ؟ در مكانك ! لا ، لا ، لو
أن ذراعى كانت طويلة كغصن الصنوبر ، وكجزع
شجرة الشربين ، لضممتها قريبا الى ، ثم وضعتها
على الأرض ثانية كأنقى ما كانت . لا . لا ، لابد
من أن أجد طريقى الدائرى . ليس بحثا عن كسب
أو خسارة وانما لأظهر نفسى من أشياء خير لى
أن أنساها .

(يخطو خطوات ثم يقف)

أأدخل بعد هذا ؟ وأنا خبيث الرائحة ملوث
هكذا ؟ أدخل ومعى هذه الحاشية من الجن ؟
أأتحدث فلا أقطع السكون ، وأعترف ولا أظهر
الخبىء ؟ .

(يلقى بلطته جانبا) .

هذا يوم مقدس . فان ذهبت اليها الآن على هذه
الحال ، فقد دنست القداسة .

سولفيج : (فى العتبة) ألا تدخل ؟

پير : (كأنما لنفسه) در مكانك .

سولفيج : ماذا ؟

پير : عليك بالانتظار . الدنيا ظلام هنا ، وعلى حمل ثقيل .

سولفيج : انتظر ! بل أعاونك ! سآتى وأشاطرك الحمل .

پير : لا ، ابقى حيث أنت . سأتولاه بنفسى .

سولفيج : اذن ، لا تتأخر .

پير : كونى صبورة يا حبيبتى ، مهما طال غيابى —

سولفيج : (تطرق) سأنتظر .

(يدلف الى الغاب . تظل سولفيج واقفة
بالباب وهو نصف مفتوح .) .

الفصل الثالث — المشهد الرابع

المنظر : غرفة آس . مســاء ـ نار المدفأة تضيء الغرفة . القطة راقدة على الكرسى عند الفراش . آس فى الفراش تجذب الأغطية فى قلق .

آس : يا الهى ؟ ألن يعود قط ؟ الساعات تزحف ببطء ولا تنتهى . حتى الرسائل لا أملك أن أبعث بها. ولدى كثير أقوله . لم أعد أملك أن أضيع دقيقة واحدة . هكذا سريعــا ! أيجيء الموت هكذا سريعا ! اشد ما أود لو اقتنعت بأننى لم أكن معه قاسية .

پــير : (داخلا) مساء الخير !

آس : أهذا هو بير ؟ الحمد لله ! أنت هنا أخيرا ، يا بنى العزيز ! أنت تخاطر مخاطرة فظيعة ، وحياتك هنا مهددة .

پــير : حياتى ؟ وما تهم حياتى ؟ أحسست برغبــة فى رؤياك على الفور .

آس : ها قد كذبت كارى . الآن أتركك فى سلام .

پــير : تتركيننى ؟ ما هــذا الذى تقولين ؟ أين اذن تذهبين ؟

آس : آه ، يا بير ، قد دنت ساعتى . لم يعد يبقى فى عمرى الكثير .

پــير : (يوليها ظهره ويقطع الغرفة ماشيا) هيه ! ظننت اننى أهرب الى هنا من المتاعب . ظننت أن هنا ، على الأقل ، مكاناأجد فيه حريتى . هل تحسين بردا ؟ فى قدميك ؟ فى يديك ؟

آس : نعم ، يا بير . أضحت ساعتى قريبة . حينما ترى عينى أظلمتا ، اقفلهما فى رقة كبيرة . ثم تكفل بعد هذا بالتابوت . لابد أن يكون جيد النوع ، يا حبيبى . لا ، بالطبع لبس —

پــير : اسكتى أرجوك ! سيتسع الوقت من بعد لكل هــذا .

آس : نعم ، نعم . (تنظر حواليهــا فى الغرفة بقلق) أرأيت هذا القليل الذى تركوه لنا ؟ عملوا على شاكلتهم .

پــير : (يستدير فى حدة) عدتِ لهذا الحديث ! (فى

خشونة) أعلم أن هذا كله بسببى . فلا تذكرينى به .

آس : أنت ! لا ، انما المسئول تلك الخمر اللعينة . انها أس البلوى . كنت سكرانا يا بنى ، يا بنى العزيز. لم تدر ماذا كنت تفعل . وهذا الذى فعلته من ركوب الغزال ! لا غرو أن بدت أحوالك غريبة !

پير : نعم ، نعم ، فلننس كل هذا الهراء . لننس المسألة اللعينة كلها . لنخزن أحزاننا جميعا ولنبقها لقابل الأيام .

(يجلس على حافة الفراش) .

الآن ، خلينا نتحدث حديثا طويلا عذبا فى هذا وذاك . لننس الحزن والألم . انظرى هذه قطتنا العزيزة ! لا تزال حية ! بعد كل ما جرى !

آس : بالليل تصبح كثيرة القلق . تعرف معنى هذا ، أليس كذلك ؟

پير : (يغير الموضوع) هل من اشاعة جديدة هنا ؟

آس : (تبتسم) يقولون ان فى الحى فتاة ، تتشوف للمرتفعات —

پير : (بسرعة) ومادز موين . هل استقرت به الأحوال؟

آس : يقولون ان انجريد لا تعير دموع والديها ولا توسلاتهم أذنا صاغية . اذهب وزرهم فقد تقدم لهم بعض العون .

پير : والحداد ؟ ماذا يفعل « أسلاك » ؟

آس : لا تذكر هذا الحداد النتن . من الخير أن أذكر لك اسمها . الفتاة هى — أنت تعلم — اسمها —

پير : لنجعل حديثنا العذب الطويل عن هذا وذاك من الأمور ، ولنترك كل ما هو حزين ومؤلم . أنت ظمآنة ؟ سآتيك بماء . ألديك براح من الفراش لتمدى أطرافك ؟ هذا السرير يبدو صغيرا عليك . الله ! لابد أنه سريرى وأنا طفل صغير . كل مساء كنت تجلسين على حافة الفراش وتدسيننى تحت الأغطية ، وتغنين لى أغنيات الأطفال . وأحيانا كنت تنادين على الماشية لتعود. أتذكرين ؟

آس : نعم . نعم . وهل تذكر أنت كيف كنا نلعب لعبة الزحافات ، حين يخرج أبوك ؟ كنا نتخذ من الملاءة زحافة ، ومن الأرض برزخا تحاصره الثلوج .

پــير : نعم ، نعم ، ولكن هل تذكرين ما هو أمتع من كل هذا جميعا ؟ جيادنا العربية النارية الحماس ..

آس : كأن فى مقدورى أن أنساها ! كانت هذه الجياد قطة كارى استعرناها ، ووضعناها عالية فوق كرسى —

پــير : وجعلنا نسوقها صاعدين التــلال وهابطين الى الودياذ ، لنصل الى قصر صوريا موريا ، القصر الذى يقع غرب القمر وشرق الشمس . وجعلت من عصا وجدتيها فى ركن من الصــوان سوطا تحثين به الجياد .

آس : جلست فى المقدمة كالسائق .

پــير : نعم ، وتركت الأعنة تتراخى ، واســتدرت الى ونحن نمضى تسأليننى : هل أحس البرد . بارك الله فيك أيتها العجوز القبيحة الجميلة ، فقــد كنت دائما محبة عطوفا — ! لم تنوحين ؟

آس : ظهرى ، يا حبيبى ، يؤلمنى على هــذه الألواح الخشنة .

پــير : انهضى اذن ، ودعينى أمسك بك .. هكذا ! هذا يريحك أكثر .

آس : (فى قلق) أريد الله أن يختارنى ، يا بير .

پــير : يختارك ؟

آس : أشتاق الخلاص .

پــير : لفى نفسك فى أغطية الفراش . سأجلس على حافة السرير ولنقض المساء فى سمر . سأغنى لك مثلما كنت لى تغنين . وسأنادى الماشية .

آس : رجوتك يا بير أن تعطينى كتاب صــلاتى . ان روحى قلقة .

پــير : فى قصر صوريا موريا ، أولم الملك والأمــير وليمة . فارقدى الآن على وسادتك وسآخذك الى هناك فى عربتى .

آس : ولكن ، هل أنا مدعوة يا بير ؟

پــير : نعم ، كلانا بين المدعوين .

(يلقى قطعة من الخيط حول مقعد القطة ، ويمسك بعصا فى يده ، ويجلس على حافة الفراش) .

شى — ! أرنا همتك يابلاكى ! أمى ، هل تحسين ببرد ؟ آه ! الآن تتقدم والفرسة جرين فى مألوف خطوها السريع .

آس : حبيبى بير ، اسمع أجراسا تقرع .
پـير : انها أجراس الزحافة اللامعة ، يا حبيبتى !
آس : انه قرع أجوف كالأشباح .
پـير : نحن نمر فوق « برزخ » .
آس : بير ، انى فزعة . ما هذا الذى يتنهد ؟ وما هذا الهمس المخيف ؟
پـير : انها أشجار الصنوبر ، يا أمى ، تتمتم على التلال.
آس : الأنوار تلتمع على المدى . أتعرف من أين يأتى النـور ؟
پـير : من نوافذ القصر . أتسمعينهم يرقصون ؟
آس : نعـم .
پـير : وهذا القديس بطرس ، يقف ، حارسا ، خارج القصر . انه يدعوك للدخول فورا .
آس : هل هو يحيينى ؟
پـير : نعم . تحية الشرف ، ويقدم لك النبيذ الحلو .
آس : ومعه فطير يقدمه مع النبيذ ؟
پـير : نعم ! طبق منه ملىء . وزوجة القس تصنع لك القهوة ، ومعها الحلوى .
آس : آه ، يا الهى ! وهل حتم أن أقابلها ؟

پـير : ان أردت ، يا حبيبتى ، بالطبع .
آس : أنت تسوق أمك العجوز المسكينة الى حفلة جميلة يا بير .
پـير : (يفرقع بسوطه) شى ! أسرع يا بلاكى !
آس : أنت واثق اننا على الطريق الصحيح ؟
پـير : (يفرقع بالسوط ثانية) هو طريق مريح
آس : ولكن الرحلة طويلة ومتعبة .
پـير : القصر باد ، قريب . سرعان ما ندخل .
آس : سأرقد الآن ، وأغمض عينى ، واثقة فيك ، يابنى الحبيب .
پـير : أسرعى الخطو ، يا جرين . ثمت جمع هائل حول القصر . انهم يتجمهرون عند المدخل . بيرجينت وأمه هنا ! ماذا قلت أيها السيد القديس بطرس؟ أمى لا تدخل ؟ أملأ الدنيا بحثا ، طولا وعرضا ، فلن تجد مثلها نبل روح . لن أذكر نفسى ، فانى أستطيع أن أعود من حيث أتيت . اذا دعوتنى ، فسأبقى طبعا . وان لم تفعل فأنا راض. قد كذبت على الناس عدد ما كذب أبو الأكاذيب . سميت أمى دجاجة ، لأنها كانت تزعق وتكاكى ، ولكن

عليك أن تقدرها وتسبغ عليها أمارات الشرف ، وتسرها وتسعدها . لن تجد من هى خير منها فى هذه الأنحاء وفى هذه الأيام . هو ، هو ، هذا هو الرب ! يا قديس بطرس ، الآن ينالك التقريع.

(فى صوت عميق) .

« لا تكن متكبرا مصعرا الخد هكذا . الأم آس تدخل على الرحب والسعة » . (يضحك ويلتفت لأمه) أسمعت ! ألم أقل لك ؟ القديس بطرس انكمش وتضاءل . (فى قلق) أمى ؟ ماذا جرى قولى لى ، هل جننت ؟ (يذهب الى مقدمة الفراش) لا تحدقى فىّ هكذا ، يا أمى قولى شيئا أنا بير ، ابنك الحبيب ! .

(يتحسس جبهتها ويديها فى حنان . ثم يلقى بالخيط على المقعد ويقول فى صوت خفيض) .

الآن ، استريحى يا جرين . قد بلغنا نهاية الطريق. (يغمض عينيها وينحنى فوقها) شكرا لله ، يا حبيبتى لكل ما وهبتنى . الضرب والقبلات معا . والآن اشكرينى أنا أيضا . (يضغط خده على فمها) هذا كان أجرك على الرحلة .

كارى : (داخلة) من ؟ بير ؟ اذن قد أنهيت حزنها ، وألمها. يا الهى العزيز ، انها تنام بعمق — أم هى — ؟

بير : هس ! هس ! لقد ماتت . (كارى تبكى بجوار الجثة . بير يذرع الغرفة وقتا طويلا . ثم يتوقف عند الفراش) . ادفنيها دفنة كريمة . على أن أرحل الآن .

كارى : أتذهب بعيدا ؟

بير : نعم ، أركب البحر .

كارى : تمعن فى البعد هكذا ؟

بير : نعم ، وأبعد .

الفصل الرابع

المشهد الأول

« الشاطىء الجنوبى الغربى فى مراكش »

المنظر : مائدة معدة للعشاء بين غابة من النخيل ، وتحت مظلة من القماش . على الأرض بســـاط من لحـــاء النخيل المجدول . والى الخلف اسرة معلقة مصنوعة من الحبال . فى الميناء يخت بخارى ، يرفع العلمين النرويجى والامريكى . على الشط يرى زورق من زوارق خـــدمة السفن . الوقت قرب مغيب الشمس . يبدو بير جينت جميل المنظر ، وهو الآن فى منتصف العمر ، ويرتدى بذلة رشيقة للسفر ، مثبت فى سترتها منظار محلى بالذهب . بيرجينت على راس المائدة ومعه مستر كوتون ، ومســـيو بالون ، وهـــرفون ايبير كويف ، وهـــر ترامبيتارستال ، والجميع يتناولون العشاء .

پـــير : اشربوا ، يا سادة ! ما دام المرء مخلوقا للمتعة ، فليشرب منها حتى يرتوى . يقولون ان ما فات فات . والماضى أبدا لا يعود . ماذا تشربون ؟

ترامبيتارستال : أنت أمير المضيفين ، أيها الأخ العزيز جينت —

پـــير : فلتشارك أموالى الطباخ والساقى فى هذا الشرف

كوتون : ليكن اذن ! لنشرب نخبنا نحن الأربعة !

بالون : مسيو ، ان لك ذوقا ورنة ترحيب نادرا ما نلقاها هذه الأيام من عزاب يعيشون en garçon هناك شىء لا أدرى كيف أصفه .

فون ايبير كويف : انه يتمثل فى اشارة يديه ! هو مرآة التحرر ، والتأمل الروحى ، والانتماء الى العالم كله . له رؤيا تخترق السحب من فرط النفاذ ، وعقل خال من التحيز ، وان اصطبغ بصبغة النقد الأعلى[1] ، وله ميزة الـ Ur-natur ومعرفة حقة بالحياة ، هذه الصفات الرائعة جميعا ملتحمة فى كل واحد يشمل سائر الأشياء أليس هذا ما عنيت ، مسيو؟

بالون : نعم . محتمل تماما . ولو أن عبارتى الفرنسية أقل من هذا فخامة وطنطنة .

فون ايبير كويف : Ei was [2] ان لسانكم محدود . ولكننا كنا نبحث عن سبب هذه الظاهرة .

پـــير : قد عرف هذا السبب . أيها الســـادة ، اننى لم أتزوج ، وهذا يفسر كل شىء . اذ ، ما هو واجب الانسان ؟ باختصار : هو أن يكون نفسه ، وأن

---

(١) الطبيعة الأولى .
(٢) لا يا شيخ .

يكرس نفسه لنفسه ، ولما يخصه ، يفعل هــذا
دائما وبلا حدود . واني له أن يفعل هذا ، اذا كان
كالجمل ، يحمل على ظهره أفراح غيره وأتراحهم؟

فون ايبير كوبف : ولكن — ميزة أن تكون كل شيء لنفسك —
لا شك أنك كافحت من أجل كسبها ؟

پــير : فى سبيلها لم ينقطع لى كفاح ، ولكنى دائما كنت
أوفق فى الخروج من المعركة موفور الشرف ،
ولو أننى فى مناسبة واحدة كدت أنزلق . كنت
اذ ذاك شابا مرحا ، متلافا ، وكانت السيدة التى
أحببت من أسرة ملكية .

بالون : ملكية ؟

پــير : (بلا احتفاء) واحدة من أولئك الأسر — لا ريب
انكم عرفتم بعضها —

ترامبيتارستال : (ينقر على المائدة) مغفلون ذوو دم أزرق —

پــير : (يهز كتفيه) لهم أنساب لا محل لها اليوم ، كل
همهم أن يحفظوا حسب أسرهــم من أن تلوثه
بصمات الرعاع .

كوتون : وماذا حدث ؟ هل فشلت الزيجة ؟

بالون : عارضت الأسرة القران ؟

پــير : العكس .

بالون : آه !

پــير : (فى برود) آه ، ستبتسمون الآن ! تطــورت
الأمور حتى أصبح من الحكمة أن تتزوج من
فورنا . ولكننى ، بصراحة ، وجدت المسألة من
أولها لآخرها ، كريهة الطعم . وأنا من عــدة
وجوه مبالغ فى التدقيق . وأحب دائما أن أقف
بفضل ساقىّ ، وليس بعون الآخرين . ولذا ،
فحينما أخذ أبوها يلمح الى طلبات يراها معقولة
وعادلة ، من أمثال : ضرورة أن أتنازل عن اسمى
ومركزى الاجتماعى وأنضم الى الفريق الذى
يمثله ، ثم عدد آخر من الطلبات لم أجدنى قادرا
ولا راغبا فى قبولها ، رفضت انذاره النهائى ،
وانسحبت بالكبرياء المطلوب ، وأحللت عروسى
المتفتحة من التزامات العقد .

(ينقر على المائدة ويتظاهر بالتقوى) .

نعم ، نعم ، ان القدر هو الذى يقود خطواتنا .
وعلى الانسانية أن تعتمد عليه . بل أن فى هذا
راحة ، صدقونى .

بالون : وهل انتهت المسألة عند هذا الحد ؟

پــير : لا ، أبدا ، بل تعدته بكثير ، تدخــل غيرنا فى الموضوع ، وقام هياج شديد ، وطالب الشبان من أسرة العروس برد شرف . وكان أن بارزت من لايقل عن سبعة منهم . سأظل اذكر هذا حتى أموت . غير أننى ، مرة أخرى ، خرجت محتفظا بكرامتى ، سالت دماء طبعا ، ولكن هذه الدماء نفسها حفظت على سمعتى ، وأكدتما أوضحته لكم وهو أن القــدر هو دائما بجانبنا يقــود خطواتنا .

فون ايبير كويف : ان نظرتك الى الحياة قد رفعتك الى مصاف كبار المفكرين . وبينما معظم الناس يرون مناظر الحياة مجزأة منظرا منظرا ، ومنفصلة عن الكل الذى يصنع البانوراما ، تراها أنت بمنظار محيط . ان نظرتك تسع كل شيء ،وأسس الحياة عندك كأنها الأشعة تصدر عن شمس مركزية ، هىلب تأملك العميق . ومع هذا تقول لنا انك لم تتثقف .

پــير : أنا ، كما قلت لكم من قبل ، انسانبسيط ، علم نفسه بنفسه . لم يكن تحصيلى على منهاج . ولــكننى فــكرت ، وقرأت كثيرا فى معظم الموضوعات ومن سوء الحظ اننى لم أبــدأ التحصيل قبل أن يتقدم بى العمر ، واتعدى مرحلة الشباب ! ومعنى هذا اننى كنت أشق طريقى بصعوبة ، صفحة وراء صفحة ، محاولا استيعاب كل شيء . ولقد قرأت التاريخ فى نوبات متقطعــة . لم يكن لدى وقت للدراسة المــركزة . ولما كنا محتــاجين الى ملاذ نهرع اليــه حين لا تنجح مشروعاتنا ، فقد أخذت أتشرب الدين . وعلى هذا النحو ، أصبح أيسر لى أن أبتلع المكاره ، كما نبتلع حبوب الدواء المغطاة بالسكر . ليس ثم فائدة فى ادمان القراءة، بل الواجب أن يلتقط المرء ما يمكن الافادة منه — وحسب .

كوتون : هذا ، على الاقل اتجاه عملى .

يشعل سيجارة

(يشعل سيجارا)

پــير : أيها الأصدقاء — تأملوا مجرى حياتى . حينما رحلت الى الغرب ، كنت معدما . صفر اليدين ، وكنت ملزما بالعمل لكسب قوتى . صدقونى أنه كان أمرا عسيرا . ولكن الحياة حلوة ، والموت

مر ! ثم واتانى الحظ ، وكان القدر بى حفيا . تعلمت فقد كنت قابلا للتعليم. وسارت الأمور على ما يرام ، ثم تحسنت وزادت تحسنا ، وفى عشرة أعوام أصبحت كالملك كروسس [١] بين أهل تشارلستون ، طار صيتى من ميناء لميناء ، وسارت سفنى بشيرا بطالع السعد .

كوتون : وفيم كنت تتجر

پـير . العاج الاسود ! كنت اشحن العبيد لكاورلينا ، والاصنام للصين .

بالون : Fi donci [١]

ترامبيتارستال : انت تمزح ، يا عم جينت !

پـير : انتم ولا شك ترون المسألة قد تأرجحت شيئا ما على حدود ما هو مشروع . لقد خالجنى نفس الشعور ، وأحسسته بقوة . بل الواقع أن

---

(١) يضرب به المثل فى الثراء . كان ملك ليديا بين الأعوام ٥٦٠ – ٥٤٦ ق . م . وأصاب من الثروة ما جعله واسع الجاه ، فقصد بلاطه الحكماء والعلماء من أنحاء اليونان كافة . (المترجم) .

ويسميه العرب ملك قارون « المراجع » .

(٢) بئس هذا .

تجارتى أضحت بغيضة فى نظرى . غير اننى كنت قد بدأت ، وأؤكد لكم أن انهاءها لم يكن سهلا. وعلى كل حال فان تصفية تجارة فى مثل هذا الحجم الهائل وتتناول الآلاف ، أمر لا يمكن أن يتم دون أن يجلب كارثة . وقد كنت دائما أبغض تصفية الأشياء . ومن جهة أخرى فأنا دوما حفى بما نسميه النتائج ، وعندما اضطر الى خرق القانون ، تجدوننى شقيا . ثم اننى كنت أتقدم فى السن ، ويزداد اقترابى من الخمسينات ، وكان شعرى يتحول عنه السواد . كانت صحتى طيبة، ولكن فكرة واحدة لم تزل تتردد فى نفسى : « من يدرى متى تحين ساعتك ؟ من يعلم متى يحق عليك القول ، ويحل حسابك ؟ » فماذا كنت فاعلا ؟ لم يكن سبيل الى ايقاف تجارتى مع الصين . وسرعان ما وجدت الحل !

فقد نظمت نوعا آخر من التجارة مع تلك البلاد. واصلت ارسال الأصنام لها كل ربيع ، ولكنى فى الخريف كنت أرسل اليها المبشرين مجهزين بكل

ما يلزم عملية التبشير من جوارب وأناجيل وروم وأرز .

كوتون : بأرباح طيبة !

پـير : طبعا ! وأكثر من هذا ، فقد نجح مشروعى . فقد بذل المبشرون أقصى الجهد . وفى مقابل كل صنم كنت أبيعه ، كان واحد من الكادحين يتحول الى الدين المسيحى . أجهد المبشرون أنفسهم وأمكن القول أن مكاسبهم قد عادلت أصنامى . ولم يكف المبشرون قط عن محاولة اللحاق بالأعداد الكبرى من الأصنام التى كنا نبيعها .

نوتون : وماذا جرى لتجارة العبيد ؟

پـير : مرة أخرى تغلب على حبى للأخلاق الكريمة . كنت أدرك أنها ليست تجارة من يتقدم بهم العمر. فمن يدرى متى يموت المرء . والى جوار هذا كنت أحسب حساب آلاف الشباك التى ينصبها فى طريقى دعاة الانسانية الأعزاء . فقد تقع سفنى فى الأسر دونما انذار . الى جوار أخطار الريح وتقلب الجو . ومثل هذه الأفكار جعلتنى أعقد العزم . قلت لنفسى : « يا بير ، لمّ شراعك ، وأعمل كى تكفر عن ذنبك » . وهكذا ، اشتريت أرضا فى الجنوب ، واحتفظت لنفسى بآخر شحنة آدمية ، وكانت من نوع فاخر ، ثم أنزلتهم الى البر فى أرضى ، وجعلتهم يستقرون هناك ، وسرعان ما ازدهروا ، وسمنوا وحلت عليهم النعمة ، وأصبحوا مصدر فخر لى ولأنفسهم . بل انى لا أفاخر بنفسى حين أقول ، اننى كنت بمثابة الأب لهم جميعا وحققت ربحا طيبا . فبنيت لهم المدارس حتى تظل روحهم المعنوية فى أعلى قمم الامتياز . وفرضت عليهم رقابة صارمة ، حتى لا يرتدوا من بعد . ثم حدث أن انصرفت عن هذا اللون من النشاط ، فبعت المزرعة بقضها وقضيضها ، ثم تقدمت اليهم بهدية الوداع ، فكلت لكل شيئا من الشراب ، قدمته مجانا ، فشرب الرجال والنساء حتى ارتووا . أما الأرامل منهم ، فقد نال كل شيئا من النشوق الى جوار الشراب . وهكذا ، وبكل اخلاص أقول لكم اننى أومن بالنص الذى يقول ان من لا يفعل الشر انما يفعل بهذا بعض الخير . ان

هذا القول ليس خداعا كله . وأظنني مستطيعا أن أقول وأنا أكثر قربا من الحق من معظم الناس ، ان حسناتى تعدل سيئاتى .

فون ايبير كوبف : (يرن معه الكأس) انه لمن الباعث على الموعظة حقا أن نسمع هذا العرض لخطة حياة عملية ، لا تعوقها النظريات الغامضة ، ولا تقض مضجعها مظاهر القلق الخارجى .

(خلال حديثه الأخير هذا ، كان بيرجينت يعب بنشاط من زجاجته) .

پــير : نحن أهل الشمال تعلمنا من زمان ألا نركن لأنصاف الحلول . ان مفتاح الحيــاة يكمن فى الحكمة التالية : صم أذنيك عن ســماع فحيح الحية القتالة .

كوتون : أية حية تعنى ، يا صديقى العزيز ؟

پــير : تلك التى تغريك بأن تفعل ما لا رجوع فيه .

(يشرب ثانية) .

كل منا يملك أن يعمل فى شجاعة ، ويكون ثابت الجنان ، طالما هو يناضل ليتجنب شراك الحياة الكثيرة ، يناضل وهو يعلم أن يوم القتال ليس

آخر أيامه ، مبقيا جسرا سليما يعبره ليصل الى دار أكثر أمنا . هذه الخطة قد أبقت علىّ حتى الآن ، ولونت أفعالى . انها أرث تخلّص الى من الأسرة ، وتسلمته من طفولتى الباكرة .

بالون : أنت نورويجى ، أليس كذلك ؟

پــير : بالميلاد ، ولكن عالمى مزاجا . أما النجاح الذى أصبته فمرده أمريكا ، ومكتبتى العامرة مؤلفوها أكثر الألمان عصرية . واتخذت من فرنسا أنماط ملابسى ، ومنها كذلك سلوكى وفكاهتى الذكية. أما انجلترا فقــد أمدتنى بالنشاط العمــلى ، وأسبغت علىّ احساسا مرهفا بما هو فى صالحى. وعلمنى اليهود الصبر ، وفى ايطاليــا لقنت حب ال[١] dolce for niente . ومرة وقعت فى مأزق خطير ، فأنقذت نفسى منــه بسيف من الصلب السويدى .

ترامبيتارستال : (رافعا كأسه) نعم ، الصلب السويدى !

فون ايبير كوبف : فلنتقدم بالتحية للرجل الذى يحرك سيفه بكل هذا النجاح .

---

(١) الحياة الحلوة بلا مقابل من عمل .

(يقرعون الكئووس ويشربون. يحمر وجه بيرجينت من فرط الشراب)

كوتون : ما قلته الى الآن يخلب اللب . ولكنى ، يا سيدى، أود لو علمت ماذا تنوى أن تفعل بكل هذا المال.

پــير : هيه ؟ افعل به ؟

الأربعة : (يقتربون) نعم ، قل لنا !

پــير : أولا ، وقبل كل شيء ، سأسافر . من أجل هذا صحبتكم فى سفينتى من جبل طارق . أنا محتاج لرفقاء سفر . كهنة يقومون على خدمة الهيكل الذى أعبد فيه العجل الذهبى .

فون ايبير كويف : يا لك رجلا لامع الذكاء !

كوتون : ولكن المرء لا يسافر من أجل الرحلة فقط . لاريب أن لك من وراء السفر غرضا هو .. ؟

پــير : ان أصبح أمبراطورا !

الأربعة معا : ماذا ؟

پــير : (يهز رأسه) امبراطورا .

الأربعة معا : امبراطور من ؟

پــير : العالم كله .

بالون : ولكن كيف ، يا صديقى ؟

پــير : بقوة الذهب ! فكرة الامبراطور هــذه ليست جديدة علىّ . قد كانت مصدر الهامى طــوال حياتى . كنت وأنا صبى أحــلم وأحلق فوق المحيطات على جناح من السحب . كنت أطــير مزدانا بالحرير والذهب ثم أهوى من بعد بكل ثقلى على الأرض. غير أن الهدف، أيها الأصدقاء، ما كان يغيب قط عن ناظرى . قال فيلسوف أو آخر ، لا أدرى فى أى كتاب ، ومن أسف أننى لا أدرى أى كتاب ، انك اذا كسبت العالم كله وفقدت نفسك ، أصبح كسبك تاجا على جمجمة مفتوحة الشدقين . هذا ما قاله ذلك الفيلسوف — أو هو قال شيئا شبيها به . وهذه — أقول لكم — كلمات غير جوفاء .

فون ايبير كويف : قل لى ، ما هى النفس الجنتية ؟

پــير : هى ذلك العالم هنا ، داخل رأسى . العالم الذى يجعلنى من أنا ، وليس شخصا آخر ، مثلمــا لا يمكن أن يصبح الاله شيطانا .

ترامبيتارستال : الآن أتبين ما ترمى اليه .

بالون : مفكر رفيع الشأن !

فون ايبير كوبف : شاعر عظيم !

پـير : (فى انفعال متزايد) النفس الجنتية — هى جيش من الأمانى ، والمساعى والرغبات . النفس الجنتية — هى بحر من الخيالات والأشواق والأوامر . انها كل ما يفور داخل صدرى . هى كل ما يجعلنى أحيا الحياة التى أحيا . انها كل ما يجعلنى من أنا . ولكن ، كما خلق الله الأرض ليكون لها الها ، أجدنى أنا ، بيرجينت ، محتاجا للذهب أجعل به من نفسى امبراطورا .

بالون : ولكنك الآن تتقلب فى الذهب .

پـير : ما لدى يكفى ليجعلنى دوقا على طريقة ليب — ديتمولد ، يوما أو يومين — لا غير . لا . بل يجب أن أحقق ذاتى بجماعها . أريد أن أكون جينت فى كل مكان . السيد بيرجينت من الرأس حتى أخمص القدم .

بالون : (منتشيا) وتملك أجمل ما فى العالم من كنوز .

فون ايبير كوبف : أقبية خمور جوهانزبرج ذات المائة عام .

ترامبيتارستال : وكل ما ملك شارل الثانى عشر من سلاح .

كوتون : وقبل كل شىء ، فرصة المزيد من الربح .

پـير : أرى أن الفرصة قد واتتنى ونحن نرسو على الشط . هذا المساء ، نتجه شمالا . قد حمل لى ما رفع الى على ظهر السفينة من صحف أنباء هامة .

(ينهض ويرفع كأسه) .

هذا يثبت أن الحظ انما يعين من يعين نفسه .

الأربعة معا : ماذا ؟ ماذا جرى ؟

پـير : اليونان فى هياج .

الأربعة معا : من ؟ اليونان ؟

پـير : نعم ، قد ثاروا .

الأربعة معا : مرحى !

پـير : والأتراك فى حيرة من أمرهم .

(يفرغ كأسه فى جوفه) .

بالون : الى اليونان ! هنالك طريقة المجد ! سأعين اليونان بسيف فرنسا !

فون ايبير كوبف : سأحثهم على السير — ولكن على مبعدة !

كوتون : سأحثهم على السير — بعقد كبير أبرمه .

ترامبيتارستال : الى الأمام ! فى « بيندر » سأعثر على مهماز شارل الثانى عشر الطائر الصيت .

بالون : (يهجم على بير ليعانقه) يا صديقى ، عفوك . أسأت الظن بعض الوقت بأهدافك .

فون ايبير كوبف : (يشد على يده) ، وأنا ، كالأحمق ، ظننتك وغدا .

كوتون : هذا كلام غليظ . أما أنا فما ظننت بك الا الغباء .

ترامبيتارستال : (محاولا تقبيله) وأنا ، يا عمى ، ظننت انى احطت بك حين قلت لنفسى : انه أحقر صنوف اليانكى .

فون ايبير كوبف : كنا جميعا مخطئين .

پير : لست أفهمكم .

فون ايبير كوبف : الآن نتبين عظمة ذلك الجيش الجينتى من الأمانى والأشواق والرغبات .

بالون : (فى اعجاب) مسيو جينت ! هذا ما قصدت !

فون ايبير كوبف : (معجبا هو الآخر) هذا جينت شريف !

پير : ولكن قولوا لى — ؟

بالون : ألا تفهم ؟

پير : أفهم ؟ على اللعنة ان كنت فاهما .

بالون : ستساعد اليونان بالمال وأسطولك من السفن !

پير : (يصفر) لا ، شكرا لكم . أنا أؤمن بأن القوة هى الحق . سأقرض الأتراك أموالى .

بالون : لا يمكن !

فون ايبير كوبف : طريف ! نكتة طيبة .

(يصمت بيرجينت برهة ، ثم يتكىء على كرسى ، ويتخذ سمت العظيم السامى .) .

پير : اسمعوا ، أيها السادة ، الآن يذوب آخر ما يربطنى بكم من صداقة . من الخير لنا أن نفترق من فورنا . انما يقامر بالشىء من لا يملك شيئا يخسره . اذا كان ما تملك من أرض لا يتعدى طول ظلك ، فمصيرك الواضح أن تصبح وقودا للمدافع . أما ان كنت ميسورا كما أنا ميسور ، فخطر القمار اذ ذاك أكبر . تريدون الذهاب الى اليونان ! سأحملكم اليها بلا مقابل . سأنزلكم الى البر موفورى السلاح . وكلما نجحتم فى اشعال نار الحرب كلما رضيت عنكم . اضربوا بشدة من أجل الحرية ومن أجل

الحق ! الى الأمام ! قدما ! قدما ! أذيقوا الكفار طعم النار ! وودعوا الحياة ممجدين ، مرفوعة رؤوسكم على حراب الانكشارية ! ثم ، قدموا من أجلى الأعذار !

(يضرب جيبه) .

المال ! نفسى ! السيد بيرجينت !

(يفتح مظلته ويذهب الى حرجة النخيل حيث ترى السور المعلقة .) .

ترامبيتارستال : الخنزير !

بالون : أين ذهب احساسه بالشرف ؟

كوتون : مالنا وللشرف ! اذكروا ما يمكن أن نحقق من أرباح لو أن اليونان حصلت على استقلالها .

بالون : رأيت نفسى غازيا متوجا ، تقوم على خدمتى الحسان من أهل اليونان .

ترامبيتارستال : رأيت ذلك المهماز الشهير وقد استقر مطمئنا فى يدى السويديتين .

فون ايبير كوبف : رأيت « الكولتور » الألمانية تزحف على البر والبحر .

كوتون : بل الخسارة المادية أكبر من كل ما عداها

يا للعنة ! أوشك أن أبكى من فرط الغضب ! رأيت نفسى مالكا لجبل أوليب .فلو كان هذا الجبل جديرا حقا بما له من شهرة لوجب أن أجد فيه كنزا من النحاس يطلب من يستخرجه. وهذا النهر الذى يكثر الناس الحديث عنه — نهر كاستال ، انهم لا يعلمون أن مساقط المياه فيه قادرة على توليد ألف حصان من طاقة الكهرباء .

ترامبيتارستال : سأذهب برغم كل العقبات . ان سيفى السويدى أغلى كثيرا من ذهب ذلك اليانكى ..

كوتون : ربما ، ولكننا حين ننضم الى صفوف المحاربين العاديين — ولا مفر من هذا — فسنضيع فى زحمة الجمهرة ، واذ ذاك أنى لنا أن نحصل على ربح ؟

بالون : ما أشد ما قربنا من النجاح ، وشد الآن ما بعدنا عنه !

كوتون : (مهددا اليخت بقبضة يده) .

ان ذهب ذلك النخاس الغنى مقبور فى تلك السفينة التابوت !

فون ايبير كويف : فكرة رائعة ! اسرعوا ! اسرعوا ، اسرعوا ! الآن أوشكت امبراطوريته أن تتداعى ! مرحى !

بـالون : ماذا تقول ؟

فون ايبير كويف : استولوا علـى السفينة . سنرشوا البحارة . لن يكون هذا عسيرا ! اركبوا ! استولوا على اليخت .

كوتون : لا تستطيعون !

فون ايبير كويف : سنسرق هذه الباخرة اللعينة !

(يذهب الى الزورق) .

كوتون : فى هذه الحال ، تملى على مصالحى أن أسرق شيئا أنا الآخر .

ترامبيتارسـتال : هذا الرجل لص !

بـالون : ياله من اجرام ! Enfin[1]

(يتبعان الآخرين) .

ترامبيتارسـتال : ليكن اذن . سأتبعهم ، ولكنى أولا أحتج أشد الاحتجاج أمام ساحة العالم أجمع .

(يتبعهم) .

---

(١) نهايته !

الفصل الرابع : المشهد الثانى

المنظر : مـكان آخـر من الشاطىء . ضوء القمر منتشر ، والسحب تمضى سراعا . اليخت منطلق بعيدا فى البحر بسرعة كاملة بيرجينت يجرى على طول الشـط . يقرص ذراعه ، ثم يتطلع الى البحر محدقا فيه .

پـير : كابوس ! أوهـام ! لن ألبث أن أستيقظ ! السفينة تبحـر ! بأقصى سرعة ، أيضا ! انى أحلم ! أنا نائم ! أنا مجنون ! أنا سكران !

(يعض يديه) .

لا أريد أن أموت هنا ! مستحيل !

(يمزق شعره) .

هذا حلم ! انى أقرر انه حلم . أمر مخيف ! ولكن ، يا للأسى ، انهـا الحقيقـة ! هؤلاء الأصـدقاء الثعالب الذين اتخذتهم ! اسـمع دعاى ، يا الهى ! أنت حكيم . أنت عادل ! ثم احكم بيننا !

(ناشرا ذراعيه) .

انه أنا الذى يدعوك ! بيرجينت ! سألتك أن تسمع دعاى ، يا الهى ! أعنى ، أيها المولى ، والا هلكت ! اجعلهم يعودون بالسفينة ! اجعلهم ينزلون الزورق ! اقبضوا على اللصوص! أصبهم بعطب ما ! اسمعنى ! انس غيرى من الناس ! Pro tem (1) . العالم يستطيع أن يدبر أموره بنفسه برهة ! لا . الله لا يسمعنى ! انه قد ازداد صمما ! يا لها من حال ! اله لا يقدر على العون !

(يشير الى السماء) .

اسمع ! لقد تنازلت عن مزرعة العبيد ! وأرسلت المبشرين الى آسيا ! هل جزاء الاحسان الا الاحسان ! أعنى على ركوب السفينة !

(يرتفع لسان من اللهب يشق السماء ، صاعدا من اليخت ، تليه سحابة ثقيلة من الدخان . يطلق بيرجنيت صيحة ويهوى على الرمل . يتزايل الدخان تدريجيا . السفينة دمرت عن آخرها . يبدو بيرجنيت شاحبا . منكسرا .)

(1) مؤقتا .

يا الهى ! يا له من قضاء ! الى القاع بما عليها من بحارة ، وركاب وفيران ! لك الشكر ، الشكر أبدا ، على أن أنجيتنى !

(فى عاطفة)

أكانت مجرد نجاة ؟ بل أكثر بكثير ! أن أبقى أنا ويغرقون ! الحمد كله لله الذى نجانى ورعانى على ما بى من عيوب .

(يجذب نفسا عميقا)

يا له من شعور رائع بالأمن والسلام تحسه حين تدرك ان رعاية خاصة تحوطك وتحفظك . ولكنى فى الصحراء ! من أين لى بالطعام والشراب ؟ لا بأس ، فسرعان ما أجد شيئا يقينى ، ولا شك . سيكون الأمر على ما يرام .

(فى صوت عال متودد)

لن يسمح المولى بأن يهلك عصفور صغير مثلى. سأخفض له جناح الذل ، وسأصبر حتى يعيننى . علىّ أن أثق بالله . اننى ملىء بالايمان .

(يقفز واقفا فى رعب) .

أهذا أسد يزأر بين الشجيرات ؟

(تصطك أسنانه)

لا يمكن أن يكون ..

(يتماســـك)

أظنه كان أسدا ! يقولون ان الحيـــوانات الضارية تتجنب البشر . قد تعلمت ألا تعض من هم أرقى منها . ان لها غريزة . انها تحس — وهى محقة فى احساسها — ان اللعب بالنـــار خطر ومـــع كل هذا ، فلابد أن أبحث عن شجرة ، هناك نخيل وشجر سنط . لو تسلقتها لكنت آمنا ، وخاصة لو كنت أعرف مزامير أرددها .

(يتسلق الشجر) .

« الصباح صباح والليل ليل » هذه آية توزن دائما وتناقش .

(يستقر فى مكانه مستريحا)

ما أروع أن يحس المرء روحه تسمو ! الأفكار النبيلة أثمن من الملك والذهب . علينا فقط أن نثق بالله . هو وحده يعلم كم من كئوس الشقاء أقوى على شربها . انه لى بمثابة الأب .

(ينظر تجاه البحر ويتنهد) .

ولا أحد بوسعه أن يقول انه قد بخل بالعون .

الفصل الرابع : المشهد الثالث

المنظر : بالليـــل ــ معسكر مراكشى عند حافة الصحراء . المحاربون يستريحون قرب نار المعســكر . يجرى أحد العبيد وهو يمزق شعره .

العبـــد : قد اختفى حصان الامبراطور الأبيض .

(عبد آخر يمزق ثيابه)

العبد الثانى : قد سرق ثوب الامبراطور المقدس .

كبيرالخصيان : مائة ضربة بالخيزران ، لكل من يعجــز عن الامساك باللص !

(المحاربون يمتطون جيادهم ويركضون فى كل اتجاه) .

الفصل الرابع : المشهد الرابع

المنظر : الفجـر . نفس الأشـــجار السابقة . بير جينت لا يزال فوق شـجرته . يضرب فيما حوله بغصن يرد به عن نفسه رهطا من قردة البربر يهاجمه .) .

بـير : فظيع ! ليلة بالغة الازعاج !

(يضرب) .

ها قد عادت ! اللعنـة عليها جميعـا ! ها هى ذى تقذفنى بالفاكهة . لا ، بل بشىء آخر ! حيوان كريه ، القرد !

يقولون : « خل عينيك مفتوحتين وقاتل » . ولكن هذا هو بالضبط ما لا أستطيعه . اننى منهك .

(تهاجمه القردة ثانية . يفقد صبره) .

على أن أضع حدا لهذا ، حدا نهائيا . سأقبض على واحد منها وأشنقه وأسلخه ثم أكسـو جسدى بجـلده الكثيف الشـعر هذا قدر ما أستطيع . اذ ذاك تظن القردة انى واحد منها .

من هم البشر ؟ مجرد ريشات فى مهب الريح . علينا أن تتشكل بالبيئة . مزيد من القردة ! انهـا فى كل مكان . وصفيقة أيضا ! أيتهـا الشـياطين ! هش ! انهـا تتصرف كالمجانين ! وددت لو ربط ذيلا فى مؤخـرتى ! أو شيئا يجعلنى أبدو كالقرد ! ما هذا ؟شىء يخرفش فوق رأسى !

(ينظر الى أعلى) .

انه القرد العجوز . وقبضته مليئة بالروث .

(ينكمش بير جالسا ، وهو متذرع بالهدوء . يأتى القرد بحركة تهديد . يأخذ بير جنيت يلاطفه ويحادثه كما لو كان كلبا) .

آه ، هذا أنت ! أنت شخص لطيف ! ولد ماهر، أليس كذلك ؟ يعرف الأصـول ! لا يمكن أن يلقى القاذورات على الناس !لا ،أنا واثق من هذا ! هذا أنا ، ألا تعرفنى ! هاللو ! نحن صديقان ، هه ؟ بو — وو ! سمعت هذا ؟ أستطيع أن أتكلم لغتك ! بل اننا أولاد عم ، يا شيخ ! غدا ، أعطيك قطعة سكر . الحيوان !

قذف بحمل عربة من الروث على رأسى ! فظيع ! أو لعل ما قذف طعام ! مذاقه غير عادى . ولكن التذوق ، على كل حال ، مسألة تكتسب . من من الفلاسفة قال : « ابصق واعتمد على حكم العادة ؟ » ها قد جاءت القردة الصغار !

(يأتى بحركات سريعة ويضرب حوله) .

أليس من المؤسى ان الانسان ، وهو سيد الخليقة ، مضطر الى — النجدة ! يقتلوننى! النجدة ! القرد العجوز كان جنيا ، ولكن الصغار أشد منه هولا .

الفصل الرابع : المشهد الخامس

المنظر : الصباح الباكر . مكان صخرى يطل على الصحراء . على أحد الجوانب صدع فى الصخور وكهف . ويرى لص وتاجر مسروقات وقد اختبئا فى الصدع ، ومعهما ملابس الامبراطور وجواده . الحصان ، وعليه نفسه السروج ، مربوط الى صخرة . على البعد أناس على ظهور الخيل .

اللص : انصال الرماح تبرق وتتألق . انظر ، انظر !

تاجر المسروقات : رأس سرعان ما يطاح به الى الرمال . ويلى ! ويلى !

اللص : (يعقد ذراعيه) أبى سرق ، كذلك الآن أسرق .

تاجر المسروقات : أبى تاجر فى المسروق ، وأنا مثله أتاجر .

اللص : عليك أن تحمل مصيرك . عليك أن تكون نفسك .

التاجر : خطوات تقترب ! اجر ! اجر ! ولكن الى أين ؟

اللص : القبر واسع ، والنبى كريم .

(يفران تاركين وراءهما الغنيمة . يختفى ركاب الخيل فى خلفية المنظر . يظهر بير جينت ، وهو يصنع من البوص مزمارا) .

پـــير : آه ، يا له من صباح بديع ! الخنفساء تتقلب مسرورة فى الرمـــل ، والحلزونة تخرج من قوقعتها . الصباح ! أجل ، انه أسمى من الذهب بكثير ! ما أروع ما فعلته الطبيعة اذ أضفت على النهار هذه القوى السحرية . المرء يشعر فيه بالطمأنينة ، ويحس شجاعته تنمو وتزداد . انه ليتقدم طواعية فيجر ثورا وحشيا من قرونه طلبا للنزال . يا للدعة ! آه ، الريف ! انظر ورائى فلا أكاد أصدق اننى هجرته لأحبس نفسى فى مدينة مزدحمة ، ليخزنى بالشوك الناس من كل لون وصنف . بالله انظر الى هـــذه السحالى تروح وتجىء مسرعة ، أو تستلقى فى الشمس ولا تبالى ! كم هى بريئة ، هذه الأحياء ! كل منها يحقق ذاته وهو يلعب أو يتعارك ، هو هو كما كان يوم الخليقة .

(يلبس منظاره) .

ضفدع ! هنا ، فى هذه الكومة من الحجـــر الرملى ، نصف مختبىء ، لا يظهـــر منـــــه الا رأسه . ها هو ذايجلس ، ويحدق فى العالم ، كأنما ينظر من نافذة . هو لذاته فيه الكفاية . كفاية ! كن نفسك ! اين قرأت هذا ؟ فى الانجيل على ما اظن . أو ترى كان فى كتاب الدعاء ؟ أم أنه ضمن كتاب الأمثال ؟ غريب ! كلما مرت السنون ساء ذكرى للتواريخ والاسماء .

(يجلس فى الظل) .

هاهنا مكان رطيب . سأرتاح هنا وامد رجلى . انظر ، هذا نبات له جذور تؤكل .

(يقضم واحـــدا) .

هذا طعام الحيوان. غير ان المثل يقول « عالج نفسك حتى تحب ما تـــكره » . ومثل آخر يقول : « الكبر يسبق السقوط » وثالث يقول : « من تواضع له الرفعة » (بقلق) الرفعة ؟ أجل ، هذا ما سوف يجرى لى . لا أرى لى طريقا آخر . سينجينى القدر من هذا المكان ، ويعيدنى الى طريق الفلاح. هذه ساعة الامتحان. وسأكون من الناجين ، لو مد لى الله يد العون .

(يدفع بهذه الأفكار جانبا ، ويشعل ســيجارا ، ويمد جسده مسترخيا وهو يحدق فى الصحراء) .

ياله من خراب هائل بلا حدود ! على مـدى
البصر نعامة تجرى . ترى ما هى حكمة الله فى
خلق هذا الفراغ الهائل المهجور ؟ هذه الصحراء
التى تنقصها أسس الحياة ؟ هذه الارض الجافة
العاطلة ، هذه الجثة التى لم تشكر الله يوما ما ،
منذ الخليقة حتى الآن ؟ الطبيعة مبذرة . أهذا
هو البحر يبدو فى الشرق ؟ مستحيل ؟ لابد أنه
سراب . البحر فى الغرب . هو ورائى . وهذا
التل هو الجسر الذى يحجزه .

(تخطر له فكرة)

جسر ! آه ، ليكن اذن — ! انه ليس تلا كبيرا .
جسر !. نقوم ببعض التفجير ! ثم نحفر قناة !
تصبح كأنها نهر الحياة ، تدفع بالماء فى جوانبها :
فتغرق الصحراء . وسرعان ما يصبح هـذا
الجحيم المتصاعد الدخان رطيبا كالبحر المتماوج
وتظهر الواحات كالجزر ، وتمسى جبال الأطلس
خضراء كشواطئنا فى الشمال ، وتسرع السفن
متجهة صوب الجنـوب ، كالطيور تعود الى
الأوكار ، فى مسالك كانت من قبل دروبا تمشى

فيها القوافل . وتهب النسائم الرقيقة فتهبط
بدرجة الحرارة ، وينزل الندى من السماء ، وتظهر
المدائن فى كل مكان ، وينمو الحشيش حول
كل متمايلة من النخيل ، والى جنوب الصحارى
يخرج الى الوجود بلد جديد موفور الصحة ،
له موانىء واسعة ، ويدير البخار مصـانع
تيمبكتو ، ويمتد العمران سريعا الى بورنو ،
ويسافر الرحالة المستكشف بالقطار من هابيس
الى أعالى النيل ، وفى واحة خصبة قابعة فى
بحارى ، سأكثر جنسى النورويجى . ان دم
أهل الوديان يقرب أن يكون ملكيا ، وامتزاجه
بالدم العربى سيتكفل بالباقى . وحول بحيرة
قليلة الماء سأقيم عاصمتى! سأسميها بيروبوليس!
« العالم راحت عليه » ! اليـوم جـاء دور
جينيتانا ، دولتى الناشئة !

(يقفز واقفـا)

اعطونى المال ! التنفيذ ممكن ! مفتاح من الذهب
لباب المحيط ! حملة صليبية على الموت ! هذا
النخيل الشره العجوز حتم أن ينزل عن غنائمه .

كل البلاد الآن تصيح طالبة الحرية . وأنا بدورى ، كالحمار فى فلك نوح ، سأطلق صيحتى مدوية لتدور حول العالم . ان مولد الحرية قريب ! سأذهب الآن الى هاتة الشطئان الوليدة البديعة الموشكة على العمل . سأجمع المال فى الشرق والغرب ! الى الأمام ! الى الأمام ! ملكى كله — لا ، نصف ملكى فقط ، مقابل جواد !

(يصهل الحصان فى الوادى)

حصان ! وملابس ! وجواهر ! وسيف ! مستحيل ! بل هى فعلا موجودة ! نعم ، حقا ! قرأت فى كتاب ما ان الايمان يحرك الجبال ، ولكن هذا لا يعنى أنه يحرك الحصان أيضا ! ولكن الواقع واقع ! هذا هو الحصان ! Ab esse ad posse [1] الخ .. الخ .

(يلبس الثياب ويتامل نفسه) .

أنت الآن السيد پير وعظيم تركى من الرأس الى القدم ! تيقظ يا جرين ، يا حصانى الأثير !

(١) « القدرة اساس التكليف » أو « كل ميسر لما خلق له » . (المراجع) .

(يركبه) .

مهمازان من الذهب أيضا ، ليمسكا قدمىّ ! هذا يثبت أن القدر وحده عليه المعول . يمتاز العظماء من طريقة الركوب !

(يعدو بالحصان متوغلا فى الصحراء)

الفصل الرابع : المشهد السادس

المنظر : خيمة كبيرة لرئيس قبيلة عربي وسـط واحة . بيرجينت ، فى ثياب شرقية ، مسترخ على وسائد ، يشرب القهوة ويدخن النارجيلة . أنيترا وبعض الراقصات يرفهن عنه بالرقص وبالغنـاء .

تورس : جاء النبيء ! النبيء ، سيد الأرض جميعا ، الينا جـاء السيد ، راكبا بحار الرمال . النبيء ، السيد ، الحكيم المحيط ، الينا جـاء السيد راكبا بحار الرمال . انفخوا فى الناى ، ودقوا الطبول ، فالنبيء ، النبيء جاء .

أنيترا : جواده أبيض كاللبن يجرى فى أنهار الجنـة . اركعوا ! اركعوا حتى تلامسـوا الأرض ! اركعوا حتى توشكوا على السجود ! عينـاه الحانيتان نجمتان تستطيعان العبوس . ما من بشرى يصمد أمام نور السـماء تشعه هاتان العينان . عبر الصحراء جاء النبيء ، محـلى صدره باللؤلؤ والذهب . الينا سار فجاء بالنور. ووراءه سادت ظلمات الليل ، والجفاف وريح السموم . ها قد جاء ، ذو الروعة ، عـبر الصحراء ، فى ثوبه الأرضى . والبيت ، البيت وراءه خلاء . ها قد تحدث ، الحكيم المحيط .

تورس : انفخوا فى الناى ، ودقوا الطبول ، فالنبيء ، النبيء جاء !

(يرقصن على موسيقى رقيقة) .

پـير : قرأت فى الكتب — وصحيح لأبد ما قرأت — أن لا كرامة لنبى فى وطنه . هذه حيـاة أبهج كثيرا من حياتى هناك تاجرا فى تشارلستون . كان ثم شيء من خواء يشوب تلك الحياة — شيء غريب عنى ، بل قل شيء من فساد . لم أك قط مرتاحا لحياتى ، ولم أنجح أبدا فى أن أكون رجل دنيا . ماذا قذف بى الى تلك الجيزة ؟ ما الذى جعلنى أنقب فى بؤرة التجارة هذه ؟ أتأمل المسألة ولكن النور لا يشرق علىّ . قد حدث ما حدث ، وهذا كل شيء ! أن يحقق الانسان ذاته على قاعدة الذهب يساوى بالضبط أن يبنى بيتا على الرمـال . اذا التمع خاتمك

وساعتك وغلت ثيابك ، زحف أمامك النـــاس ولعقوا حذاءك ، انهم يرفعون القبعات تحيــة للدبوس الماسى . غير ان الخاتم والدبوس ليسا الانسان . نبىء ! هذا يجعل وضعى واضحا . أنا على الأقل ، قد وجدت لى مهنة . اذا مدحنى الناس الآن فلأننىمن أنا ، وليس لأن حسابى فى البنك كبير . انما نحن ما أودع ما فى نفوسنا من أشياء ! لا تتفلسف ، لا تستند الى الحظ أو الظروف ، لا تعتمد على براءات الاختراع ، أو الرخص أو المنح . نبىء ! أجل ، هذا يوافقنى تماما . وانى لأجد نفسى فى زمرة الأنبيـــــاء بمحض الصدفة ، لمجرد انى تمخطرت على الرمال ، وصادفت أبناء الطبيعة هؤلاء . قيل ، النبىء جاء !. فكان فى هــذا الكفاية لهم . لم أقصد أن أغشهم . لا أبدا ! ان النبؤات ليست أكاذيب ، بكل تأكيد . وعلى كل حال ، يسعنى دائما أن أستقيل . لست مقيـــدا فى شىء . ما أنا فيه خير من كثير غيره من مواقف . انها مسألة خاصة تماما . وكما جئت أستطيع

الرحيل ، جوادى على استعداد . باختصار ، أنا سيد الموقف .

انيترا : (مقتربة) أيها النبىء والسيد !

پـــير : ماذا تريد جاريتى ؟

انيترا : أبناء الصحراء منتظرون بالباب ، يرجون السماح لهم باجتلاء طلعتك .

پـــير : كفى ! قولى لهم يصطفوا على البعد فلن أسمح بأن يرونى عن كثب . قولى أيضا انى لن أدع أحدا منهم يدخل هنا . الناس ، يا ابنتى العزيزة ، طغمة من الفاسدين . بل هم فى الواقع خنازير قذرة . أنيترا ، لو انك عرفت كيف خدعونى بصفاقه ، أقصد كيف أذنبوا فى حقى ، يا طفلتى ! لا يهم ! كفانى ما لقيت منهم ! ارقصى لى ، يا ابنتى . النبىء يريد أن ينسى آلامه .

كورس : (يرقصن) .

النبىء طيب ، النبىء حزين لما ارتكب بنو آدم من آثام . النبىء عطوف ، يستأهل الحمــد عطفه ! للمذنبين يفتح جنته !

پـــير : (تتابع عيناه أنيترا وهى ترقص على اللحن) .

ساقاها تتحركان فى سرعة عصى النقرزان . قطعة من اللحم الشهى ، هذه الوقاح . فى أجـزاء من جسمها مبالغة فى التكور . ما أبعد هـذا عن فكرة الجمال فى الشمال ! ولكن ما هـو الجمال ؟ مجرد عرف ! لا أكثر ! عملة تسك وتثبت قيمتها فى أماكن بعينها ولمناسـبات بالذات . الرجل الذى قضى حياته معرضا عن الشراب لا يعرف قط لذات السكر . أجـل ، لا يجتذب الطعام المفرط فى اللذة الا من طال أكله للعـادى من الطعام . والشىء العـادى لا يكون قط مقبولا . اذا كانت المرأة غـير مفرطة فى السمنة قالوا : هى كيس عظام ، فاذا لم تكن جد صغيرة قالوا : احدى قدميها فى القبر . فان كانت لا صغيرة ولا كبيرة قالوا : سخيفة العقل . لا ! ان العادى من الأشـياء كالح ، متعب . قدماها — نعم ليست بالغتى النظافة ، ولا ذراعاها — أو احداهما عـلى الأقل ، ولكن من يأبه بصغائر كهذه ؟ بل انى أعتبرها مزايا . أنيترا ، اسمعى .

انيترا : (تقترب) سمعا لك وطاعة .

بـير : أنت فاتنة ، يا ابنتى . قد شغل بك النبىء . اذا لم تصدقينى ، فهاك الدليل — سأجعلك حورية فى الجنة !

انيترا : مستحيل ، يا مولاى .

بـير : تظنين اننى أكذب ؟ بل أنا جاد كل الجـد ، وحياتى !

انيترا : ولكنى لا روح لى .

بـير : سأمنحك روحا !

انيترا : وكيف ، يا مولاى ؟

بـير : اتركى لى تدبير هذا ! سأجعل همى فى تعليمك . لا روح لك ! أنت بلا شك عبيطة شيئا ما ، هذا واضح ، وقد آلمنى قليلا ، غير أن فيك متسعا لروح من الحجم الصغير . تعالى ! دعينى أقيس دماغك ، أيتها العزيزة . هنـا متسع ! متسع كبير ! قد كنت واثقا من هذا ! صحيح ان روحك هذه لن تذهب بك بعيدا ، ولكن عليك أن تقنعى بما أعطيك ! سيكون لك من الروح ما يكفيك مؤونة الخجل .

انيترا : النبيء بالغ العطف .

پـير : لماذا ترددين ؟ تكلمى !

انيترا : أفضل أن تعطينى —

پـير : أفصحى ، يا ابنتى — لا تتلعثمى .

انيترا : لا رغبـة قوية لى فى أن أحصل على روح .
أفضل كثيرا لو أعطيتنى —

پـير : مـاذا ؟

انيترا : (مشيرة الى عمامته) هذه البيضاوية البديعة !

پـير : (يعطيها الجوهرة . وقد استبد به السرور) .
أنيترا ! أنت ابنة حـواء حقا وصدقا ! أنت
تجذبيننى المغناطيسى فأنا رجـل . وكما قال
كاتب طائر الصيت : "Das ewig Weibliche [1]
Ziehet uns en."

(١) الأنوثة الخالدة تجذبنا .

الفصل الرابع : المشهد السابع

المنظر : خارج خيمة أنيترا . على القرب بعض النخيل — القمر بدر . بير جينت جالس تحت شجرة ، وفى يده عود عربى . شعره ولحيته قد شذبا ، فبدا أصغر سنا . يغنى ويعزف على العـود .

پـير : أغلقت أبواب الجنة
وأخذت المفتاح .
ركبت البحار وريح الشمال تكسح
الأعماق ، والجميلات من النساء يبكين
فى روع غير مكتوم .
ومخرت طرادتى عباب البحار الملحة
وسارت جنوبا لأرض قاصية ،
وحيث النخيل باسق ، رشيق
يتمايل حول خليج تغمره الشمس
نزلت وأحرقت مراكبى
وركبت من بعد سفينة الصحراء
ذات أربع ، سريعة ، منطلقة
فمرقت بى بأخفاف مجنحة

طائر مهاجر ، أنا ! سو ، سو !
هكذا أزقزق على شجرة .
أنيترا ، أنت لبن نخيل
سأذوقه من فورى
جبن ماعز الأنجورا شهى
ولكنه لا يدانيك ، أيتها العزيزة
فى لذعتك ونكهتك .

(يعلق عوده فى كتفه ويقترب)

صمتا ! ترى هل تسمع جميلتى ؟ هل سمعتنى أنوح بأعذب الألحان ؟ هل تنظر خلل الأستار ، وقد نضت عنها القناع وما أشبه ؟ هس ! صوت أشبه بسدادة تنزع بعنف من زجاجة ! ها هو ذا يعود ! زفرات الحب ؟ أنشودة غرام ؟ لا ، بل شخير واضح ! موسيقى الهية ! أنيترا نائمة . أيها البلبل كف عن الغناء ! ستصيبك ألوان شتى من الطاعون لو جسرت على التحدى بالمناغاة وخرير النغم — على رسلك اذن ، امض فى الغناء ! القدر جعل البلبل مغنيا كما جعلنى . هو ، مثلى ، يكسب

بالموسيقى القلوب الغضة النابضة . هذا الليل الرطيب قد خلق للغناء . الموسيقى ملكنا المشترك . الغناء يجعلنا ، بيرجينت والبلبل ، من نحن . كما أن نومها هو قمة نعيمى بالغرام .. أشعر كأن شفتى قد مستا الكأس وتركتا شراب الآلهة فيه دون مذاق .. بل هذى هى ! من الخير أن تظهر لى بنفسها .

انيترا : (من داخل الخيمة) هل ينادينى مولاى فى الليل ؟

پير : أجل ، مولاك قد دعا . وهو فى النداء لا يزال . أيقظتنى القطط بعراك مريع .

انيترا : لا تظن أنها كانت تتعارك . بل الأمر من هذا أسوأ .

پير : ماذا اذن ؟

انيترا : ارحمنى من الجواب !

پير : قولى .

انيترا : الخجل يعلونى !

پير : (مقتربا) لعله نفس ما شملنى من شعور حين أعطيتك الجوهرة البديعة .

انيترا : (منزعجة) .
يا كنزى ، كيف تقرن بين نبىءوقط أجرب .

پـير : عند المحب لا شىء يفرق بين نبىء وهر عجوز ،

انيترا : النكات ، أيها السيد ، تسيل من شفتيك كالعسل .

پـير : صديقتى الصغيرة العزيزة ، أنت ، كغيرك من العذارى ، تحكمين على عظماء الرجال من ظواهرهم . أنا فى أعماقى انسان مرح ، خاصة حينما أنفرد بك . وضعى يحتم علىّ أن ألبس قناعا من الجد الثقيل . المضمون العالمى لشغلى اليومى ، القرارات الخطيرة ، النقاط المعقدة التى تزحف علي يوما بعد يوم ، تجعل منى نبيئا قليل الكلام . ولكن هذا هو السطح منى . حينما انفرد بك لا أكون هكذا . أنا مجرد بير البسيط ، منطلقا بلا تعقيد . واحد ، اثنين ، ها قد اختفى النبىء ! ونفسى الصافية تمثل أمامك .

(يجلس تحت شجرة ويجذبها اليه) .

تعالى ، يا أنيترا ، تحت هذه النخلة الوارفة الظل ! سأهمس لك وتبسمين ، ثم نعود فنتبادل الأدوار ، تهمس شفتاك الورديتان كلمات الهوى ، وأقنع أنا بالابتسام .

انيترا : (تجلس عند قدميه) .
كلماتك كلها أغان عذاب ، ولو أنها تعلو على فهمى . قل لى ، أيها النبىء ، أتستطيع ابنتك أن تفوز بروح بمجرد الانصات ؟

پـير : روح ، هى نور الحياة والمعرفة ! نعم ، تحصلين على روح قريبا . حينما يكتب الشرق ، بقلم من نار : « النهار يطلع » ، سأبدأ معك الدروس. سنجعل منك سيدة صغيرة . غير أن من الغفلة أن آخذ سمت المعلم وأفرض عليك حكمتى المتآكلة فى ساعات الليل الصامتة . لنحذر أن تكون الروح شغلنا الشاغل . بل القلب أجدر أن يكون فى المقدمة .

انيترا : تحدث ، اذن ، يا مولاى ، فحين تتكلم أرى ومضات من جواهر أخر !

پـير : الافراط فى العلم يسلم الى الغفلة ، وبرعم الجبن ينشق عن القسوة . الحقيقة ، ان بالغنا

فيها ، أضحت عمــود الحكمة مقلوبا . نعم ،
يا بنيتى ، فى الدنيا أناس غارقون فى ذواتهم
حتى أن أبصارهم لتفتقد الصورة الصحيحة .
ان لم يكن هذا حقا ، فلا كنت ! عرفت انسانا
هذا شأنه . بدا لى كالجوهرة فى الوحــل ،
الكلمات الرائعة كانت تتساقط من فمه ، على
أنه ، على المدى ، ضل الطريق فى غابة فصاحته .
انظرى الى الصحراء الهائلة تحيط هذه الواحة
لو قد أدرت عمامتى قليلا لجاءت المحيطــات
الخمس الكبرى فابتلعت كل شق وزاوية فيها .
ولكن لم أتعب فى خلق قارات ومحيطات الآن ؟
انها لعبة المعتــوه ، لا أكثر . أتعرفين ما هى
الحياة ، يا ابنتى ؟

انيترا : لا ، علمنى ، رجوتك .

بيــر : أن نطفو ، ولا نبتل ، فوق جدول الحيــاة ،
ونكون أنفسنا . هذه ، هذه ، هى الحياة . فى
الشباب والرجولة فقط أكون حقا من أنا . الكهولة
تجعل النسور تسقط ريشها ، الكهولة تصيب
كبار السن بالروماتيزم ، الكهولة تسقط أسنان

العجائز من النساء ، الكهولة تجعل أيدى عجائز
البخلاء معروقة ، وواحدا بعد آخر ، تجف منهم
الأرواح . الشباب ! سلطانا يجب أن أكون ،
ناريا بفضل الشباب ، وغــير مقتر عــلىّ فى
العافية . أحكم ، ليس فى سهول جينيتانا فى
ظل النخيل والكروم المتسلقة ، وانما فى حقول
أكثر من هذا خضرة وأشد نضرة ، حقــول
أفكار عذراء تراود احدى الصبايا . فأنت ترين
اذن لمــاذا أنا حفى بك ، ولم اتخــذت قلبك
وجعلت فيه قدس أقداس خلافتى . بى شوق
لأن أعرف كل حنين يراودك ، وأن أكون طاغية
حبــك ! يجب أن تكونى لى وحــدى ، أن
تصــبحى ســجينتى ، موثوقة الى كما توثق
الجواهر فى سلاسل الذهب . فاذا افترقنا ،
انتهت الحياة ، حياتك أنت ، أذكرى جيدا ، من
فضلك . وكل عصب فيك ، كل خلية وكل مسم ،
لابد أن يقر سلطانى ، ويدخل فى خدمة ارادتى .
وخصــلات شعرك ، أشد سوادا من منتصف
الليل ، وجمالك ، وكل ما يفتن فيك ، سوف

يجذبنى ، أنا سلطانك ، الى مكان للقيا أشد جمالا من حدائق بابل المعلقة . لهذا أعده من حسن الطالع انك غرة لطيفة هكذا . من يملك روحا من الناس يبــدد نفسه فى تأمل ذاته . والآن ، ما دمنا دخلنا فى الموضوع ، خــذى هــذا الخلخال الذهبى زينى به رسغ قدمك البديع . فى هذا رضا لكلينا . لن تملكك روح ، بل أنا الآن الذى سيملكك . والا — يستمر الوضع الراهن .

(يسمع شخير أنيترا)

نامت ! جمال كلماتى الذى لا يقاوم قد انساب وتعداها ، لا ، بل هذا يثبت أن سلطانى ثابت قوى . لقد سبحت الى عالم الأحلام على خرير أغنيتى الصافية .

(يقف ويضع جواهرفى فى حجرها) .

هاك ، اذن . جواهر ! وأخــرى ! وثالثة ! واصلى النوم ، يا أنيترا ! احلمى ببير ! نامى ! فانك بالنوم قد توجتنى امبراطورا ! الليلة ، بفضل شخصيته فقط ، حقق بيرجينت أعظم انتصاراته .

الفصل الرابع : المشهد الثامن

المنظر : طريق القوافل . ترى الواحة عن مبعــدة كبيرة . بير جينت راكبا جواده الأبيض يركض به عبر الصحراء ، وأمامه انيترا .

انيترا : دعنى ! سأعضك !

بــير : أيتها الوقاح الصغيرة !

انيترا : ماذا تريد ؟

بــير : أريد ؟ أن ألعب لعبة الصــقر والحمامة ! أن أهرب بك وآتى أشد الأفعال جنونا ونزقا .

انيترا : عار عليك ! وأنت نبىء عجوز !

بــير : كلام فارغ . لست عجوزا الى هذا الحــد ، يا حمقاء ! أركوبى الحصان دون سرج دليــل الكهولة ؟

انيترا : اتركنى ! أريد أن أعود الى بيتى !

بــير : أيتها المجرمة الصغيرة ! بيتك ، بيتك ! تقصدين أن تردى لى حقوق المجرم المدنية ! هى فكرة ، مع ذلك ! ولكن الطيور التى نجت مرة من

القفص تحرص كل الحرص على ألا تعود اليه .
ثم ان المرء يا بنيتى ، يجب أن لا يبقى طويلا فى مكان ما . لأنه يفقد من احترام الناس له بقدر ما يكسب من معرفة بهم ، خاصة اذا كان نبيئا . على المرء أن يأتى ويروح ، كالقصيدة الجميلة . آن لزيارتى أن تنتهى . أبناء الصحراء هؤلاء بهم نزق ! لم يعد يأتينى منهم البخور والصلوات .

انيترا : ولكنك نبىء ؟

پير : أنا امبراطورك !

(يحاول تقبيلها) .

انظروا كم هى ظريفة هذه العصفورة الجارحة .

انيترا : أعطنى هذا الخاتم الذى فى أصبعك .

پير : أنيترا ، حبيبتى ، خذى كل ما أملك .

انيترا : كلماتك موسيقى . كم تطن فى أذنى جليلة !

پير : يا لفرحتى ، اذ أجدك تحبيننى الى هذا الحد !
هيا بنا ! سأقود جوادك كأنى عبد .

(يعطيها السوط وينزل) .

هكذا ، هكذا ، يا وردتى ، يا زهرتى النادرة ،

أنقل وراءك الخطو فى الرمال ، حتى تضربنى الشمس وأرقد عند قدميك . أنا شاب ، يا أنيترا ، اذكرى هذا ! لا تحكمى على دعاباتى بالحكم القاسى . انما يعرف الشباب بما يأتون من عبث . ولو لم تكونى حمقاء هكذا لقدرت ، يا زهرة سم الفأر العذبة[1] ، انه ما دام حبيبك مليئا بالعبث ، فهو اذن شاب !

انيترا : نعم . أنت شاب . ألديك خواتم أخرى ؟

پير : طبعا أنا شاب . أترين ! أستطيع القفز كالغزال النضير ! ولو كان عندك أوراق عنب ، لوضعتها فوق رأسى كالاكليل . أجل ، أنا شاب . انظرى ، هأنذا أرقص أمامك .

(يغنى ويرقص) .

أنا ديك فصيح ،
انقرينى ، يا فرختى الصغيرة .
كوكو كوكو كوكو !
أنا ديك فصيح .

انيترا : العرق يسيل منك ، أيها النبىء ، أخشى أن

(١) سم الفأر نبات عشبى دائم الخضرة وسام ((المترجم)

تذوب . تخفف من هذا الشيء الثقيل على حزامك .

پير : يا له من حرص على رقيق ! طبعا ، أدعك تمسكين لى كيسى . الأحبة لا يحرصون على الذهب .

(يغنى ويرقص ثانية) .

الشاب بير مجنون ، مجنون !
لا يعرف نفسه من حبيبته المصون !
طظ ، طظ ، يقول بير ، يى يى
فالشاب بير ، مجنون مجنون !

انيترا : أهناك أبدع من نبيء يرقص ؟

پير : الى الجحيم بنبوتى ! دعينا نتبادل الملابس ! هيا بسرعة !

انيترا : برنسك طويل على ، وحزامك واسع ، وجوربك قصير .

پير : Eh bien (1)

(يركـــع) .

اذن عذبينى واضنى فؤادى ، فعذب أن تشقى

(1) وبعـــد .. !

قلوب المحبين . حين نصل الى قصرى ، يا أنيترا —

انيترا : جنتك ! أهى بعيد ؟

پير : ألف ميل أو —

انيترا : بعيدة جدا ! جدا !

پير : هناك ستحصلين على الروح التى وعدتك —

انيترا : لا ، شكرا ! لا حاجة بى الى روح . كنت متشوقا للعذاب .

پير : (ينهض) أجل ، والضنى ! عذاب رائع ، طارىء ، بنوبات !

انيترا : أنيترا تجيب النبيء الى طلبه ! وداعا !

(تضربه بالسوط على ركبتيه ، وتركض بالجواد بأقصى سرعة عبر الصحراء) .

پير : (مشدوها) اللعنة — !

الفصل الرابع : المشهد التاسع

المنظر : نفس السابق ـ بعد ساعة . يرى بير وقد تظهر وبدا متفكرا ، وهو يخلع رداءه الشرقى . أخـيرا يخـرج من جيبه قلنسوة صغيرة للسفر ويضعها على رأسه فيبدو فى ثياب أوربية مرة أخرى . يلقى بعمامته الى أبعد ما يستطيع .

بـير : هنا يرقد التركى ، وهنا أقف أنا ! عـادات هؤلاء الكفار لا يمكن أن تفيدنا بشىء . من حسن الحظ أن هذه ستذهب مع الملابس ، وانها لم تنقش نقشا على لحمى . ما الذى دفع بى الى هذه الجيرة ؟ أنا مسيحى ! أهناك خير من هذا ؟ بعدا لهذه المظاهر الطاووسية ! كن مع القانون ، كن أخلاقيا ، هذه هى الحياة الحقة يجب أن أكون نفسى ، وأضمن لنفسى عظة تلقى على قبرى ، وزهورا توضع على تابوتى .

(يخطو خطوات الى الأمام) .

خذ مثلا هذه الجريئة — لقد نجوت من فتنتها فى آخر لحظة . أنتى لى أن أعرف ماذا فتننى فيها ،

وأنا بشرى ، ولست عفريتا . حمدا لله عـلى النجـاة ! لو ان هذه الدعابة طالت لبدوت سخيفا للناظرين . قد أخطأت — هـذا حق ! غـير ان ما يريحنى اننى أخطـأت بالنيابة . لم أكن أنا الذى سقط وانما النبىء ، حـرم على بوصفى نبيئا أن أكون نشيطا ، فواسيت النفس بهذه الأفعال المؤسفة الخالية من الذوق . حياة النبىء قاسية . عليه أن يعتزل النـاس ، ويعيش فى السحاب . لو أظهر بارقة من الرغبة فى الدنيا ، فسرعان ما يخرجه النـــاس من اعتبارهم . ظننت اننى نجحت حين غازلت هذه الحمقاء ! ومع هذا ، ورغم كل شىء —

(ينفجر ضاحكا) .

تصـــوروا ! ظننت اننى أوقف الزمن بالرقص والغنـــاء والزفرات والنواح السخيف ! فماذا كانت النهـاية ؟ أصبحت فرخة منتوفة ! حتى أصحاب القداسة لهم خطاياهم ! أجـل ، تنتف تماما ! يا الهى ، كيف نزعت عنى الريش ! من حسن حظى أننى أبقيت شـيئا للاحتياط ، فى

جيبى شىء ، وشىء آخر لى فى أمريكا ، واذن فلست على الحديدة . طبقة وسطى ! أجل ، هذا ما يجب أن أكون ! ليس لى سائق وعربة بحصانين ، وما على أن أحرص على حقائبى ونقلها ، فأنا بعد سيد الموقف . أمامى طرق كثيرة . فأيها أختار ؟ يعرف الحكيم كيف يفصل القمح من النخالة . قد انتهت حياتى كرجل أعمال . كذلك انقضت غرامياتى . ولست أريد أن أعود من حيث أتيت . « الى الخلف أو الى الأمام ، نفس المسافة ، للداخل أو للخارج ، الطريق ضيق » . هذا ما يقوله كتاب أو آخر من الكتب المقدسة . على أن أفكر وأخرج بشىء جديد ، شىء يكسب النفس النبل ، شىء يستأهل العمل والنقود . هل أكتب قصة حياتى ، دون حذف ، ليهتدى بها الأبرياء ، لا ، انتظر ! ما دام أمامى وقت طويل ، فلم لا أعطى لنفسى Carte blanche [1] كيما أسافر وأدرس الانسانية عبر القرون ؟ أجل ، هذا

(١) مطلق الحرية .

ما أريد ! ما أريد بالضبط . فى شبابى كان يلذ لى أن أمعن النظر فى الوثائق القديمة . التاريخ والبشرية كانا دائما يجتذبانني . سأدرسهما الآن . سأطفو ، كالريشة ، فوق نهر الزمن الذى لا ينتهى ، وأعيش الماضى من جديد ، كما لو كنت فى حلم ، وأرى الأبطال يخوضون المعارك دفاعا عن قضايا مجيدة . سأكون مجرد متفرج ، من مسافة تضمن لى السلامة . سأرى المفكرين يعذبون ، والشهداء ينزفون الدم ، والعروش تتهاوى والامبراطوريات تبيد ، سأرى الأشياء العظيمة تنمو من بدايات متواضعة ، وباختصار سأقشط قشدة التاريخ . سأحصل على نسخة من بيكر ، وأرحل من مكان الى مكان حسب تتابع الزمن . أعلم ان أساسى الفكرى ليس قويا ، وان التاريخ شىء عويص ، غير ان أشد التجارب بساطة كثيرا ما تمخضت عن نتائج مذهلة . انه لعظيم أن تحدد لنفسك رسالة ، وتصر على الأسنان ، وتسلح أعصابك بالحديد ، ثم تصل الى هدفك .

(متأثرا ، وانما يتماسك) .

وأن تحطم القيود التى تعوق نفسك ، وتترك وراءك الأهل والوطن وأعز الأصدقاء ، وتبذر أموالك بذرا ، وبضائع هذه الدنيا ، ولا تلقى بالا الى دعاء الحب ، كل هذا فى سبيل قضية الحقيقية العليا .

(يمسح دمعة من عينه) .

هذه هى طريقة رجل العلم ! أجل ! قد حللت لغز حياتى وما ينبغى أن أعمل ، والآن أنا سعيد بلا حدود . سأخوض السهل والصعب ، فاذا ما نجحت فى أن أرفع رأسى ، فكل ما عدا هذا مغفور . قد وجدت نفسى ، الانسان ، بيرجينت ، امبراطور الانسانية ! سيصبح الماضى مكانى المفضل ، أترك العصرى ، والحى يمر بى مرا ، لن أصرف طاقة ما على شئون اليوم ، ليس فى رجل اليوم ايمان ولا همة ، روحه ينقصها النور ، وأعماله لا وزن لها .

(يهز كتفيه) .

أما المرأة — يا عدم العفة ، انما أنت امرأة ! [1]

(يذهب) .

(1) يردد بير عبارة هامليت المشهورة فى وصف اوفيليا (المترجم) .

الفصل الرابع : المشهد العاشر

المنظر : كوخ فى غابة كبيرة فى شمال النورويج . باب مفتوح ذو رتاج خشبى كبير . على الباب قرون غزال الرنة . قرب الكوخ قطيع من الماعز . يوم مشرق من أيام الصيف . سولفيج ، وقد أصبحت الآن شقراء مليحة فى اواسط العمر ، تجلس فى الشمس تغزل . تحدق فى المشى وهى تغنى :

سولفيج : قد يأتى شتاء وراءه ربيع .

ويهل الصيف بل العام الطويل

ويمضى الجميع ..

ولكنك يوما ستعود لى

وسأنتظرك كما قطعت العهد .

(تنادى الماعز ، ثم تأخذ تغزل وتغنى من جديد) .

رعاك الله حيثما تكون

ان كنت على الأرض أو فى رحمته

سأنتظرك فى الدنيا حتى تعود ،

فان كنت فى الأخرى فالى لقاء .

الفصل الرابع : المشهد الحادى عشر

المنظر : فى مصر . يرى تمثال ممنون وسط الصحراء . الوقت فجر . يظهر بير جينت وهو ينظر حواليه .

بير : هنا أستطيع فى يسر أن أبدأ أسفارى . هذه المرة سأصبح مصريا . ولكن على أساس النفس الجينتية ، ومن ثم اتخذ طريقى الى آشور ، ولكن لن أتراجع عبر القرون ، الى البداية ، فهذا لن يؤدى الا الى ارتباك . لا ، سأكتفى بزمان الانجيل . أنا واثق اننى سأجد بعضا من آثاره ، ولكنى لن أنغمس فيها بعمق ، هذا ليس فى مقدورى ولا فى برنامجى .

(يجلس على صخرة)

الآن ، أجلس هنا وأستريح ، وأنتظر فى أناة حتى يغنى التمثال أغنية الصباح . وبعد الافطار أتسلق الهرم ، واذا تبقى لى وقت فتشته من الداخل . ثم أسير فى طريق البر حول الشاطىء الشمالى للبحر الأحمر ، قد أعثر هناك على

قبر الملك بوتيفار [1] . ومن ثم ، الى آسيا ! فى بابل سأسعى الى الحدائق المعلقة ، والمحظيات — العلامات الأولى للحضارة . ومن هناك مشيا على الأقدام حتى أسوار طروادة ، ومن طروادة رأسا بالبحر الى أثينا العتيقة المجيدة . هناك ، وعلى الموقع ، سأفحص حجرا بعد حجر ، الممر الذى حماه ليونيداس [2]. وسأدرس الفلاسفة الكبار ، وأسعى الى السجن الذى استشهد فيه سقراط . ولكن ، مهلا ، انى أنسى ! هناك حرب مشتعلة فلنترك الهيلينية جانبا .

(ينظر فى ساعته) .

غريبا جدا — هذا الوقت الطويل الذى تنفقه الشمس حتى تطلع ! أزف الوقت . آه ، نعم ، من طروادة — كنت قد وقفت هنا —

---

(١) زوج زليخة ، التى فتنت بيوسف الصديق . (المترجم) .

(٢) ماركو بوزاريس ليونيداس ، القائد اليونانى الذى استطاع فى عام ١٨٢٣ أن يكتسح ، عن طريق رجاله الألف ومائتين ٤٠٠٠ مقاتل تركى وألبانى . (المترجم) .

(يقف ويتسمع) .

ما هذا الصوت الغريب الهامس ؟

(تشرق الشمس) .

تمثال ممنون (يغنى) .

من رماد نصف الاله الذى ولد من جديد

قامت طيور وأنشأت تغنى

زيوس ، العالم بكل شيء

خلق طيورا جارحة .

وبوما للحكمة البالغة ،

أين ينام طيرى ؟

اذن حل هذه الأغنية

أو مت !

بير : أجزم ان صوتا قد خرج من التمثال . انه موسيقى الماضى . من الصخر يعلو ويخفت . سأسجل ما سمعت . فليتأمل العلماء .

(يكتب فى دفتر مذكرات) .

« غنى التمثال . سمعته بوضوح ، ولكننى لم أتبين ما هية الكلمات . لابد انه كان وهما . لم ألحظ شيئا آخر هاما اليوم » .

(يخرج) .

الفصل الرابع : المشهد الثانى عشر

المنظر : قرب قرية الجيزة . يرى أبو الهول العظيم ، وعلى المدى البعيد مآذن مساجد القاهرة وأبراجها . يدخل بير جينت . يفحص أبا الهول ، ثم يلبس منظاره ويواصل التحديق ، تارة من وراء المنظار ، وأخرى وهو واضع يديه مكورتين على عينيه .

بير : أين رأيت هذا الشيء من قبل ؟ هذه الصورة المخيفة تذكرنى بشيء . أنا قطعا رأيتها فى الشمال أو فى الجنوب . ماذا كان ؟ أكان رجلا ؟ من هو ؟ يخيل الى أن تمثال ممنون يشبه من يسمى ملك دوفر ، كان الملك يجلس هكذا تماما ، متصلبا ومستقيما ، وعجزه ثابت على مقعده الحجرى . ولكن هذه القطيعة الغريبة المولدة ، هذه الفلتة ، هذا الهجين بين الأسد والمرأة ، هل رأيتها فى شطحات خيالى ، أم هى ذكرى لشيء وقع ؟ انسان أعرفه ؟ ها ! الآن أذكر . انه البويج ، طبعا ، الذى حطمت رأسه ،

أو فى القليل حلمت انى حطمته . كنت اذا ذاك
أهرف من وطأة الحمى .

(يقترب) .

نفس العينين ، نفس الفم ، هذا أقل كسلا وأشد
دهاء . وفيما عدا هذا هو شديد الشبه . هيه ،
هذا أنت أيها البويج ، تبدو من خلف كالأسد
فى ضوء النهار ! ألا زالت تتحدث بالألغاز ؟
لنجـــربك اذن . أتراك لا زلت تردد نفس
الاجابات !

(يهتف بأبى الهول) .

الصـوت : (من خلف أبى الهول) Ach Sphlinx, wer [1] bist du ?

پـيـر : ما هذا ؟ صدى بالألمانية ؟ من سمع بهذا من قبـل !

الصـوت : Wer bisr du? [2]

پـيـر : تتكلم الألمانية كأهلها ! ملاحظة جديدة ، من عندى تماما .

---

(١) يا أبا الهول ، من أنت ؟ .

(٢) من أنت ؟ .

(يكتب فى دفتره) .

« صدى صوت بالألمانية . لهجة برلينية » .

(يخرج من وراء أبى الهول بيجريفينفيلدت)

بيجر يفينفيلدت : رجـل !

پـيـر أظن أنه هو الذى كان يتحدث .

(يكتب من جديد) .

« غيرت رأيى فيما بعد » .

بيجريف : (فى تأثر كبير) : Mein Herr [1] ، أرجو عفوك — !
Eine Lebenafrage ! [2] قل لى من فضلك ما الذى جاء بك اليوم .

پـيـر : جئت أزور صديق الطفولة .

بيجريف : أبو الهول ؟

پـيـر نعم . عرفته فى الماضى طيب المعرفة .

بيجريف : Feimos ! وبعد ليلة قلقة كهذه ، أيضا !
رأسى يوشك أن ينفجر . تعرفه ، mein herr !
اذن قل لى ، ماذا هو ؟

---

(١) سيدى .

(٢) سؤال هام جدا .

بير : ماذا هو ؟ أمر بسيط ! هو نفسه !

بيجريف : (يقفز) فهمت ! قد ومض الأمر أمـام عينى كالبرق ! لغز الحياة قد حل . شىء واحـد مؤكد ! هو نفسه !

پير : هذا ، على الأقل ، ما يقوله هو .

بيجريف : نفسه ! قد أشرق يوم المعرفة .

(يخلع قبعته) .

واسمك mein herr

بير : عمدونى باسم بيرجينت .

بيجريف : (فى اعجاب متحفظ) پيرجينت ! اسم رمزى ! هذا ما ظننت پيرجينت ! بعبارة أخرى : الواحد المجهول ! المهدى الذى كشف لى عن مقدمه .

پير : ولكن — حقا — أجئت هنا لتقابل — ؟

بيجريف : بيرجينت ! عميق ، ملىء بالأسرار ، بعيد الغور ! كل كلمة منجم من الأفكار ما زال بكرا . فمن أنت ؟

بير : (فى تواضع) حاولت دائما أن أكون نفسى . ومع هذا فهاك جواز سفرى .

مرة أخرى هذه الكلمة الملغزة !

(يقبض على معصمه) .

الى القاهرة ! وجدت امبراطور الوحى .

پير : الامبراطور ؟

بيجريف : تعـال !

پير : أيعرفوننى هنا ؟

بيجريف : (يجر بير معه) امبراطور الوحى القائم على الذات !

الفصل الرابع : المشهد الثالث عشر

المنظر : القاهرة ، مستشفى للمجاذيب . فناء كبير تسوره حيطان عالية ، وتحفه مبان . نوافذ ذات قضبان وزنازين من حديد . يرى ثلاثة من الحراس ، ويدخل رابع .

الحارس الرابع : شافمان ، قل لى أين المدير ؟

حارس : خرج اليوم قبل طلوع الشمس .

الحارس الرابع : لابد أن شيئا ضايقه . أظن ، ان ليلة الأمس —

آخر : أصمت . هذا هو بالباب !

(يدخل بيجريف ومعه بير . يغلق الباب ويضع المفتاح فى جيبه) .

پير : (لنفسه) .

هو لا شك رجل بالغ الموهبة ، فأنا لا أفهم شيئا مما يقول .

(يحدق فيما حوله) .

اذن هذا هو نادى الدارسين ، هيه ؟

بيجريف : نعم ، ستجدهم جميعا هنا . كل واحد فيهم

سبعون دارسا ، هم حلقة المفسرين . قد أضيف اليهم أخيرا مائة وستون .

(ينادى الحراس) .

ميكيل ، شلينجبيرج ، شافمان ، فوخس ، أدخلوا الأقفاص فورا !

الحراس : نحن ؟

بيجريف : ومن غيركم ؟ هيا ! اسرعوا ! العالم مقلوب رأسا على عقب ، وكذلك نحن .

(يدفع الحراس الى الأقفاص) .

بير العظيم جاءنا اليوم ، افهموا من هذا ما تشاءون . لن أزيد .

(يغلق الأقفاص بالأقفال ، ويلقى بالمفاتيح فى بئر) .

پير : Herr Dokotor, Heur Director[1]

بيجريف : أنا لا هذا ، ولا ذاك ؟ كنت فى السابق أما الآن فلا — هر بير ، أتكتم السر ؟ أريد أن أبوح بمكنون صدرى لشخص ما .

پير : (يتزايد شعوره بالحرج) .

(١) سيدى الدكتور ، سيدى المدير .

ما هو سرك ؟

بيجريف : عدنى أنه لن يغمى عليك .

پـير : سأبذل كل جهدى .

بيجريف : (يجذبه الى ركن ويهمس) .
العقل المطلق مات الليلة الماضية فى الحادية عشرة .

پـير : يا اللهى !

بيجريف : نعم ، شىء يدعو الى أشد الأسى . وفى حالتى أنا يتضاعف الأسى . حتى الآن كان هذا المكان مستشفى للمجانين .

پـير : للمجانين ؟

بيجريف : ليس الآن .

پـير : (يشحب لونه ويخفض صوته) .
أخذت أفهم . الرجل مجنون ولا أحد يدرى !
(يبتعد) .

بيجريف : (يتبعه) .

الآن ، آمل انك ترى الأمور بوضوح . عندما أقول انه مات فأنا لا أهرف . لقد جن . خرج

عن اهابه كما حدث لثعلب مونخهاوزن ، أحد مواطنى .

پـير : عن اذنك لحظة .

بيجريف : (يمسك به) كان زلقا كثعبان البحر ، ولم يكن ثعلبا . دبوس فى عينه ، واذا به يتلوى على الحائط مبتعدا —

پـير : ماذا أفعل لأنقذ نفسى ؟

بيجريف : وشق حول رقبته ثم — وجد نفسه خارج جلده !

پـير : جنون مطبق !

بيجريف : واضح تماما ان هذا « الخروج عن الذات » لا يمكن أن ينتج الا عن ثورة تعم العالم كله . من كان يظن انهم مجانين أصبحوا عقلاء فى الحادية عشرة من الليلة الماضية ، متابعة لهذه المرحلة الجديدة من مراحل العقل . وأكثر من هذا ، فمن وجهة النظر الجديدة هذه ، أصبح واضحا ان من كنا نظنهم عقلاء قد فقدوا جميعا عقولهم فى هذه الساعة نفسها .

پـير : بمناسبة الزمن ، أنا فى عجلة كبرى —

بيجريف : زمنك أنت ؟ كذا ! تقطع على حبل أفكارى .

(يفتح بابا ويصيح) .

اخرجوا ! قد حانت ساعة الميلاد من جديد !
العقل مات ! يحيا بيرجينت — !

بـير : ولكن ، أيها العزيز —

(يخرج المجانين واحـــدا وراء الآخر الى الفنـــاء) .

بيجريف : تحية لهذا الصباح السعيد ! حيوا فجر يوم الخلاص ! امبراطوركم قد جاء !

بـير : امبراطور ؟

بيجريف : امبراطور !

بـير : ولكنه شرف لا أستحقه — انه يتعدى —

بيجريف : فى مناسبة كبرى كهذه لا تسمح لنفسك بأن يقهرها التواضع الزائف .

بـير : امهلنى ! أنا لا أصلح ، قد ملك قلبى الذهول .

بيجريف : الذهول ؟ أنت ؟ الرجـــل الذى حل لغـــز أبى الهول ! الرجل الذى حقق ذاته !

بـير : هذه هى النقطة بالضبط . قد حققت ذاتى فى كل الأشياء . أما هنا فالظاهر ان على المرأ أن يخرج من عقله ، ويجن .

بيجريف : يخرج ؟ لا ، أبدا ! أنت مخطىء بشكل محزن . هنا نحن نحقق ذواتنا منذ أن يقال لنا : «هيا»! نحن ذواتنا ولا شىء غير ذواتنا . نطير والشراع ملىء ونحن ذواتنا، نكن أنفسنا فى دن الذات، نطهو أنفسنا فى رحيق ذواتنا ، ونسد عـلى أنفسنا بسدادة الذات ، ونروح تنضج ونتبل فى بئر الذات . أبدا لا نفكر فى غير أنفسنا . لا أفكار هنـالك ولا أحزان خارج أفكارنا وأحزاننا ، نحن أنفسنا فى الفـكر والقول ، أنفسنا حتى أبعد الحدود وأشـدها تناهيا ، ولذا ، وما دمنا فى حاجة الى امبراطور ، فقد وضح لنا انك أنت من نحتاج .

بـير : لو ان الشيطان فقط —

بيجريف : الآن لا تفقد شجاعتك . كل عمل جديد لابد له من بداية . « الذات » . هيا ، دعنا نبحث عن أمثلة . فلنخاطر باختيار مثال حيثما اتفق .

(مخاطبا شخصا ، مكتئبا يقف قريبا منه)

طاب يومك ، يا هوهو ! كيف حالك يا رجل ،
أما زلت مثقلا بأحزانك الكبرى ؟

هوهو : أنى لى أن يتغير حالى ، وأسراب من النـــاس
تموت وليس من يفهمها ؟
(مخاطبا بير) .
أنت غريب عنا . هل أحكى لك ؟

پـــير : (ينحنى) بالتأكيد .

هوهو : اصغ ، اذن . فى الشرق تقبع شطئان مالابار ،
كأنما هى تيجان من الزهور . وأهل البرتغال
وهولندا يبذرون هناك بذور الثقافة ، غـــير
أنه الى جوارهم توجد قبائل من أهل مالابار ،
قد خلطوا فى لغتهم حتى أضحت غير مفهومة ،
وان كانوا هم السادة . ومن قرون خلت ، كان
قرد الأورانج — أوتانج هو سيد الغابة غـــير
منازع ، وحاكمها المطلق . كان يقاتل ويرطن
ملىء حريته ، يضحك ويفغر فاه ما شاءت رغبته ،
كما قدرت له الطبيعة . كان يكشر عن أنيـــابه
بكل حرية ، وكان الملك فى قصره ، ولكن ،
سرعان ما جاء الغزو الأجنبى ، وفقــدت لغة

الغاب عذريتها الأولى . ران على جنس القرود
ظلام ليل طويل مقداره أربعمائة عام . وليـــل
كهذا يقتل كل تقدم ، لم تعد أصوات الغابة
القديمة البدائية تتردد . لا أحد يهدر بالصوت ،
حين نبغى التعبير عن أفكارنا نستخدم الكلمات .
يا له من قيد ! نال الأذى البرتغالى والهولندى،
والملابارى والأوروبى — الآسيوى ، على حد
سواء . حاولت أن أدخل المعمعة دفاعا عن لغتنا
الأصلية ، لغة الغاب ، جاهدت كى أرد الى
جثتها الحيـــاة ، ساندت حق الشعب فى أن
يرطن ، رطنت أنا نفسى وبينت حاجتنا جميعا الى
الرطانة ، عن طريق الأغنية ولكن جهادى كله
ذهب بددا . الآن تعرف لم أنا مرير هكذا .
شكرا لاصـــغائك . ان كان لك مقترحات ،
يسرنى أن أسمعها .

پـــير : (لنفسه) يقـول المثـــل ، اذا خرجت الذئاب
تعوى ، فاعو معها ، ذلك أدنى الى سلامتك .
(بصوت عال) يا صديقى العزيز ، اذا لم تخنى
الذاكرة فثمة قبيـــلة من الأورانج — أوتانج

تعيش فى مراكش ، لا معبر عنها ولا شاعر
قومى لها . ان لغتها تشبه لغة الملابار .
ألا يكون جميلا منك ، وأنت القائد الكبير ،
أن تشد الرحال الى هناك لتخدم هؤلاء الناس ؟

هوهو : شكرا لسماعك قصتى . سآخذ بنصيحتك .
(ينحنى انحناءة كبيرة) قد أعرض المشرق عن
شاعره ، وفى المغرب قردة الأورانج — أوتانج .
(يذهب) .

بيجريف : هيه ، ألم يكن هو ذاته ؟ أظن ذلك ! انه ملىء
بذاته ، وذاته فقط . انه ذاته فى كل فكرة
يعرضها ، ذاته لأنه خرج من دائرة العقل .
تعال ! سأريك آخر عاد اليه العقل فى الليلة
الماضية .

(يخاطب فلاحا يحمل على ظهره مومياء) .

أيها الملك أبيس ، يا ذائع الصيت ، كيف
الحال ؟

الفلاح : (فى هياج ، مخاطبا بير) .
هل أنا الملك أبيس ؟

بير : (مختبئا وراء الدكتور) أعترف بأننى لا أعرف

حالتك . ولكن اذا أخذتك بمسلكك قلت —

الفلاح : أنت الآخر تكذب .

بيجريف : هل يسمح صاحب الجلالة باعطائنا تقريرا عن
الحالة .

الفلاح : سأفعل .

(ملتفتا الى بير) .

هل ترى هذا الشىء على ظهرى ؟ كان يوما
الملك أبيس . أما الآن فهو يعرف بالمومياء ،
والى هذا ، فهو قد مات . لقد بنى هذه
الأهرامات هناك ، ونحت أبا الهول العتيد ،
وقاتل ، كما يقول الدكتور ، الترك على
الشطئان ذات الأعشاب يمينا ويسارا . وهكذا
رفعته مصر كلها الى مقام الاله ، ووضعت
صورته فى معابدها على شكل ثور . ولكننى أنا
الملك أبيس نفسه ، هذا واضح لى كأوضح
ما يكون الوضوح ، فاذا لم تتبين هذا الآن ،
فسرعان ما تتبينه . ذات يوم كأن الملك أبيس
يصطاد وفجأة نزل عن جواده وانسحب معتذرا
ثم توغل فى حقل جدى . ان الأرض التى ترك

فيها الملك أبيس سباخا قد غذانى قمحها ، فاذا لم يكف هذا دليلا ، فانى أقول أن لى قرنا غير منظور . أليس من الظلم الفادح اذن أن أحدا لا يقر لى بحقى فى الملك ؟ أنا بالميلاد الملك أبيس ، وان كنت فلاحا فى نظر الجميع . الآن قدم نصيحة طيبة ، رجوتك ؟ القضية هى : كيف أصبح الملك أبيس وأغيظ من يظنون اننى مدع ؟

پـير : علـى جلالتك أن تبنى أهـرامات وتنحت من الصخور أبا هول آخر أعتى من هذا ، وتحارب، كما يقول هر دكتور ، الترك يمينا ويسارا .

الفـلاح : هيه ، يا لها من نصيحة رائعة ! وأنا فلاح ! قملة تموت من الجوع ، كل حولى أن أرد عن بيتى الفئران والجرذان ! أسرع ، يا رجل ! وقدم لى نصحا خـيرا من هذا ، يمنحنى ما قد حـرم الآخرون ، سمات ملكية تشبه الملك أبيس ، الذى أحمله على ظهرى .

پـير : يا صاحب الجلالة ، هل لى أن أنصحك بأن تشنق نفسك ، فـاذا ما دخلت التـابوت ، وأصبحت فى حضـن الأرض ، تصرفت كما لو كنت ميتا ؟

الفـلاح : سأفعل ! حياتى لمن يقدم لى شناقا ! أريد حبلا ألفه حول رقبتى ! سأحس أولا اننى تغيرت ، ولكن الزمن كفيل بأن يذلل هذه الصعوبة .

(يذهب ويأخذ يعد العدة ليشنق نفسه) .

بيجريف : هر بير ، هذا ما أسميه شخصية ، رجـل له منهاج .

پـير : بلا شك — ولكنه يشنق نفسه فعلا ! آه ، يا الهى ! الرحمة ! أنا مريض ! رأسى يدور !

بيجريف : مرحلة انتقال ، لن تطول .

پـير : انتقال ؟ الى ماذا ؟ عفوا — انى ذاهب —

بيجريف : (ممسكا به) هل جننت ؟

پـير : ليس بعد . أجن ؟ لا قدر الله !

(ضـجة . يشق حسين ، وهو وزير ، طريقه وسط الجمع) .

حسـين : قيل لى أن امبراطورا وصل اليوم (مخاطبا بير) أهو أنت ؟

پـير : (يائسا) الظاهر ان هذا تقرر فعلا .

حسـين : اذن فعليك أن توقع بعض الوثائق .

پــير (يقطع شعره) طيب ! هات ! كلما اشــتد الجنون كان أفضل !

حســين : هلا شرفتنى بغمسة ؟

(ينحنى انحناءة كبيرة) .

أنا ريشة .

پــير (ينحنى انحنـــاءة أكبر) أنا مجرد ورقة امبراطورية لا قيمة لها .

حســين : وباختصار ، يا سيدى الهر ، فان قصتى هى : الناس جميعا تقول انني صندوق رمل ، بينما أنا فى الواقع ريشة .

پــير : وقصتى ، يا سيدى الريشة ، وجيزة كقصتك — أنا قطعة من الورق تركوها بيضاء .

حســين : لا أحــد تطوف بذهنه حقيقة قدراتى . انهم يستخدموننى لمجرد التجفيف بالرمل .

پــير : وأنا كانت لى امرأة — كتاب ذو قفل من فضة ! مجنون أم عاقل ، الفرق بسيط .

حســين : تصور كم هو محطم للأعصاب أن تكون ريشة ولا تحس وقع المطواة .

پــير : (يقفز عاليا) تخيل انك غزال رنة تقفز من

فوق الأحجار ، وتسقط ، تسقط تسقط ، دون أن تحس بأرض ما تحت حوافرك !

حســين : سكينا ! قد فقدت حدى اسرعوا ، اقطعونى ! شقونى ! سينتهى العالم اذا لم تعيــدوا الى ارهافى .

پــير : خوفى على العالم ! لقد أبدعه الله ، مثل كثير غيره من الأشياء ، قريبا من الكمال .

بيجريف : اليك سكينا !

حســين : (ممسكا بها) آه ! الآن أستطيع أن أمتص الحبر امتصاصا ! يا لها من لذة ، يا لها من نشوة اذ يقطع المرء نفسه هكذا !

(يحـــز رقبتـــه) .

بيجريف : (يبتعد عنه) لا داعى لأن ترشنى بالدم !

پــير : (فى فزع متزايد) امسكوه !

حســين : أجل ، امسكونى ! هذا هو المطلوب . امسكوا . امسكوا الريشة ! ضعوا الريشة على الورق ! (يسقط) انتهيت . الحاشية ، لا تنسوها : عاش ومات ، ريشة تسوقها أصابع الغير .

پــير : (فى هياج) ماذا أفعل — ماذا أنا ؟ أيها الاله

العظيم ، ثبتنى . أنا كل ما تريد — تركى ،
خاطىء ، عفريت . فقط أعنى ، قد انفجر شىء .

(يصرخ) .

اسمك — ذهب — نسيته — أعنى ، أنت ،
يا حامى المجانين أعن !

(يسقط وهو متهالك . يقفز بيجريف ، وفى يده تاج من القش ، ويجلس فوق پير) .

بيجريف : ها ! انظروا اليه جالسا على عرش فى الوحل !
انه مجنون ! سنتوجه هنا !

(يضع التاج على رأس بير ويصيح) .

عاش الامبراطور ، امبراطور الذات !
شافمان (فى قفصه) .

Es lebe hoch der grosse Peer [1]

---

(1) يحيـا پير العظيم .

الفصل الخامس

المشهد الأول

المنظر : على ظهر سفينة فى بحر الشمال ، تسير قريبا من الشاطىء النورويجى . الوقت : المغيب . الجو عاصف . يرى بيرجينت فى صحة جيـدة — وان أضحى عجوزا اشيب شعر الراس واللحية واقفا فى أعلى مؤخرة السفينة ، فى ملابس شبه بحرية . سترة بحار ، وحذائه . الملابس بالية الى حد كبير . يبدو وقد عركه الجو ، وأصبح وجهه اصلب من قبل ، القبطان ، ومعه السائق ، أمام عجلة القيـادة . البحارة فى المقدمة . بير جينت متكىء بذراعيـه على سياج السفينة ، وقد ثبتت عيناه على الشاطىء .

پـير : انظروا الى جبـل هالينجسكارف وقد ارتدى حلة الشتاء ، هذا العتيق مزهو بجماله فى شمس المغيب . وهذا أخوه ، جبل « يوكل » ، واقف وراءه وقلنسـوته الثلجية الخضراء مطروحة ، لا تزال ، وراء ظهره . وهذا جبل « فولجفان » لم تلحقه بقعة واحدة ، كأنما هو عذراء فى ملابس ناصعة البياض . ابقوا فى مكانكم !

مكانكم الى الأبد ! لا تلعبوا بى ، يا أصدقائى الأعزاء ! ما أنتم الا صخور .

القبطان : (يصيح الى الأمام) رجلان عند العجلة — وضعوا المصباح فى مكانه !

پير : الهواء يهب قويا .

القبطان : العاصفة فى الطريق .

پير : أترى تلال روند من البحر ؟

القبطان : لا ، انها وراء الثلاجات .

پير : ولا بلاهو ؟

القبطان : لا ، ولكن من أعلى ظهر السفينة ، وحين يصحو الجو ، تستطيع أن ترى بوضوح جالدهوبيجين.

پير : وأين هارتيجين ؟

القبطان : (مشيرا) هناك .

پير : آه ، صحيح .

القبطان : الظاهر انك تعرف هذه البقاع .

پير : ركبت البحر عبر هذه الأماكن حين غادرت وطنى . قال أحدهم ذات مرة : ان عقولنا كمخازن الخشب ، مليئة بالذكريات العابرة .

(يبصق ويحدق ثانية فى الشاطىء) .

انهم يعيشون هنا ، فى تلك الوديان الزرقاء ، وفى الوديان الجبلية السوداء كأنها الخنادق الضيقة ، هناك عند شطئان الفيوردات المفتوحة .

(ينظر الى القبطان) .

البيوت متناثرة جدا ، ها هنا .

القبطان : تسير أميالا قبل أن تصادف منزلا .

پير : أنتزل الى البر فى الصباح ؟

القبطان : تقريبا . الا اذا صادفتنا ليلة سيئة .

پير : منظر السماء فى الغرب ينذر بشر ما .

القبطان : آه !

پير : حين أدفع الحساب ، ذكرنى بأن أهب البحارة شيئا . أريد أن أعطيهم جميعا !

القبطان : شكرا .

پير : لن يكون ما أعطيهم كبيرا . جمعت ثروة ولكن أغلبها ذهب . أنا والحظ على خلاف الآن . أنت تعرف ما أملك على ظهر هذه السفينة . هذا كل ما بقى ! الباقى راح !

القبطان : ما بقى يكفى ويزيد ليهىء لك مكانا بين الناس هنا .

پير : لا أسرة لى . ليس من ينتظر عودتى ، أنا الابن

المتلاف . سأنجو من « مناظر الاستقبال » جميعا حين ننزل الى الميناء .

القبطان : انظر ! ها قد هبت العاصفة !

پـير : لن تنسى ما قلت لك ، هيه ؟ لو وجد بين بحارتك من هو محتاج حقا ، فلن أتردد فى البذل .

القبطان : هذا منك كريم . الكل تقريبا مفلس . وكلهم متزوج وله أولاد . وليس بينهم من يفى أجره بمطالبه . ولو زدتهم على ما يحصلون شيئا ، فستكون هذه أوبة العمر لهم .

پـير : ما هذا الذى قلت ؟ لهم زوجات وأولاد ؟ هم متزوجون اذن ؟

القبطان : عن آخرهم ! الطباخ أشدهم حاجة . عائلته نصف ميتة من الجوع .

پـير : متزوجون ؟ لهم بيوت ؟ هناك من ينتظرهم ؟ من يرحب بعودتهم ؟

القبطان : نعم . ترحيب الفقير .

پـير : واذا وصلوا بالليل — ماذا اذن ؟

القبطان : يضمنون طعاما خاصا على العشاء .

پـير : وشموع على المائدة ؟

القبطان : وشىء من شراب .

پـير : يجلسون فى استرخاء الى جوار نار تلتمع ، وحولهم زوجاتهم وأولادهم ، ويحدثون ما شئت من جلبة وضوضاء — يتحدثون جميعا فى نفس واحد ، وقد غلبتهم السعادة فلم يعودوا ينصتون لبعضهم البعض !

القبطان : نعم ، هذا كله سوف يحدث ، لهذا كان جميلا منك أن تعد بمنحهم مزيدا على أجورهم .

پـير : (يخبط حافة المركب بشدة)
ملعون أنا ان فعلت ! أتظننى مجنونا ؟ أتعتقد حقا اننى سأفرغ جيوبى من أجل أولاد الغير ؟ قد عملت كالعبد لأحصل على مالى . وليس من ينتظر بيرجينت العجوز .

القبطان : افعل ما بدا لك ، المال مالك .

پـير : طبعا ! وسيظل مالى . سأدفع حسابى فور أن نرسو ! أجرة سفرى من بناما ، ثم أدفع ثمن دورة شراب على البحارة ، فقط لا غير . لو أعطيت المزيد فلك أن تحطم رأسى !

القبطان : لا شأن لى برأسك . انما تعنينى قائمة الحساب.
عن اذنك الآن . الريح تشتد .

(يقطع ظهر المركب مشيا . يخيم الظلام . يوقد مصباح فى غرفة القبطان . يزداد اضطراب السفينة . السماء تتلبد ، وتكثف (الشابورة) .

پير : أنفق على أسراب من أولاد الغير ، ازرع الضحكة فى أرواحهم وادخل البهجة الى بيوتهم واثقا انهم دوما يلقون رعاية شخص ما ، وأنا لا أجد قط من يرعانى . نور يرحب بهم ؟ سأطفىء حالا هذا النور ! سرعان ما أجد الطريقة ! سأسكرهم جميعا . الملاعين ! سأحرص على أن يفقدوا الوعى جميعا . سيعودون الى زوجاتهم وأولادهم وهم فى سكر بيّن . سيسبون اذن ويقرعون الموائد بأيديهم حتى ترن . ستفزع الأسر حتى تفقد العقول . وتجرى الزوجات وهن يبكين ويتركن البيوت هن وأولادهن . هكذا أدخل عليهم السعادة !

(تميل السفينة ميلا شديدا . يفقد توازنه ثم يقف ثابتا بصعوبة) .

آه ، هذا اضطراب فظيع ! البحر يعمل كما لو أن أحدا قد نقده أجرا عن كل موجة . هذه المياه الشمالية أمينة دائما لنفسها . دوما ثائرة ، غريبة الأطوار ، عاصفة .

(يصغى) .

ما هذا ؟ سمعت —

البحار المراقب : حطام يسير مع الريح .

القبطان : (من وسط السفينة) أدر العجلة الى اليمين ! اتبعوا الريح من قريب !

الضابط الأول : أهناك أحد على الحطام ؟

البحار المراقب : أرى ثلاثة .

پير : بسرعة ، انزلوا زورقا .

القبطان : لا يمكن أن يصل .

(يخطو الى الأمام) .

پير : كيف تقول هذا ؟ لو انكم رجال ، لحاولتم . ماذا لو أصابكم البلل شيئا ما ؟

ضابط الشراع : مستحيل فى مثل هذا البحر .

پير : انهم يستنجدون مرة أخرى . والريح آخذة فى

الهدوء . انت ، أيها الطباخ ! هل تقبل؟ سأجزيك خير الجزاء .

الطبـاخ : حتى ولو دفعت عشرين جنيها .

بـيـر : يا كلاب ، يا جبناء ! انهم رجال ، لهم زوجات واولاد ينتظرون عودتهم —

ضابط الشراع : حلمك ، حلمك .

القبطـان : ابتعدوا عن الامواج العالية .

الضابط الأول : اختفى الحطام فى اليم .

بـيـر : هذا الصمت — ؟ ماذا ؟

ضابط الشراع : لو صح انهم متزوجون ، كما تظن ، فقد اضيف اليوم الى قائمة الارامل ثلاث جديدات .

(تزداد حدة العاصفة يتجه بير الى مؤخرة السفينة) .

الايمـان يموت بين الناس والمسـيحية مجرد كلمة مطبوعة . الخير من الأعمال نادر . الناس لا يقيمون الصـلاة ، ولم يعد لهـم احترام للسماوات العلا . ليس كالعواصف ما يظهر بأس الله . واجب هؤلاء الخنازير أن يحذروا ويتعظوا بالمثل الذى يقول : « اللعب بالنـار

خطر » . ولكنهم لا يفعلون . ويصرون على تعدى حدود الله . أما أنا فبرىء . ويوم القيامة أستطيع أن أثبت انى كنت على استعداد ، ومالى فى يدى . هل أحصل على جزاء ؟ طبعا ، فالمثل يقول : « الضمير المرتاح يهيىء وسادة مريحة » . هذا ينطبق على البر فقط ، أمـا فى البحر فالرجل الطيب نادر . فى البحر ، لا يمكن أن تكون نفسك . تعوم أو تغطس مع الجميع . وحين تحل ساعة الانتقام من الطباخ أو ضابط الشراع ، تحل أيضا بالنسبة لى . المصـالح الفردية لا تهم القدر على الاطلاق . الفـرد بالنسبة له كواحد « السجق » يخرج من الآلة . قد ارتكبت خطـأ بالافراط فى الـوداعة ، فما أفادنى هذا شيئا . لو كنت أصـغر سنا لغيرت خططى ، وأصـبحت أدنى الى فرض ارادتى . لم يزل هناك وقت . سرعان ما ينتشر الخـبر بأن بيرجينت قد عاد من أسـفاره . سأستعيد مزرعتى بالحق أو بالباطل ، وأبنيها من جديد ، واجعل لى فيها قصرا ، ولكن لن

أدخل فيه أحدا . سيقف الناس بالعتبة ، عارى الرؤوس ، تعبث أيديهم بالقبعات فى خجــل ، وسيرجون ويستحلفون . ولن يضيرنى هذا ، ولكنى لن أعطيهم شيئا . ولا مليما . طالمـــا أحنيت رأسى تحت ضربات القدر . الآن فليحن غيرى رؤوسهم .

الراكب : مساء الخير !

پــير : مساء الخير ! ماذا ؟ من أنت ؟

الراكب : راكب زميل .

پــير : أمر غريب ! ظننت أننى المسافر الوحيد .

الراكب : غلطة بسيطة . ها قد تلافيناها .

پــير : لماذا لم أرك قط من قبل ؟

الراكب : لا أخرج الى ظهر المركب بالنهار .

پــير : كنت مريضا ؟ أنت أبيض كملاءة السرير .

الراكب : لا ، أبدا . أنا فى خير صحة .

پــير : يا لها عاصفة مخيفة !

الراكب : نعم . هذا حسن .

پــير : حسن ؟

الراكب : الموج فى ارتفاع المنازل . لعابى يسيل ! تخيل

عــدد السفن التى تغرق الآن . فكر كم من الجثث سيلفظها البحر عما قريب !

پــير : يا رحمة الله !

الراكب : هــل رأيت قط انسانا يشنق ؟ أو يختنق — أو يغرق ؟

پــير : اسمع ، أنت تتعدى الحدود !

الراكب : الجثث كلها مفتوحة الشدقين ، كأنها تضحك فى سخرية ، ومعظمها تقريبا قد قطعت ألسنتها .

پــير : هس . ابعد عنى !

الراكب : اصغ الى . تخيل اننا اصطدمنا بالأرض فى مياه ضحلة ، واننا نغرق فى الظلام —

پــير : تظن أننا فى خطر ؟

الراكب : لست واثقا . أنا فى الحقيقة لا أعرف . تخيل فقط اننى نجوت وانك تهبط الى القاع .

پــير : كلام فارغ !

الراكب : من السهل أن يحدث . المرء حين تكون احدى قدميه فى القبر تأخذه موجة من الكرم ، فيمنح الناس الأشياء .

پــير : (يبحث فى جيبه) آه ! نقود ؟

الراكب : لا ! انما أطلب جسدك الثمين .

پــير : الحق انك تعديت الأصول بكثير !

الراكب : جسدك ، ولا شيء غيره ! من أجل العلم —

پــير : امش !

الراكب : سيدى العزيز ، فكر فيما سوف تكسب بهذا ! سأفتح بطنك وأعرضك على الناس . أنا أحاول أن أعثر على مقر الأحلام فى جسم الانسان . سأدقق النظر فى كل موضع منك .

پــير : امش من هنا .

الراكب : يا سيدى العزيز ، ما فائدة جثة غريق !

پــير : أيها المغفل المجدف ! أنت تعين علىّ الريح . مجنون ؟ فى هذا الظرف ، فى هذه العاصفة ، فى هذا المطر ، فوق هذا البحر الهادر ، وكل شيء يوحى بأن كارثة قد تكون على وشك الوقوع ، تأتى أنت وتغرى بنا الأقدار .

الراكب : الظاهر انك لا تريد مواصلة الكلام . ربما تغير رأيك فى الوقت المناسب .

(يحنى له رأسه فى ود) .

سنلتقى حين تغرق المركب ، ان لم يكن قبل هذا ! اذ ذاك قد تكون أهدأ نفسا .

(يدخل كابينـــه) .

پــير : أولوشر ، هؤلاء العلماء ! وملحدون ، أيضا . كلمة واحدة ، أيها الصديق ! هذا الراكب ؟ من هو بين المجانين ؟

ضابط الشراع : أنت الراكب الوحيد على المركب .

أنا فقط ؟ الأمر يسوء ويسوء .

(محدثا بحارا يخرج من الكابينه) .

من هذا الذى دخل الكابينة الآن ؟

البحار : كلب السفينة ، يا سيدى .

(يمضى) .

البحار المراقب : (يهتف) الأرض قريبة !

پــير : احضروا حقيبتى وصندوقى ! اخرجوا متاعى كله الى ظهر السفينة .

ضابط الشراع : هناك ما هو أهم .

پــير : كنت أمزح ، يا قبطان . هى روح الدعابة فى ! سأعين الطباخ ! بكل تأكيد !

القبطان : شراع مقدم السفينة سقط فى البحر !

الضابط الأول : بل الشراع الأمامى .

ضابط الشراع : (يهتف فيما أمامه) .

الموج العالى فى الطريق .

القبطـان : السفينة تتحطم !

(تنهار السفينة . ضوضاء واضطراب) .

الفصل الخامس : المشهد الثانى

المنظر : قرب البر ، بين الصخور والموج العالى . السفينة تغرق . من خلال الشـــابورة يرى زورق به رجلان . موجة عالية تحيط به فينقلب . تسمع صرخة . ثم يسود الصمت بعد قليل تظهر قاعدة الزورق . يظهر أيضا بير جينت قريبا من الزورق المقلوب .

بـــير : النجدة ! اغرق ! ارسـلوا لى زورق نجاة ! انقذنى ، يا الهى — هذا فى الانجيل .

الطبـاخ : يا الهى العـزيز ، رحمـة بأولادى . ارحم ! ساعدنى على بلوغ الشط .

(يستمسك بالزورق المقلوب) .

بـــير : دع الزورق !

الطبـاخ : انزل !

بـــير : سأضربك —

الطبـاخ : سأحطم —

بـــير : سأخلعك خلعا ! سأقتلك ! اترك الزورق — الا تسمع ؟ انه لا يتحمل اثنين .

الطباخ : اعرف ! اتركه انت !

پير : انزل !

الطباخ : لن أفعل !

پير : ارفع هذه اليد !

الطباخ : ابق على ارجوك . ارحم صغارا ينتظرون عودتى .

پير : حاجتى الى الحياة أكبر من حاجتك . فأنا لم أنجب حتى لآن .

الطباخ : اترك الزورق ! قد عشت حياتك . أنا ما زلت صغيرا !

پير : انزل ! بسرعة ! والا هبط كل منا الى القاع !

الطباخ : ارحمنى ! فى سبيل الله ، انزل ! ليس لك من يحزن لفقدك .
أنا أغرق .

پير : (ممسكا به) لا ، انا امسك بك من شعرك .
الآن ، ردد صلواتك .

الطباخ : لا أذكر شيئا . كل شىء ظلام —

پير : قل العبارات المهمة .

الطباخ : « اعطنا هذااليوم — »

پير : انس هذا . سرعان ما تحصل على ما تريد .

الطباخ : « اعطنا هذا اليوم — » .

رجل : نفس الأغنية القديمة ! واضح أنك طباخ .

البحار : (وهو يغرق) « اعطنا هذا اليوم خبزنا — » .

پير : آمين ، يا فتى ! كنت نفسك حتى النهاية .

(يركب الزورق) .

ما وجدت الحياة ، وجد دائما الأمل .

(الراكب الغريب يرى ممسكا بالزورق) .

الراكب : صباح الخير !

پير : أنت ؟

الراكب : سمعتك تصرخ . طريف أن أصادفك ثانية !
هيه . هل كانت نبوءتى صحيحة ؟

پير : انزل ! لا يوجد مكان لاثنين .

الراكب : آه ، ولكنى أستطيع السباحة برجلى اليسرى .
سأمسك بهذه الشظية بطرف اصبعى لأبقى طافيا .
ولكن ، فيما يخص الجثة —

پير : اخرس !

الراكب : الباقون قضى عليهم —

پير : اخرس !

الراكب : ليكن .

(صـــمت)

پـــير : وبعــد ؟

الراكب : خرست .

پـــير : آه ، أيها الشيطان ! ماذا تريد ؟

الراكب : أنا منتظر .

پـــير : (يمزق شعره) سأجن . من تكون ؟

الراكب : (يحنى رأسه) صديق .

پـــير : وماذا أيضا ؟

الراكب : ماذا تظن ؟ ألا تذكر أحدا يشبهنى ؟

پـــير : الشيطان فقط !

الراكب : (فى رقة) وهل الشيطان ينير الطريق حين يستبد بنا الخوف ويسود وجه الحياة ؟

پـــير آه ! اذن أنت فى الواقع ملاكى الحارس — هيه؟

الراكب : يا صديق . هل شعرت ، خلال ستة أشهر مثلا ، بالخوف يشق قلبك فى الصميم ؟

پـــير : حين يلوح الخطر ، ترانى أخاف . غير أن كلامك هذا غير مجد .

الراكب : يا صديق . هل تأتى لك ، طول حياتك ، أن انتصرت على الخوف ؟

پـــير : (ناظرا اليه) اذا كنت قد جئت لتنير لى الطريق، فقد كان أجدر بك أن تأتى قبل هذا بكثير . لا معنى لأن تأتى الآن والبحر موشك أن يبلعنى.

الراكب : ولكن أيكون نصرك أكثر تأكدا فى ركن هادىء الى جوار المدفأة ؟

پـــير : من يدرى ؟ لم يأت حديثك بنتيجة . أكنت تريد أن تمنحنى الايمان ؟

الراكب : فى البلد الذى أتيت منه البسمة أكبر قدرا من حزن متصنع .

پـــير : لكل مقام مقال . والمثل يقول : ما يفعله ساقى الحان لا يليق بالأسقف .

الراكب : السواد الأعظم لا يتمخطرون فى الأحذية العالية.

پـــير : أيها الغول ! انزل ! اذهب ! لن أموت . سأصل الى البر رغم أنفك .

الراكب : طبعا ، أطمئن . المرء لا يموت فى منتصف الفصل الأخير (يذهب) .

پـــير : قد كشف نفسه أخيرا . واعظ أخلاقى سخيف.

الفصل الخامس : المشهد الثالث

المنظر : فنـاء كنيسة فى أعالى الجبال . جنازة ، وقس ، وجمع من المصلين . تسمع الأبيات الأخيرة من أحد الأناشيد يظهر بيرجينت فى الطريق خارج الكنيسة . يقف بالبوابة .

بير : انسان آخر هلك كالسابقين . شكرا للسماء ان الميت ليس أنا !

(يدخـل) .

القس : (عند القبر) .

والآن وقد صعدت روحه الى بارئها ، وظل جسده هنا ، آنية فارغة ، الآن ، يا صحابى الأعزاء ، فلنقل كلمات عن رحلة هذا الميت على هذى الأرض . لم يكن غنيا ، ولا كان ذا عقل كبير ؛ لم يكن شجاعا ، ولا كان رجولى المظهر . كان خجولا مترددا فى أحواله . فى بيته لم يكن سيدا قط . كان يزحف الى هذه الكنيسة فى صمت كأنما يستأذننا أن يدخل ويشاركنا الصلاة. هو من ناحية « جود براند سدالين » ، وكلكم

يعلم كيف كان يروح ويجيء هنا وهو بعد صبى. أنا واثق انكم تذكرون جميعا كيف كان يضع يده اليمنى فى جيبه دائما . بل ان هذه العادة ، الى جوار خجله واضطرابه ، وتحفظه الصامت المنكر للذات ، هى التى جعلت لصورته أثرا لا يمحى فى عقولنا . ومع أنه كان منعزلا عنا ، ورغم أنه ظل الى النهاية غريبا بيننا ، فقد كنا نعرف تماما أن اليد التى يخفيها ذات أربع أصابع فقط — لم تنجح محاولاته اليائسة فى حجب هذه الحقيقة عنا . وأذكر تماما ذات صباح، من سنوات خلت، كانت الحرب قد بلغت الذروة ، وكان التجنيد فى « لوند » قائما على قدم وساق . كنا نعلم تماما الأخطار التى تواجهنا . جلس الكابتن الى منضدة بين العمدة والجاويشية . وكنت أتفرج . كان المقترعون يتقدمون ، واحدا وراء الآخر حيث تؤخذ مقاييسهم ، ويفحصون طبيا ، ثم يلحقون بالخدمة ، ويؤدون اليمين ، وينضمون الى الجيش . كانت الغرفة مليئة بالرجال ، ومن الخارج سمعنا المقترعين ينفجرون ضاحكين .

ونودى على اسم ، وجاء فتى آخر وجهه أبيض كثلوج الثلاجات . كانت يده ملفوفة فى خرقة . أمروه أن يتقدم الى النضد حيث أخذ الكابتن يستجوبه ، هنالك وقف الشاب فأغرا فاه وتلعثم وبلع ريقه ، وتكلم فلم يخرج له صوت وأخيرا تحدث . كان خداه ملتهبين وبين الحين والحين كان صوته يخونه أو تتساقط الكلمات من فمه فتدغم احداها الأخرى . وبهذه الطريقـة تمتم رواية ما عن منجلة انزلقت واخترقت العظـم فقطعت أحد أصابعه . وخيم الصمت . وتبودلت نظرات سريعة عبر الغرفة . والتوت الشـفاه احتقارا ، وبدا كأن الصمت يرجم الفتى بحجارة. لم يكن يرى محتقـريه ، ولكنه كان يحس ازدراءهم يخزه وخزا . ومن ثم وقف القبطان ، وهو عجوز أشيب الشعر ، فبصق ثم أشار الى الباب وقال : « اخرج ! » وخرج الفتى وتفرق الجميع ، وقد هيئوا بينهم ممرا خاضـه الفتى وسهام النقد والزراية مصوبة نحوه حتى وصل الى الباب ، فأطلق ساقيه للريح متجها صـوب

التلال . ثم صعد مخترقا الغابات ، واعتـلى الصخور الناتئة وتلك التى برتها المياه ، وهو يتعثر مبهور الأنفاس . كان بيته موغلا فى البعد ، مندسا بين الجبال . ومرت شهور ستة قبل أن يعود الينا ، جاء ومعه أمه ، وطفل ، وخطيبة . استأجر أرضا فوق التلال ، حيث العشب ممتد منبسط يصل الى ناحية « لومب » . وحينما لاحت الفرصة تزوج الفتى ، وابتنى لنفسه بيتا ، وجعل يحطم الأرض الصخرية ويعمل فيها حتى أخذت تلوح فيها مساحات من القمح الذهبى تروى قصة كفاحه . ومع ذلك ، ففى الكنيسة ، ظل يضع يده المبتورة الأصبع فى أعماق جيبه ، وان كنت واثقا أنه فى بيته كان يفعل بأصابعه التسعة ما يفعله غيره بعشرة . وذات ربيع ، داهم بيته الفيضان فانهار . واستطاع سكان البيت أن ينجوا بجلودهم . ولكنهم أصبحوا من بعد مشردين فقراء . ومن ثم ، عاد الرجـل ينظف الأرض ويبنى فوقها . وجـاء الخريف ، فاذا بالدخان يتصاعد من مداخن بيت جديد فى مزرعة

أكثر أمنا ، على الجبال . هل قلت أكثر أمنا ؟ أجل ، أمنا من الفيضان وليس من الهيـارات الثلجية . فلم يمر عامان الا وقد اجتاحت الثلوج هـذه المزرعة . ومع ذلك ، فحتى الهيارات لم تستطع أن تكسر شوكة الرجل . فقد عاد يضرب الأرض ويزيح الثلج ، ويزيل عنها النفاية ، ويخزن كتل الأشجار وقودا ، وقبل أن يحل الشتاء كان قد صنع لنفسه بيتا للمرة الثالثة . وكان قد أنجب ثلاثة أولاد ، أولادا ثلاثة ممتـازين . وكانت مدرستهم جد نائية . وحيث كانت الطريق تنقطع بهم ، كان عليهم أن يشقوا لأنفسهم طريقا عبر الممرات الضيقة ، وحقول الثلج حادة الارتفاع. فماذا فعل الرجل ؟ ترك الولد الأكبر يشق طريقه بنفسه ، ولكنه حيث تتعقد الأمور كان يشد الولد اليه بحبل ، ويحمل الولدين الآخرين ، واحدا على ذراعه والآخر على ظهره . وهكذا ظل يجاهد، العام بعد العام ، حتى أضحى الصبيان رجالا . وظن ومعه الحق أن قد آن الأوان كي يرد اليه أولاده الجميل ، الآن وقد أصبحوا سادة أغنياء

فى العالم الجديد . غير أنهم نسوا أباهم الذى يعيش فى النورويج ، وما أتاح لهم من تعليم راق جهد فى سبيله كما يجهد العبيـد . كان كليل النظر . لم يستطع قط أن يرى أبعد من دائرة الأسرة الضيقة . والكلمات التى ترن عميقا فى قلوب الرجال جميعا كانت فى أذنيه كالأجراس البعيدة ، لم يكن لها صدى فى نفسه . الوطن ، العنصر — وهما مثالان يتألقان بالنور — كانا يضيعان فى الضباب أمام عينيه الحسيرتين . ولكنه كان متواضعا ، أجل كان هذا الرجل متواضعا . ومن يوم تلك الحادثة الخطيرة فى « لوند » ظل يحمل شارة العار فى قلبه تماما كما تحمل وجنتاه حمرة الخجل ، وكما تحمل يده الأصابع الأربعة وهى خبيئة فى جيبه . هل خرج الرجل على قانون بلده ؟ بلا شك . ولكن ، كما تسمو السحب ، كالقمم الضاربة فى الارتفـاع ، فوق خيمـة « جيليترتيند » التى تعمى الأبصار ، كذلك هناك من الأشياء ما يسمو فوق القانون . لم يـكن وطنيا صالحا . كان للدولة والـكنيسة عمودا

أجوف ، ولكنه فى الأرض الخراب ، وبين أفراد أسرته ، حيث يقوم عمله الحق — عمل حياته كلهـا ، كان عظيمـا ، لأنه حقق ذاته . كان جوهره يرن كالعملة الطيبة . وكانت حيـاته موسيقى تعزفهـا الأيام على أوتار خرسـاء . لكل هذا أقول : نم فى أمان ، أيهـا المحارب الصامت الذى خاض معركة الفلاح الصغيرة ثم سقط . لن نفتش فى قلبه ولا فى دوافعه ، فليس هذا عملنا وانما هو عمل الاله . ولكنى من كل قلبى ، وبكل اخلاص ، أرجو ، اذ يتخذ مكانه الى جوار الله أن تذهب عن الرجل عاهته .

پـير : هذه هى المسيحية حقا . ليس فى العظمة ما يضايق المرء . أجل . أن موضوع خطبة القس ، فكرة تحقيق الذات دائما ، هى ، فى حد ذاتها ، فكرة بالغة الفـائدة .

(يحـدق فى القبر) .

ليت شعرى : أهذا هو الصبى الذى رأيته يجتز اصبعه ذلك اليوم الذى كنت أقطع فيه الأشجار

بالغابة ؟ من يدرى ؟ لعلى ، لو لم أكن واقفا الآن معتمدا على عصاى على حافة قبر هذا الروح القريب الى روحى ، كنت خليقا أن أكون أنا نفسى الميت ، أنام هنالك وأسمع فى أحلامى من يتغنى بفضائلى . انها عادة مسيحية تستأهل أقصى المديح ، تلك التى تقضى باستعراض حيـاة الموتى الأعزاء بعين حانيـة . أنا نفسى أقبل راضيا حـكم قس واسـع العقل كهـذا الرجل . هيه ، احسب أنه ما زالت بالعمر بقية قبل أن ينادينى اللحاد . وكما يقول الانجيل . « الأفضل هو الأفضل » وكما يقول أيضا : « يكفى اليوم شره » وكمـا يقـول كذلك : « لا تقترض من أجل جنازتك » .

أجل أن الكنيسة هى العزاء الحق الوحيد ، الآن فقط أتبين هذا . الآن أرى كم هو طيب أن يؤكد لك العارفون « أن الذى يزرعه الانسان اياه يحصد أيضا » . عليك أن تكون ذاتك . فى صـغير الأمور وكبيرها ، واجبك أن تحرص على نفسك. ابذل الجهد الكبير كى ترعى كل ما ينتمى الى

ذاتك . فاذا ما عاندك الحظ أكبر عناد كنت فى القليل قد سويت بنفسك قدسيتك. والآن، الى البيت ! مهما يكن الطريق عسير الصعود أو ضيقا، أو كان القدر قاسيا حتى النهاية ذاتها ، فسيظل بيرجينت العتيد سائرا فى طريقه المرسوم ، وسيحقق ذاته دائما ويكون أبدا فاضلا وان ألم الفقر بساحته .

الفصل الخامس : المشهد الرابع

المنظر : تل : بأسفله مجرى نهر جف ماؤه . على شط النهر طاحونة متهدمة . الأرض متشققة ، متكسرة ، والخراب منتشر فى كل مكان . فى مكان أكثر ارتفاعا ترى مزرعة كبيرة ، يجرى خارجها بيع بالمزاد . قد تحلق جمع كبير كثير الصخب ، يشربون الخمر على نطاق واسع . بير جينت جالس على كوم من النفايا قرب الطاحونة .

بـــير : الى الوراء أو الأمام نفس المسافة . فى الداخل وفى الخارج الممر ضيق . لا الزمن ولا المد ينتظر أحدا . قال البويج : « خذ طريقا دائريا » وهذا ما هو حتم أن أفعل هنا .

رجل فى ملابس الحداد : الآن لم يعد الا النفاية .

(يرى بير جينت) .

وفينا أغراب أيضا ! بارك الله فيك يا صاحبى !

بـــير : طاب يومك ! هذه مناسبة بهيجة . أهو حفل تعميد أو زواج ؟

رجل فى ملابس الحداد : بل قل أنه احتفاء بعودة الغريب الى بيته . العروس نائمة فى فراش من دود .

پـــير : والدود يتصارع من أجل قطعة أو أخرى .

رجل فى ملابس الحداد : انها النهاية . نهاية قصة حياة .

پـــير : كل قصة قديمة . كل قصة تنتهى نفس النهاية . عرفت القصص جميعا وأنا صبى .

شـــاب : (ومعه مغرفة صهر) انظر الى هذه ! اشتريتها توا ! أليست رائعة ؟ كان بيرجينت يصهر الأزرار الفضية فيها .

شـــاب ثان : وأنا ماذا اشتريت ؟ كيس بملليمات !

شاب ثالث : وأنا ؟ جعبة بائع جوال بقرشين .

پـــير : بيرجينت ؟ من هو ؟

رجل فى ملابس الحداد : كل ما أعــرفه أنه كان زوج أخت المــوت ، « وأسلاك » الحداد .

رجل فى ثوب رمادى : قد نسيتمونى . مجانين أنتم أم سكارى ؟

رجل فى ملابس الحداد : نسيتم الغرفة العليا فى هجستداد .

رجل فى ثوب رمادى : هذا حق ! ولكن متى كنت ذا ضمير حى ؟

رجل فى ملابس الحداد : لنفرض أنها عصفت بالموت !

رجل فى ثوب رمادى : هيا . اشرب مع زوج أختك .

رجل فى ملابس الحداد : زوج أخت ! اذهب الى الجحيم ! أنت تهرف !

رجل فى ثوب رمادى : آه ، كلام فارغ . الدم لا يكون ماء هكذا ! كل منا قريب لبيرجينت بوسيلة أو أخرى .

(ينصرفان معـــا) .

پـــير : (فى صوت خفيض) الظاهر اننى بالفعل قد لقيت صحابا قدامى .

الصبى : أمى المسكينة ستسكن روحك ، يا أســلاك ، لو عدت للشراب ثانية .

پـــير : (ناهضا) يقول المثل الفلاحى : « كلما حفرت أعمق ، كانت الرائحة أعبق » . ولكنه هنـا لا ينطبق .

شـــاب : (يلبس فراء دب) انظر هنا ! هذا قط دوفر ! أو ، على الأقل ، جلده . انه القط الذى ذهب يطارد جنية عشية عيد الميلاد .

شـــاب ثان : (معه قرون غزال الرنة) هذا قرن غزال الرنة الذى ركبه بيرجينت حينما انزلق من فوق قمة جبال جيندين .

شاب ثالث : (يحمل مطرقة ويهتف مخاطبا الرجل فى ملابس الحداد) هيه ، أنت ، يا اسلاك ، انظر الى هذه

المطرقة ! أهى التى استخدمتها حين نفذ الشيطان خلال الحائط ؟

شاب رابع : (فارغ اليدين) هذه « مادزموين » ! العباءة الخفية التى طار بها بيرجينت وانجريد ، وغابا عن الأنظار !

پير : براندى ها ، يا أولادى ! أحس وطأة السن ! سأعرض نفايتى هذه فى المزاد .

شاب : وماذا عندك ؟

پير : لى قصر بأسوار كبيرة سميكة . انه فى الروند .

شاب : أعرض فيه زرا واحدا .

پير : اجعله قدرا من الشراب . انها لخطيئة وعار أن تعرض أقل .

شاب آخر : عجوز لطيف !

(الناس يتحلقون حول بير) .

پير : وحصانى ، جرين ! هل من يتقدم ؟

واحد من الجمع : وأين هو ؟

پير : هو فى الغرب ! قرب الشمس الغاربة ، يا أولاد ! جرين يجرى بسرعة ، بسرعة بيرجينت فى اطلاق الأكاذيب .

أصوات : وماذا عندك أيضا ؟

پير : ذهب ورغوة معدن . بضاعة اشتريتها على عيبها . سأبيع بخسارة .

شاب : أعرضها للبيع !

پير : وعندى حلم بكتاب صلاة ! أطلب فيه مجرد زر .

شاب : اللعنة على الأحلام !

پير : وهناك أيضا امبراطوريتى ! سأرميها اليكم . تدافعوا للحصول عليها .

شاب : بما فيها من تاج ؟

پير : تاج من الشوك ! على مقاس أول من يلبسه . آه . وهناك المزيد ! بيضة فاسدة وشعر أبيض لعجوز ! ولحية النبىء ! سأعطى الجميع لمن يدلنى على لافتة فى الأرض الخلاء ، لافتة تقول : « هذا هو الطريق » .

(يصل ممثل القانون) .

ممثل القانون : لا يروقنى هذا السلوك ، يا صاح . لا فتتك هذه ستقودك رأسا الى السجن .

پير : (وقبعته فى يده) جائز . ولكن قل لى : من هو بيرجينت ؟

ممثل القانون : ايه — !

پـــير : بعد اذنك ، أريد أن أعرف .

ممثل القانون : يقولون أنه كان مؤلف قصص سخيف .

پـــير : مؤلف قصص ؟

ممثل القانون : نعم ، ألف بين أشتات ما قرأ من قصص المغامرات الكبرى ، وادعى أنها من ابداعه خاصة . ولكن، اسمح لى ، يا صديقى ، فلا وقت عندى .

(يذهب) .

پـــير : وأين هو الآن ، هذا الانسان العجيب ؟

رجل عجوز : هاجر — الى بلد أجنبى — تحول من السيىء الى الأسوأ .. أمر طبيعى . ثم انتهى الى المشنقة . حدث هذا من سنوات .

پـــير : المشنقة ؟ تخيل ! فى الواقع هـذا لا يدهشنى . المرحوم بير جينت حقق ذاته حتى النهاية .

(ينحنى) .

وداعا : وشكرا لما أظهرتموه من عطف .

(يأخذ فى الانصراف ، ثم يتوقف) .

أيها الرجال السعداء جميعا . أيتها المليحات من البنات طرا . هل أسمعكن نسجا من بعض خيالى؟

أصـوات : من أى نوع ؟

پـــير : أوه ، مجرد قصص بسيطة .

(يقترب . فى عينيه نظرة غريبة) .

من سنتين ، كنت أستخرج الذهب فى سان فرانسيسكو والبلدة كلها مزدحمة بالسحرة . أحدهم كان يعزف الكمان بأصابع قدميه ، وآخر كان يرقص على ركبتيه ، وثالث ، قيل لى ، كان ينظم الشعر بينما رأسه تدق فيها المسامير وذات مرة ظهر الشيطان فى السوق ، أحب هو الآخر أن يجرب حظه . وكان يحسن تقليد صوت الخنزير ، كان تقليده يحاكى الطبيعة تماما . ولم يتعرف عليه أحد ولكن شخصيته اجتذبت الجماهير . ازدحم المكان حتى امتلأ عن آخره ، وارتفعت حرارة الشوق فانقلبت حمى . وأخيرا ظهر مرتديا عباءة طويلة فضفاضة — ما يسميه الألمان [1] Man muss sich drapieren ولكنه خلف العباءة أخفى خنزيرا . وبدأ العرض . قرص الشيطان الخنزير فصاح . وتبين أن العرض

(١) على المرء ان يكون مستعدا بالثوب اللائق .

يهدف الى تقديم صورة فانتازية لحياة الخنزير من فترة الرضاعة حتى الصرخة الاخيرة اثر طعنة من سكين الجزار . وفى نهـاية العرض انحنى الفنان انحناءة كبرى وانصرف . وأخذ النقاد يناقشون فن الممثل . اختلفت الآراء ، بعضهم امتدح العرض ، والآخر طعن فيه . فريق رأى أن نغمة الصرخات كان أرفع من اللازم ، وآخر ذهب الى أن صرخات الموت كانت « مدبرة » أكثر منها تلقائية . غير أن الجميع اتفقـوا عى أن العرض بوصفه تقليدا لصوت الخنزير كان مبالغا فيه الى درجة السخافة . وهذا هو الجزاء الذى ناله الشيطان لغبائه الصرف الذى منعه أن يعرف حقيقة رغبات الجمهور .

(ينحنى وينصرف . ويسود الجمع صمت غير مريح) .

الفصل الخامس : المشهد الخامس

المنظر : العيشة السـابقة على أحد العنصرة . وفى أعماق الغابة . على مبعدة فى مكان قطعت أشجاره يقوم كوخ على بابه قرون غزال الرنة . بير جينت جاث على يديه وركبتيه ، يجمع البصل البرى .

پـير : هذه احدى وجهات النظر . آين وجهة النظـر التالية ؟ حتم أن تجرب كل شيء ، ثم تختار ، الأحسن . وهـذا ما فعلت . مرة كنت قيصر . والآن أنا ملك بابل آخر . أنا أمر عبر التاريخ الذى يحكيه الانجيل جميعا . هذا العجوز قد عاد الى أمه ثانية . بالطبع يقول الانجيل : «تراب أنت !» أهم ما فى الحياة أن تملأ بطنك . تملأها بصلا ؟ لا ، هـذا لا يجـدى . سأظهر المكر . سأنصب الفخاخ . هناك جدول قريب ، فلن أظمأ أبدا . سأظل كما كنت سيد الخليقة هنا أيضا . وحين أمـوت — ولا ريب اننى سأموت — سأزحف وأقبع تحت شجرة قد أسقطتها الريح ،

سأغطى نفسى بأوراق الشجر ، كما يفعل الدب ، وعلى اللحاء سأنقش بأحرف كبيرة : « هنا يرقد بيرجينت ، انسان طيب تماما ، وامبراطور كل الوحوش » . امبراطور (يضحك لنفسه) أيها القرد السخيف العقل! أنت لست امبراطورا، انما أنت بصلة . وأنا الآن سأقشرك ، يا عزيزى بير ! لا الدموع ولا الصلوات تنفعك الآن .

(يأخذ بصلة ويقشرها ورقة ورقة) .

هذه الطبقة الخارجية ، مشققة ومنكسرة ، انها الغريق المتعلق بالحطام . وهذه صرة المسافر ، فى طعمها ما يشبه بيرجينت . وبالداخل ، الأنا الباحثة عن الذهب . قد ذهبت عنها العصارة ، ان صح ان كان لها عصارة ما . هذه الطبقة صلبة خشنة ، تمثل صياد الفرو فى خليج هدسون . الطبقة التالية تشبه التاج . شكرا ! سنرميه فورا وبلا احتفال . هذه تمثل عالم الآثار ، قصيرة ولكنها قوية ، وهذه تمثل النبىء ، مليئة بالعصارة ، وطازجة ، ولكنها تفوح ، كما يقول المثل ، بنتانة الأكاذيب ، انها لتسيل الدموع من

عين الرجل الشريف . هذه الطبقة ، طرية نقية ، تمثل الرجل الذى عاش للمرح . الطبقة التى تليها فى حالة سيئة ، تتخللها الخيوط السوداء . انها تذكر بالزنوج والمبشرين .

(يقطع عدة طبقات دفعة واحدة) .

طبقات كثيرة فوق طبقات . فمتى أصل الى اللب؟

(يقطع البصلة كلها اربا) .

يا الهى ، انه لا لب لها ! حتى القلب ، تمضى الطبقات فوق الطبقات ، وهى تتناقص فى الحجم . الطبيعة ذكية !

(يرمى البقية) .

ومع ذلك فلا خطر علىّ البتة من وقوع ، فأنا ليسقط الفكر ! ما أن تفكر ، حتى تبدأ العثرات . ثابت على الأرض بأطرافى الأربعة . (يحك قفاه) الحياة نفسها مسألة مضحكة . الناس يقولون انها تخدعنا ، نمد اليها يدا لنغتصبها ، ولكنها تمرق منا ، واذ بنا نحصل على غير ما نريد ، أو على لا شىء .

(يصل الى قرب الكوخ . يراه فيندهش) .

هذا الكوخ ؟ فى الغابة ! ولكن —

(يفرك عينيه) .

أقسم أن — ! أنا واثق انى رأيت هذا البنـاء من قبـل . وقرون الغزال هذه فوق البـاب ! وحورية البحر بذيلها الطويل الذى يضرب الماء . أوهام ! ليس ما أرى حورية وانما مسـامير والواح ، ورتاج يمنع دخول أفكار العفاريت !

(يسمع صوت سولفيج من الداخل) .

سولفيج : الآن تهيأ كل شيء لعيد العنصرة . يا حبيبى العزيز المفرط فى النأى ، متى تعود ؟ احملك ثقيل ؟ اذن استرح ، استرح قليلا ، سأنتظر ، كما وعدتك ، من وقت بعيد ، بعيد ...

(ينهض بير جينت ووجهه أبيض كالموتى)

بـير : واحدة ذكرت وآخر قد نسى ،
واحدة آمنت ، وآخر قد كفر .
انتهت اللعبة ، وحانت نهاية الشوط
يا للقدر من مخادع مـكار ! قـد كانت هنا
امبراطوريتى .

الفصل الخامس : المشهد السادس

المنظر : بالليل . أرض خلاء ، بها بعض أشجار الصنوبر . كان هنـا حريق دمر الغـابة . أميـال وراء أميال من جذوع الأشجار المتفحمة . مساحات من الشـابورة على الأرض هنا وهناك . بير جينت يخترق المنظر وهو يجرى .

بـير : رماد وضباب رذاذ وعواصف رملية سيارة — هى كلها ما ابتنى منه البيوت ! رائحة كريهـة وعفن بداخلها ، جميعها تصنع القبر المدهون . أحلام وخيالات وحكمة ولدت ميته تخذتها قواعد للبيت ، وفوقها سوف يعلو الهرم كاملا بمصاطبه ودرجاته المصنوعة من أكاذيب . فلترفع فوقه اذن عبارة تقول : « الهرب من الحقيقة ومن الندم » ، ولندعها تخفق فى الهواء كالراية . فلينفخ فى الصور من يقول [1] Pretus Gyntus Caesar Fecit.

(يتسمع) .

أسمع صوت أطفال يبكون ، بكاء هو نصف

---

(١) لقد انقضى القيصر پير جينت .

اغنية . وكرات من الخيط تتدحرج عند قدميّ !

(يرفسها) .

خل عن الطريق ! فأنت تسدينه !

كرات الخيط : نحن أفكار ، كان عليك أن تشغل بها ! وأرجلا نمشى عليها كان واجبك أن تمنحنا !

پير : ذات مرة نفخت الحياة فى فكرة ، كانت شوهاء برجلين معوجتين .

كرات الخيط : كنا جديرات أن نحلق صوب السماء ، فى نشيد يتردد . غير أننا مجرد كرات من الخيط شهباء ، تدور فى الوحل .

پير : (متعثرا) ياكرات الخيط ، يا شيطانات ملعونة ! هل تدفعين أباك للسقوط ؟

(يهـــرب) .

اوراق شجرميتة : (تطير فى الريح) .

نحن كلمات السر ! انظر ماذا فعل بنا كسلك ، مزقنا وذرانا فى الريح . عضـــنا الدود من كل شريان . لم ندفىء قط ثمرة فى شجر .

پير : لم تضع حياتك هباء . ارقدى على الأرض تصبحى سباخا طيبا .

زفرة فى الهواء : نحن أغنيات لم تنشدها ! وفى أعماق قلبك تعلقنا بالأمل . آلاف من المرات خنقتنا وقتلتنا ، لم تدعنا قط للحياة . ألا خرس منك الصوت !

پير : بل أخرسى أنت ، بقوافيك ولعناتك ! فما شأنى أنا بالنظم الركيك ؟

(يوليها ظهره) .

قطرات ندى : نحن دموع لا تستطيع السقوط! كنا جديرات أن نذيب بللورات الألم المرير . الآن يبقى رأس الشص فى الصدر العنيد . وينغلق الجرح ولا يعود لنا سلطان .

پير : شكرا — بكيت مرة فى روند يسفالين ، فنالتنى ضربة على المؤخرة .. !

قشات مكسورة : نحن أفعال لم تفعلها ! الشك ، ذلك المحطــم ، هاجمنا وانتصر . يوم القيامة سنكون شـــهودا ونروى قصتنا ، وهنالك ، حذار !

پير : يا مجرمات ! تلمننى على ما لم أفعل ؟

(يهــرب) .

آس : (من بعيد) .

اخص ! يا لك ســائق عبيط ! قد رميت بى فى

مستنقع مثلج ، نالنى الماء حتى اللحم ! قد ضللت الطريق ، يا بير ، أين القصر ؟ غرر بك الشيطان بفضل السوط الذى تمسك .

بير : الأفضل أن أهرب مسرعا . فلو قد حملت خطايا الشيطان أيضا لحططت على جانب التل . خطاياى أنا تكفينى وتثقل على .

الفصل الخامس : المشهد السابع

المنظر : جزء من الأرض الخلاء .

بير : (مغنيا) . لحاد ، يا لحاد ! أين أنتم أيها الكلاب؟ تثغون الألحان من أفواه معلميكم . وحول قبعاتكم أشرطة الحداد السود ! فلأتبع نعوش أصدقائى الأعزاء !

(يدخل صانع الأزرار من الممر الجانبى ، ومعه صندوق به أدواته ، ومغرفة صهر ضخمة) .

صانع الأزرار : طاب مساؤك ، أيها العجوز !

بير : طاب مساؤك ، يا صاحبى !

صانع الأزرار : أراك فى عجلة كبيرة . الى أين ؟

بير : جنازة .

صانع الأزرار : صحيح ؟ نظرى ليس قويا — اعذرنى — أليس اسمك بير ؟

بير : نعم . هو ذاك . بيرجينت .

صانع الأزرار : هذا حظى الحسن ، اذن . كنت أبحث عن بيرجينت

فى كل مكان .

پـير : صحيح ؟ وماذا تريد ؟

صانع الأزرار : أنت ترى من أكون . صانع أزرار . أريدك لمغرفتى .

پـير : ولم ؟

صانع الأزرار : سأصهرك .

پـير : تصهرنى ؟

صانع الأزرار : نعم . انظر ! المغرفة قد نظفت وهى الآن خالية . الدود سينال أكلة شهية فى جثتك . لدى تعليمات من رئيسى بأن أحضر له روحك دون أدنى تأخير.

پـير : لا حق لك فى هذا . لم أتلق تحذيرا بعد .

صانع الأزرار : تقضى العادة فى حوادث الوفاة والميلاد بأن يفاجأ الضيف بالحادثة مفاجأة كبرى . لا أحد ينبئه باليوم الموعود .

پـير : نعم . أعلم . عقلى فى دوامة . أنت اذن — ؟

صانع الأزرار : قلت لك ! صانع أزرار .

پـير : هيم ! ولكن الطفل المدلل له كنيات كثيرة . واذن فقد انتهى بك الأمر هذه النهاية ، يا پير — تصهر فى مغرفة ! ولكننى ، ايها الرجل الطيب ، استحق لا شك مصيرا خيرا من هذا . انا لست شريرا الى الحد الذى تظننى . قد أديت قدرا من الاعمال الخيرة على الارض . وعلى اسوأ الفروض ، انا مجرد حمار خباص ، انا قطعا لست مجرما معتادا .

صانع الأزرار : أنت تخرج على الموضوع ، يا عزيزى . النقطة هى : بما ان خطاياك قد كانت قميئة ،فقد اعفيت من العذاب الأزلى، وحكم عليك ، كمعظم الناس، بالصهر فى المغرفة .

پـير : سمها ما شئت — المغرفة ، أو بركة الكبريت المذاب . خمر خفيفة أو شديدة المفعول — كلها خمر . أغرب عنى ، يا شيطان .

صانع الأزرار : أبلغت بك القحة أن تظن قدمى حافر حصان ؟

پـير : حافر حصان ، أومخلبثعلب ! امش!ولاتتدخل فيما لا يعنيك !

صانع الأزرار : يا صاحبى ، أنت تخطىء خطأ كبير . بما أن كلينا فى عجلة ، فسأشرح لكالقضية بأوجز ما أستطيع. هذا أوفر للوقت . أنت ، باعترافك ، لست مخطئا بطريقة رائعة . أنت مجرد مذنب عادى .

پـير : الآن أخذت تنطق بالحق .

صانع الأزرار : انتظر لحظة ! أكون مغاليا اذا قلت انك برىء .

پـير : هذا أمر لا انتظره قط .

صانع الأزرار : لقد سرت فى الطريق الوسط ، المألوف للغالبية. المذنب العظيم نادر الوجود فى هـذه الأيام . الذنب الكبير ليس مجرد التمرغ فى الوحـل. القوة والهدف يلزمان لتحقيق الذنب الملحمى .

پـير : ما قلته الآن حق صريح . يجب أن تندفع الى الذنب اندفاعة المحارب النوردى المجنون .

صانع الأزرار : لم تفعل هذا : بل استخففت بالذنب .

پـير : أذنبت بسطحية . نظرت الى الذنب كما تنظر الى رشة وحل .

صانع الأزرار : الآن أخذنا نصل الى اتفاق . ان بركة الكبريت ليست لمن مشوا على سطح الوحل .

پـير : ولهذا ، يا صديقى ، تستطيع أن تخلى سبيلى ؟

صانع الأزرار : ولهذا ، يا صديقى ، سوف تصهر فى المغرفة .

پـير : أية ألاعيب هذه التى تعلمتموها فى غيابى ؟

صانع الأزرار : طريقتنا قديمة قدم العالم . وهدفنا المحافظة على المادة من الفناء . أنت على دراية بفن الصهر ، ولهذا تعلم أن بعض المصبوبات يلحق بها عيوب. الزر — مثلا — قد يخـرج بلا ثقوب . فماذا تفعل به ؟

پـير : ألقيه جانبا .

صانع الأزرار : آه ! أبوك جون جينت كان متلافا ، بذر فى ماله حتى النهاية . ولكن سيدى جد حريص . ولهذا السبب أضحى واسع الثراء . انه لا يلقى شيئا جانبا . انه يجد لما لا ينفع منفعة : فيستخدمه . مادة خام . كان مفروضا أن تصبح زرا لامعا على صديرية العالم . ولكن ثقوبك فسدت . لهذا وجب أن تذوب فى الكتلة الكبرى .

پـير : أنت ، قطعا ، لا تعنى انكستصهرنى مع كل من هب ودب ، لتخرج منا شيئا جديدا ؟

صانع الأزرار : بل هذا بالضبط ما أعنية . قد عملنا هذا مع غيرك ، المرة بعد المرة . وفى المسبك يفعلون نفس الشىء بالعملة التى تفقد نقشها من طول الاستعمال .

پـير : ليس هذا الا الشح الصريح ! يا صديقى العزيز ، هل لك أن تخلى سبيلى ؟ زر بلا ثقوب ! عملة

اصبحت ملساء ! ماذا يساوى هذا فى حساب رجل له مثل ثروة سيدك .

صانع الأزرار : ان لك روحا تجعل لك بعض القيمة كنوع من الخردة .

پير : لا ، أقول لا ، سأحارب حتى النهاية . أنا أحتج! كل مصير أرضى به الا هذا .

صانع الأزرار : وأى مصير آخر هناك ؟ هيا : كن عاقلا . ليس لك مكان يرضيك فى الجنة .

پير : من السهل ارضائى . لست كثير الاطماع . ولكنى لن اسلم لك ذرة واحدة من نفسى . حاسبنى بالطريقة القديمة المألوفة . ارسلنى الى سيدك وفى قدمى الحافر بعضا من الوقت ، مائة سنة من العذاب ، اذا وجدت انى استحق هذه المدة ، اظن اننى مستطيع أن احتملها . انه على كل حال لن يكون الا عذابا خلقيا ، غير صعب الاحتمال . سيكون فترة انتقال ، كما يقول المثل : أو كما قال الثعلب : « تنتظر ثم تحين ساعة الخلاص ، فتعود بسرعة مضاعفة ، وتأمل أن تتحسن الأحوال » . ولكن هذا المصير

الآخر — أن أندمج فى جسم آخر ، أن أصبح ذرة — هذه المسألة المغرفية ، هذه النهاية لجينت — ان أعمق أعماقى يثور عليها .

صانع الأزرار : يا عزيزى بير ، لماذا تجعل لهذه المسألة الصغيرة كل هذه الأهمية ؟ أنت لم تكن ذاتك قط : فلماذا تأبه الآن اذا انتهيت الى الأبد ؟

پير : لم أكن ذاتى قط ! هل أضحك ! بيرجينت ليس ذاته ! طيب ، طيب ، سوف نرى ! ، لا ، يا صانع الأزرار ، ان حكمك أعمى ، لو استطعت أن تنفذ الى داخل نفسى : لرأيت اذ ذاك فقط ، حقيقة ذاتى ، بير ، ولا شىء غير بير ، ولا شىء سواه .

صانع الأزرار : هذا مستحيل . هذه هى التعليمات الملقاة الى . انها صريحة واضحة . « ايت الى بيرجينت . قد تحدى مصيره . الق به الى المغرفة بوصفه بضاعة تالفة » ! .

پير : يا له من كلام فارغ ! لابد أن المقصود شخص آخر . أتقول تعليماتك حقا : « بير » ، وليس راسماس أو جون ؟

صانع الأزرار : صهرت هذين من مدة طويلة . هيا ، طائعا مختارا ، ولا تضيع الوقت .

پير : عليَّ اللعنة ان فعلت ! ماذا يكون حالى اذا تبينت فيما بعد انك ارتكبت خطأ ! الأفضل أن تكون حريصا : يا رجل . اذكر العبأ الفادح الذى سوف تحمل .

صانع الأزرار : تعليماتى مكتوبة .

پير : اعطنى فرصة .

صانع الأزرار : ولم ؟

پير : سأذهب فأجمع الأدلة على اننى كنت ذاتى طوال حياتى . هذا هو جوهر القضية ، أليس كذلك ؟

صانع الأزرار : الأدلة ؟ كيف ؟

پير : شهود ؟ شهادات !

صانع الأزرار : لا أظن أن سيدى سيرضى بأدلتك .

پير : بل أنا واثق أنه سيفعل . ومع ذلك : « يكفى اليوم شره » يا صديقى ، كل ما أطلبه أن تعيرنى نفسى بضمان . سأعود سريعا . اننا نولد مرة

واحدة فقط ، ولهذا نبذل قصارى الجهد لكى نحتفظ بالنفس التى ولدت معنا ، هيه ؟ أتوافق؟

صانع الأزرار : ليكن اذن ، قبلت الاتفاق . ولكن اذكر اننا سوف نلتقى عند مفترق الطرق القادم .

(يهرب بـــير) .

الفصل الخامس — المشهد الثامن

المنظر : جزء آخر من الأرض الخلاء . يدخل بير جينت وهو يعدو .

پـير : الوقت من ذهب ، هكذا يقول الكتاب الطيب . لو قد عرفت فقط أين يقع مفترق الطرق ! قد يكون قريبا ، وقد يكون بعيدا . الأرض تحترق كالحديد الأحمر . شاهد ! شاهد ! أين أجد شاهدا ؟ لن أجد شاهدا هنا فى أعماق الغابة . ان عالما يضطر المرء فيه الى اثبات حقوقه وهى واضحة كالشمس ، لهو عالم خرب : سيىء الادارة!

(يدخل رجل عجوز يمسك عصا فى يده ويحمل حقيبة على ظهره ، ويمشى وئيد الخطوات أمام بير . انه ملك جبال دوفر) .

الملك : (متوقفا) من فضلك يا سيدى ، بعض النقود لسائل شريد .

پـير : ليس معى فكة .

الملك : الأمير بير ! تصور أننا التقينا ثانية !

پـير : من أنت ؟

الملك : تذكر ملك دوفر ؟

پـير : غير معقو ...

الملك : ملك جبال روند !

پـير : ملك دوفر ؟ صحيح ؟ ملك الجن ؟ قل لى !

الملك : نعم ، ولكن حالى تغير .

پـير : أفلست ؟

الملك : وسرقت ، أخذوا منى كل شىء ، أنا الآن شريد ، جائع كذئب !

پـير : مرحى ! أنت الشاهد الذى أطلب !

الملك : أيها الأمير بير — قد هرمت شيئا ما ، منذ أن رأيتك آخر مرة .

پـير : يا حماى العزيز : السنون تبتلعنا ابتلاعا . هيه — دعنا من مسائلنا الخاصة ، وبالأخص المشاكل العائلية . حينما عرفتكم أول مرة كنت شابا مندفعا .

الملك : أيها الأمير بير ، كنت صغيرا ما تزال ، وللشباب حكمة . وقد فعلت عين الصواب حين هجرت

عروسك . قد وفرت على نفسك كثيرا من العار والحزن . بعد أن تركتها ساءت أخلاقها تماما .

پـير : حقا ؟

الملك : هى الآن امرأة سيئة السيرة . تصور انها تعيش الآن مع هذا التروند القذر .

پـير : أى تروند ؟

الملك : تروند فالفيلد .

پـير : هو ؟ آه ! قد سلبته راعيات أبقاره الثلاث .

الملك : ولكن حفيدى قد كبر وسمن وأصبح غنيا ، له أطفال عفاريت فى كل مكان .

پـير : أيها الرجل العزيز ، ارحمنى من هذه التفاصيل الدقيقة ، شىء آخر ينهش عقلى . أنا واقع فى مشكلة خطيرة . أريد شهادة حسن سير وسلوك . وأنت تستطيع مساعدتى يا حماى العزيز ، وفى مقابل هذا : سأبتاع لك شرابا .

الملك : هل أستطيع حقا أن أعينك بشىء ، أيها الأمير ؟ وهل تعطينى أنت شهادة مماثلة فى مقابل هذا ؟

پـير : طبعا . حاليا أنا قليل المال . على أن أقتر وأوفر كل ما أستطيع . الآن أسمع ، سأحكى لك

الحكاية . تذكر اليوم الذى وصلت فيه الروند وخطبت منك ابنتك ؟

الملك : طبعا اذكر ، يا أمير !

پـير : دعك من كلة « أمير » هذه . أردت اذ ذاك أن تعاملنى بخشونة ، فتشق حبة عينى لتجعلنى أبصر بطريقة ملتوية وتحول بيرجينت الى جنى . فماذا فعلت ؟ نهضت لك وحاربتك ، أقسمت على أن أقف على قدمى معتمدا على نفسى ، أعرضت عن الحب والسلطان والملك ، نزلت عن كل شىء فى مقابل أن أحقق ذاتى . هذا هو الذى أريدك أن تقسم عليه حين —

الملك : لا : لا أستطيع .

پـير : ماذا تقول ؟

الملك : لا أظنك تريدنى على أن أكذب — هيه ؟ ألا تذكر انك لبست ذيلا وشربت خمر العسل ؟

پـير : بلى ، لأنكم أغريتمونى على هذا . ولكنى صمدت لكم وانتصرت فى النهاية . انما يقوّم الرجال بأعمال كهذه . والبيت الأخير فى القصيدة هو بيت القصيد .

الملك : غير أن النتيجة ، يا بير ، كانت عكس هذا تماما .

پير : ماذا تعنى ؟

الملك : حينما غادرت قصرى . كنت قد نقشت شعارى على درعك .

پير : أى شعار ؟

الملك : هذه العبارة الشاملة —

پير : أية عبارة ؟

الملك : العبارة التى تميز البشر من الجان ، « أيها الجنى ، اجعل فى ذاتك الكفاية » .

پير : (يخطو الى الوراء) . الكفاية !

الملك : أجل ، وتحت هذا الشعار عشت بكل ذرة فى جسدك .

پير : ماذا ؟ بيرجينت ؟

الملك : (وهو يبكى) أنت كثير النكران للجميل . عشت كما يعيش الجنى وأبقيت الأمر سرا . العبارة التى لقنتك صنعت مستقبلك كرجل بارز فى الدنيا : وأسبغت عليك الشهرة . والآن تأتى لتسخر منى ومن العبارة التى كانت مصدر خيرك .

پير : الكفاية ! جنى ! مجرد أنانى ! كلام فارغ ! أنا واثق من ذلك .

(يخرج العجوز حزمة من الصحف فى صرته) .

الملك : نظن أننا لا نملك صحفا . انظر . بعبارات واضحة ! لكل من له عين ترى ! كيف أثنت عليك صحيفة « بلوكسبيرج بوست » وصحيفة « هيكيلفيلد اكسبريس » كذلك ، بعد ذلك الشتاء الذى تركتنا فيه . تريد أن تقرأهما ؟ هاك ، الق نظرة ! هذه افتتاحية وقعها «حافر الحصان». وأخرى عنوانها : « الوطنية الجنية » . الكاتب يقول انه ليس من الضرورى أن يكون لك قرن أو ذيل كى تكون جنياً . المهم هو الشعور ! النظرة ! هذا هو المهم ! وينهى الكاتب مقاله قائلا : « عبارتنا : الكفاية تسبغ الصفة الجنية على الانسان . ثم يورد حالة بيرجينت بوصفها أحسن مثال .

پير : جنى ؟ أنا !

الملك : نعم ، هذا واضح تماما .

بـير : كان أولى بى أن أبقى حيث كنت ، وأعيش فى نعيم الروند وأمنه ، اذا لوفرت على نفسى عناء المشى وكثيرا من النصب والمتاعب ! بيرجينت جنى ! كلام فارغ ! أكاذيب ! وداعا ! وهاك البقشيش !

الملك : يا عزيزى الأمير بير —

بـير : اخرس . أما أنك مجنون أو مهرف . اذهب الى المستشفى .

الملك : هذا بالضبط ما أريد . ولكن ، كما قلت لك : أصبح أولاد حفيدى أقوياء فى البلد ، وهم ينشرون عنى الأقاويل ، زاعمين انى مجرد أسطورة . يقول الناس : لا تأمن للأقارب ، وقد أثبتت تجربتى المرة أن هذا صحيح . من الصعب ان اصدق اننى أسطورة .

بـير : أيها الرجل العزيز ، قد حدث هذا لغيرك .

الملك : ونحن الجان لا معاش لنا : ولا مدخرات فى البريد ، ولا صناديق احسان . هذا أمر لا يليق فى الروند .

بـير : لا . أهم شيء هناك هو العبارة الملعونة : « اجعل فى ذاتك كفاية » .

الملك : أيها الأمير بير ، أنت آخر من يحق له الشكوى . واذا استطعت ، بوسيلة أو أخرى —

بـير : يا عزيزى ، جئت تسأل من لا يملك . أنا الآخر تعضنى الحاجة . وأنت تعرف معنى هذا .

الملك : لا يا شيخ ! أنت ؟ متسول أيضا ؟

بـير : على الحديدة ! ونفس أميرك مرهونة ، ومن المسئول عن كل هذا ؟ أنتم يا جان ! الآن تدرك ما تفعله بالمرء صحبة السوء !

الملك : واذن فقد خاب ظنى ! وداعا ! علىَّ أن أشق طريقى الى المدينة بأية وسيلة .

بـير : وماذا تفعل هناك ؟

الملك : سأحترف التمثيل . انهم فى المسرح يبحثون عن مواهب محلية .

بـير : حظا سعيدا ! وبلغهم تحياتى . اذا استطعت النجاة ، فعلت مثلك . سأكتب كوميديا عميقة وذكية الفكاهة على التوالى . سأسميها Sic Fra-nist gloria mundi [1] .

(يسير فى الممر ، تاركا العجوز وراءه ينادى عليه) .

(١) هكذا ينقضى مجد الدنيا .

الفصل الخامس : المشهد التاسع

المنظر : مفترق الطرق .

بـــير : أنت مقبل على متاعب : يا صديقى بير ، «كفاية»، الجان قد خذلتك . غرقت مركبك ، وعليك أن تتعلق بحطام ، بأى شىء ، ولا تدعهم يلقونك على كومة الخردة .

صـانع الأزرار : (عند مفترق الطرق) هيه ، يا بيرجينت ، أين شهادتك ؟

بـــير : ماذا ؟ عند مفترق الطرق مرة أخرى ؟ بهـذه السرعة !

صـانع الأزرار : اقرأ أخبارك فى وجهك كما فى كتاب مفتوح . لست محتاجا لصحيفة تدلنى .

بـــير : أنهكنى البحث . المرء سرعان ما يضل .

صـانع الأزرار : وبعد هذا : أين يمضى بك الطريق ؟

بـــير : أجل ، الى أين ؟ وأنا فىقلب الغابة والوقت ليل —

صـانع الأزرار : هناك متشرد عجوز غير بعيد ، هل تدعوه

بـــير : لا ، دعه فى حاله ! هو سكران على كل حال !

صـانع الأزرار : ولكنه قد يستطيع —

بـــير : لا ، دعه يذهب !

صـانع الأزرار : اذن ، فلنبدأ .

بـــير : لى سؤال : أولا : ماذا تعنى بقولك « أن تكون ذاتك » .

قشات مكسورة : عجيب أن يصدر السؤال منك أنت . منذ لحظات كنت —

بـــير : هيا ، هيا ، أجبنى .

قشات مكسورة : أن تكون ذاتك معناه أن تقتل أسوأ مافى نفسك وتبرز أحسن ما فيها . ولكنى واثق انك لن تفهم هذا . سأبسط لك المسألة : المعنى هو أن تمضى مشيئة المولى بكل تفاصيلها .

بـــير : فما شأن من لم يعرف قط ماذا يريد به المولى ؟

قشات مكسورة : ينبغى أن تدله فطرته .

بـــير : كثيرا ما تخطىء الفطرة أكبر الأخطـاء . كثيرا ما تدفع بك ad undas [1] وتحطم مستقبلك .

صانع الأزرار : هذا صحيح . ولكنك اذا أعوزتك الفطـرة ، فتحت الطريق للشيطان .

(١) الى الموج .

پـير : هذه مسألة معقدة جدا . اذن أتنازل عن هـذا الجزء من القضية — كونى حققت ذاتى . هو أمر يصعب اثباته على أية حال . سأقول أننى خسرت هذا الجزء . ولكنى وأنا أجوب هـذه الأرض الخلاء منذ قليل أحسست بحذاء ضميرى يقرصنى، وقلت لنفسى: «نعم : أنت خاطىء—».

صانع الأزرار : الآن تعود من جديد —

پـير : لا ، أبدا ، أنا أعنى خطيئة على المستوى الكبير. ليس بالفعل فقط بل وبالهدف والكلمة كذلك . حين كنت فى الخارج هبطت الى الدرك الأسفل—

صانع الأزرار : هذا ما تقول ، فلم لا تقدم لى الدليل ؟

پـير : أصبر على ، سأذهب وأبحث عن قس ، وأعترف له بأقصى سرعة ثم أعطيك ما يسجله عنى من أقوال .

صانع الأزرار : ليكن اذن ! اذا استطعت أن تثبت دعواك نجوت من مغرفة الصهر . ولكن الأوامر التى تلقيتها —

پـير : كان هذا من سنوات مضت ، حينما كنت صغيرا طائشا : كنت اذ ذاك أومن بالقدر ، وادعيت اننى نبى . هيه ، هل ... ؟

صانع الأزرار : ولكن —

پـير : يا صديقى العزيز ، ليس هناك ما يشغلك ، على كل حال ، الهواء هنا منعش ولطيف بحيث يطيل فى الأعمار سنوات . قس ناحية جوسيتدال كان يقول دائما : « نادرا ما يموت أحد هنا » .

صانع الأزرار : الى المفترق التالى اذن ، ولكن لآخر مرة .

پـير : قس ! يجب أن أحصل على قس ، ولو قبضت عليه .

الفصل الخامس — المشهد العاشر

المنظر : منحـــدر ذو أعشاب . طريق يتلوى صاعدا فى الجبـــال .

پـــير : قال «أسبين» عندما عثر على جناح قنبرة :« هذا قد يفيد من سبل عدة » . من كان يدرى أن خطاياى هذه قادرة على تخليصى من هذه الورطة الأخيرة ؟ على كل حال ، فموقفى شنيع : قد أقفز من المقلاة الى النار . ولكن : ثم مثل آخر أثبتت الأيام صحته : « ما بقيت الحياة دام الأمل » .

(يدخل رجل رفيع ، يلبس قفطان القسس ، وقد رفعه كثيرا عن الأرض ، وحمل شبكة ذات يد على كتفه . الرجل يعدو) .

من هناك ؟ قسيس بشبكة يد ؟ ها ، ها ! يبدو أننى محظوظ ! طاب مساؤك يا سيدى ! الطريق أمامنا صعب .

الرجل الرفيع : صحيح ، ولكنى على استعداد لما هو أصعب ، ما دمت أطلب الأرواح .

پـــير : اذن فشخص ما فى طريقه الى الجنة » .

الرجل الرفيع : آمل أن يذهب الى المكان الآخر .

پـــير : أيضايقك أن أزاملك بعض الطريق ؟

الرجل الرفيع : لا ، أبدا ! انى أسعى الى صحبة .

پـــير : أنا شديد القلق —

الرجل الرفيع : Heraus [1] ! فضفض عن نفسك !

پـــير : ستجدنى شخصا محترما تماما ، قد اتبعت القانون بكل دقة ، لم يقبض على يوما ولم أدخل وراء القضبان : ومع ذلك فخير الناس يضل الطريق أحيانا ويتعثر —

الرجل الرفيع : قد يحدث هذا لأى انسان .

پـــير : لهذا — ترى أن هذه الأشياء الصغيرة —

الرجل الرفيع : أهى صغيرة ، فعلا ؟

پـــير : أجل ، فقد استطعت تجنب كبائر الاثم .

الرجل الرفيع : فى هذه الحالة ، يا صديقى ، امض عنى بسلام . انا لست الرجل الذى تظن . تبدو لى شديد الاهتمام بيدى ؟

پـــير : اظافرك مقلمة بشكل بديع .

(١) أغرب عن وجهى .

الرجل الرفيع : وقدمى ؟ انك تدقق فيهما النظر .

پير : (مشيرا) أهذا الحافر طبيعى ؟

الرجل الرفيع : لى الفخر انه كذلك .

پير : (رافعا قبعته) وأنا ظننتك قسيسا . اذن فلى الشرف ان احدث — لا بديل من الاحسن . حين يكون الباب الأمامى مفتوحا ، لا يدخل المرء من الباب الخلفى ، وحين تصادف ملكا ، لا تنصرف عنه الى تابعيه .

الرجل الرفيع : دعنى أصافحك . لا تبدو لى متحيزا ضدى فى شىء . عال : عال ! وماذا تطلب منى ؟ لا ، لا تطلب مالا ولا جاها ، فلن استطيع اجابتك . أعمالى جميعا فى ازمة وتجارتى بارت تماما ، الارواح الجديدة نادرة ، بين الحين والحين تقع لى روح —

پير : وهل ارتقى الانسان الى هذا الحد ؟

الرجل الرفيع : على العكس ، فهو يمضى من سىء الى اسوء ، ومعظم الناس ينتهون الى مغرفة الصهر .

پير : قد سمعت عن هذه المغرفة فوق ما أطيق ، وبسببها جئت الى هنا .

الرجل الرفيع : وما الذى يشغلك ؟

پير : أيضايقك كثيرا ان اطلت منك —

الرجل الرفيع : مسكنا محترما ، هه ؟

پير : قد حد ست مطلبى قبل أن اصرح به . تجارتك : كما تقول ، قد بارت تماما ، ولهذا ، وجب الا تكون بالغ التدقيق —

الرجل الرفيع : يا عزيزى —

پير : مطالبى جد متواضعة . بل اننى لا أطلب أجرا أتعيش منه . كل ما اريد أن اكون مستأجرا ودودا .

الرجل الرفيع : غرفة دافئة ؟

پير : ليس من ضرورى أن تكون كاملة الدفء ، واذا امكن ، فزد من عندك الاذن لى بالحضور والانصراف كما يحلو لى . والحق — اذا سمحت لى بتسميته حقا — فى ترك المكان متى تحسنت الاحوال .

الرجل الرفيع : يا صديقى العزيز ، حالك تؤلمنى . لن تصدقنى اذا حكيت لك عن حشود المطالب المشابهة التى

اتلقاها من أصدقاء اعزاء مثلك ، حالما يوشكون أن يتركوا مساكنهم فى هذه الدنيا .

پـير : ولكنى حين استعرض اعمالى الماضية : اشعر ان لى اكثر من حق فى الدخول .

الرجل الرفيع : ولكن ذنوبك تافهة .

پـير : أجل ، من بعض الوجوه ، با ستثناء الاتجار فى الزنوج .

الرجل الرفيع : بعض الناس تاجر فى العقول والارواح ، ومع هذا فقد اساءوا التصرف الى الحد الذى لم يسمح لهم فية بالدخول .

پـير : وما رأيك فى الأصنام التى أرسلتها الى الصين ؟

الرجل الرفيع : سخيفة . تجعلنا نضحك . غيرك من الناس أخرج ما هو اسخف منها فى العظات الدينية وفى الفن والأدب ، ومع ذلك لم ندخلهم . .

پـير : أتعلم اننى مرة ادعيت النبوة ؟

الرجل الرفيع : بالخارج ؟ كلام فارغ ! معظم Sahen Ins blaue التى يشـغل بها الناس ينتهى بهم الى مغرفة الصهر . اذا كان هذا كل ما تؤيد به حقك ، فانا

(١) أحلام اليقظة .

غير مستطيع أن أسمح لك بالدخول ، مهما كانت رغبتى فى ذلك .

پـير : اذن اصغ الى . حينما غرقت بى الباخـرة : استمسكت بزورق مقلوب . يقول المثل « الغريق يتعلق بقشة » . وآخر يقول : « كل يقـول : نفسى » . وما حدث هو اننى تقريبا سـلبت الطباخ حياته .

الرجل الرفيع : لست آبه لو كنت ، تقريبـا ، سلبت خادمتك شيئا آخر . ما هذه الـ « تقريبـا » التى تكثر من استعمالها ؟ مع احترامى الشديد لك أسألك : من الذى يرضى تبديد الوقود الثمين فى حرق أرواح ضعيفة مثل روحك ؟ الآن ، لا تغضب انما اسخر من ذنوبك ، وليس منك . اغفر لى اننى صريح هكذا . هيا ، هيا ، ياعز الاصدقاء ، انس طلبك هذا : وهيىء نفسك لمغرفة الصهر . تأمل ، أنت رجل عاقل . ماذا كنت تكسب اذا أعطيتك مسكنا ومأكلا ؟ ستبقى لك ذاكرتك ، هذا صحيح ! ولكن ماذا يغنيك هذا ؟ لا قلبك ولا عقلك واجدان لذة فى حيـاة كهذه . لا !

كل ما تحصل عليه مجرد عيشة نكدة . لن تجد فيها ما يضحك أو يبكيك . لا شيء فيها سوف يبهجك أو يؤسيك . لا شيء يرفع حرارتك أو يخفضها . وانما قلق دائم يواجهك .

پيير : يقولون انك لا تعرف أين يؤلم الحذاء حتى تلبسه .

الرجل الرفيع : هذا صحيح تماما . بفضل فلان أنا بفردة حذاء فقط . على كل حال ، من حسن الحظ اننا تحدثنا عن الأحذية ، فان هذا يذكرني بضرورة الانصراف فورا . أنا وراء صيد ثمين . أرجو أن يتحقق فيه ظني . أنا ذاهب . لا وقت عندي للثرثرة .

پيير : هل لي أن أسأل أي ذنب جعل صيدك هذا ثمينا ؟

الرجل الرفيع : أظن أن ذنبه أنه حقق ذاته ليل نهار . أعتقد أن هذا ، في الحقيقة هو جوهر المسألة .

پيير : ذاته ؟ أهذا النوع يدخل في اختصاصك ؟

الرجل الرفيع : يدخل أو لا يدخل ، حسب الأحوال . الباب دائما مفتوح قليلا . اذكر انك تستطيع تحقيق ذاتك بطريقتين — احداهما خطأ والأخرى صواب .

لعلك تعرف أن شخصا ما في باريس قد اكتشف مؤخرا طريقة للتصوير باستخدام الشمس . تستطيع بهذه الطريقة أن تحصل على صور مباشرة ، أو على صورة سالبة أولا . في النسخة السالبة يكون الظل والنور عكس ما هو في الطبيعة : ولهذا تبدو الصورة للعين غير المدربة قبيحة المنظر ، غير أن التماثل مع الطبيعة موجود . وكل ما هو مطلوب شيء من الجهد لابراز التماثل . فاذا حدث لاحدى الأرواح أن صورت نفسها بطريقة سالبة ، أحضرت الى صورتها . هنالك أعمل فيها عملي ، فيتم التحويل . تراني أغمسها في المحلول ، وأعالجها بالبخار ، وأحرقها وأنظفها بالكبريت وغيره من الكيماويات ، حتى تظهر بالصورة التي كان واجبا أن تظهر بها من الأول . ونحن نسمي هذه « البوزيتيف » ولكن اذا راح أحدهم ، مثلما فعلت : فأفنى نفسه افناء بالشطب والبقع ، وما اليه ، فلن تستطيع أية كمية من الكبريت أن تنقذه .

پيير : اذن فهم يأتونك سودا كالغربان ، ويتركونك

وقد أصبحوا فى بياض الطيور الناصعة ؟ هل لى أن أسألك من ذا الذى تريد أن تحيل صورته السالبة الى أخرى موجبة ؟

الرجل الرفيع : اسمه بيرجينت .

پير : بيرجينت حقا ؟ وهل حقق ذاته ؟

الرجل الرفيع : يؤكد أنه فعل .

پير : انه جدير بالثقة — هذا البيرجينت .

الرجل الرفيع : تعرفه ؟

پير : أحنى له رأسى كلما رأيته ، مجرد معرفة عابرة .

الرجل الرفيع : قد تأخرت . أين رأيته آخر مرة ؟

پير : جنوبا عن الرأس .

الرجل الرفيع : دى بونا سبيرانتزا ؟

پير : نعم : ولكن لا أظن أنه سيبقى هناك أكثر مما فعل .

الرجل الرفيع : اذن فلأسرع . آمل أن أجده . الى الرأس ، وان كان مكانا غير طيبا ، مليئا بالمبشرين من ستافانجر .

(يندفع الى الجنوب) .

پير : الكلب القذر ! انظر اليه كيف يندفع ولسانه

يقطر . سيخيب ظنه ، كان جميلا أن أخدع مثل هذا الحمار . شد ما أتعبنى بادعاءاته ! وتظاهره بأن سيد كبير ! كأن لديه ما يمكن التظاهر به حقا ! لن يثرى قط من وراء عمله الحالى ، سيسقط يوما من غصنه العالى ، وتسقط معه حقيبته المليئة بالحيل . على أننى أنا نفسى لست آمنا ! أن نبلاء الذات قد طردونى .

(يرى شهاب فى السماء . يتبعه بير) .

تحيات بيرجينت لك ، يا أخى الشهاب !
المع ، وانطفىء ، وتوار الى الأبد .

(يبدو كمن ينكمش خوفا ، يزداد اختفاؤه فى ضباب الرذاذ . يهدأ فترة ، ثم يصيح :)

ألا يوجد أحد ، أحد فى هذا العالم الفسيح ، فى أعماق الأرض أو فى أعالى السماء ؟

(يعود ، ويرمى قبعته على الأرض ، ويمزق شعره . ثم يهبط عليه تدريجيا سكون كبير) .

اذن فالروح قد تعود . فقيرة كل الفقر ، الى الضباب الأشهب الذى يلف العدم . أيتها الأرض الجميلة ، لا تغضبى ، لأنى وطئتك دون أن أترك

أثرا . أيتها الشمس الجميلة ، قد أضعت ضوءك،
ضوءك المجيد ، فى بيت خال . لم يكن فيه أحد
يهش للضوء وينتعش ، فصاحب البيت قد ذهب.
أيتها الشمس الجميلة ، أيتها الأرض الجميلة ،
قد بددتما الضوء والقوت ، اذ أسبغتماهما على
أمى ! يا لضعة الروح ، ويا لكرم الطبيعـة !
ما أفدح الثمن اذ يدفع المرء حياته لقاء الميلاد !
سأصعد الى أعلى قمم الجبال ، وأرى مرة أخرى
مشرق الشمس ، وأحدق فى الأرض الموعـودة
حتى تكل عيناى . وبعدها فليتراكم الثلج على
جسدى وليكتب الناس على قبرى : « ها هنا لم
يدفن أحد » . ثم ليكن ما يكون .

رواد الكنيسة : (يغنون فى الممر) .

يا صباحا أزهى من كل صباح ،
فيه خرجت سهام مملكة الله
لتضرب الأرض بسيوف مشتعلة !
الآن يصعد من الأرض .
نشيد عباد الله ، متجها صوب
سمائه على السنه أهل مملكته .

(ينكمش بير جينت رعبا) .

پــير : لا ، لا تنظر هناك ، انها أرض خلاء من أسف !
فقد مت قبل موتى بوقت طويل .

(يحاول أن يزحف الى الشجيرات ، ولكنه
ينتهى الى مفترق الطرق) .

صانع الأزرار : طاب صباحك ، يا بيرجينت ! أين قائمة خطاياك !

پــير : بحثت فى كل مكان .

صانع الأزرار : ولم تجد احدا . ؟

پــير : مجرد مصور شمسى جوال .

صانع الأزرار : اذا فقد جاء اجلك.

پــير : قد انتهى كل شىء . اتسمع هذه البومه تصوت ؟
لا ريب انها احست بقرب طلوع الفجر .

صانع الأزرار : انه جرس الكنيسة يدق لصلاة الصبح .

پــير : (مشيرا) ما هذا الضوء هناك ؟

صانع الأزرار : كوخ .

پــير : اسمع صوتا يشبهه صوت الريح تضرب الاشجار.

صانع الأزرار : امرأة تغنى .

پــير : هناك . هناك اجد قائمة خطاياى .

(يمسك به صانع الأزرار) .

صانع الأزرار : آن الاوان كى ترتب بيتك .

(قد خرجا الآن من الأجمـــة ووقفا قرب الكوخ . طلع الفجر) .

بـــير : **ارتب بيتى ؟ انه هناك ! خـــل عنى ! لو ان مغرفتك كانت فى حجم التابوت ، لظلت مع هذا أصغر من أن تحتوينى وخطاياى .**

صانع الأزرار : اذن فالى المفترق الثالث ، يا بيرجنيت ، ولكن هنالك — !

(يستدير ويذهب) .

بـــير : (مقتربا من الكوخ .)

الى الامام او الى الوراء ، نفس المسافة . بالداخل او بالخارج المرضيق . (يتوقف) لا ! انا اسمعها — صرخة فطرية لا تنتهى ، تدعونى الى الدخول ، الى العودة من حيث أتيت ، العودة الى البيت .

(يتقدم خطوات ثم يتوقف ثانية) .

« فى طريق دائرى » ، قال لى البويج .

(يسمع الغناء فى الكوخ) .

لا ! لا ! هذه المرة الطريق الى الأمام مهما كان الممر ضيقا !

يجرى الى الكوخ . فى هذه اللحظة تخرج سولفيج فى ملابس تليق بالكنيسة ، وكتاب صلاتها ملفوف فى منديل ، تمسك فى يديها عصا . تقف برهة ، منصبة ، رقيقة . يلقى پير جينت بنفسه فوق العتبة .

أصدرى الآن حكمك على هذا الخاطىء الماثل أمامك .

سولفيج : هو ! هو ! الحمد لله !

(تتلمس طريقها اليه) .

پـــير : اهتفى معلنة ذنوبى وآثامى !

سولفيج : لم تذنب فى شىء ، يا حبى الوحيد .

(تتلمسه مرة اخرى فتجده) .

صانع الأزرار : (خلف الكوخ) . القائمة ، يا بيرجينت !

پـــير : اعلنى ذنوبى بصوت عال !

سولفيج : (تجلس الى جواره) .

لقد جعلت حياتى أغنية جميلة . عليك بركة الله اذ عدت الىّ فى النهاية ! ومبارك ، مبارك صبح هذا العيد !

پـــير : ضعت !

سولفيج : هناك اله يرحم .

پــير : (يضحك) ضعت ! الا اذا حللت اللغز !

سولفيج : اسألنى !

پــير : أسألك ! أجل ، عليك أن تجيبى . أين كان بيرجينت مذ رأيته آخر مرة .

سولفيج : أين كان ؟

پــير : وخاتم المصير على جبينه ، أين كان منذ انبثق أول مرة كأنه فكرة جديدة تولد فى رأس الاله ؟ أتستطيعين أن تجيبى ؟ ان لم تفعلى وجب أن أعود الى وادى الظلال .

سولفيج : (باسمة) لغزك هين .

پــير : اذن قولى ، أين كنت ، أين كانت ذاتى الحقة ، كل ذاتى ، ذاتى الصحيحة ؟ أين كنت ، وخاتم الله على جبينى ؟

سولفيج : كنت فى ايمانى ، فى أملى ، فى حبى .

پــير : (متراجعا فى دهشة) .

ماذا تقولين ؟ تتحدثين بالألغاز . تتحدثين كما تتحدث الأم عن طفلها .

سولفيج : هذا حق ، ولكن من والد الطفل ؟ انه من يعفو حين الأم تدعوه .

پــير : يا أمى ! يا زوجى ! أيتها المرأة المقدسة ! خبئينى خبئينى فى ثنايا حبك !

(يتعلق بها ويخفى وجهه فى حجرها . صمت طويل . تشرق الشمس) .

سولفيج : (تغنى فى رقة) .

نم ، يا حبيبى ، يا أعز حبيب !

سأهزك لتنام وأسهر عليك .

جلس الولد على حجر أمه .

قد لعبا سويا اليوم بطوله .

ليرقد الولد فى حضن أمه .

اليوم بطوله . باركك الله يا حبيبى !

لينم الولد عند قلب أمه ،

اليوم بطوله . هو الآن تعبان .

نم ، يا حبيبى ، يا كنزى ، نم . نم .

صانع الأزرار : (خلف الكوخ) .

سنتقابل عند آخر مفترق ، يا بير ، اذ ذاك ترى ما اذا — لن أزيد .

سولفيج : (لا يزال صوتها يرتفع بالغناء كلما زاد اشراق الشمس) .

سأهزك ، وأسهر الى جوارك .

نم ، واحلم فى سعادة ، يا حبيبى العزيز الأثير !

النهـــاية

روائع المسرح العالمى

صدر منها حتى الآن ٥١ مسرحية

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	الشقيقات الثلاث	أنطون تشيكوف
١	أعمدة المجتمع	هنريك ابسن
٢	سيرانو دى برجراك	ادمون روستان
٤	مروحة ليدى وندرمير	أوسكار وايلد
٥	بنيلوبى	سمرست موم
٦	الغربان	هنرى بك
٧	اليكترا	جان جيرودو
٨	توركاريه	ا ٠ ر ٠ لوساج
٩	الدائرة	سمرست موم
١٠	شاترتون	الفرد ديفينى
١١	الأم	كارل تشابك
١٢	اللعبة القادرة	جون جالزورذى
١٣	لعبة الحب والمصادفة	ماريفو
١٤	ست شخصيات تبحث عن مؤلف	لويجى بيراندللو
١٥	عربة اسمها الرغبة	تنسى وليامز
١٦	عزيزى بروتس	ج ٠ م ٠ بارى
١٧	رجل الله	جابرييل مارسل

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١٨	هيدا جابلر	هنريك ابسن
١٩	سباق المشاعل	بول هارفييه
٢٠	كنوك	جول رومان
٢١	جونو والطاووس	شين اوكاسى
٢٢	دون جوان	موليير
٢٢	بيت برناردا البا	فدريكو غرسيه لوركا
٢٤	القرد الكثيف الشعر	يوجين اونيل
٢٥	مأساة الدكتور فوستس	كريستوفر مارلو
٢٦	الأستاذ كلينوف	كارن برامسون
٢٧	ثورة الموتى	اروين شو
٢٨	ماتعرفه كل امرأة	اوسكار وايلد
١٩	اهمية ان يكون الانسان جادا	چيمس بارى
٢٠	دائرة الطباشير القوقازية	برتولت برشت
٢١	منزل القلوب المحطمة	چورج برنارد شو
٢٢	القيثارة الحديدية	جوزيف اوكونور
٢٢	افكار صبيانية	نويل كوارد
٣٤	زوجة مستر تانكرى الثانية	آرثر وينج بنيرو
٣٥	عندما نبعث نحن الموتى	هنريك ابسن
٣٦	لا وقت للفكاهة	س . ن . بيرمان
٣٧	سيجفريد	چان چيرودو
٣٨	علماء الطبيعة	فريدرش دورنمات
٣٩	رغبة تحت شجر الدردار	يوچين اونيل
٤٠	حورية البحر	هنريك ابسن
٤١	جزاء خدماتهم	سومرست موم

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٤٢	ايولف الصغير	هنريك ابسن
٤٣	بلياس وميليزاند	موريس ماترلنك
٤٤	الاله الكبير براون	يوچين اونيل
٤٥	حاملة المصباح	رجنالد بركلى
٤٦	آل باريت	رودلف بيزييه
٤٧	الزفاف الدامى	فدريكو جرثيا لوركا
٤٨	الخاطبة	ثورنتن ويلدر
٤٩	اعرف نفسك	بول هرفيو
٥٠	الخصى	ترنتيوس افــير
٥١	فترة التوافق	تنيسى وليامز

ملتزم التوزيع فى الداخل والخارج مؤسسة الخانجى بالقاهرة

وتطلب من المكتبة القومية ٥ ميدان عرابى « القاهرة »

ومن مكتبة المثنى ببغداد ودار العلم للملايين ببيروت .

روائع
المسرح العالمى

سلسلة مسرحيات
عالمية

بأقلام الصفوة الممتازة
من المترجمين والمراجعين
مع دراسة عميقة
لاتجاه كل كاتب

يطلب من :
مكتبة الخانجى - القاهرة ، ومكتبة المثنى - بغداد
ودار العلم للملايين - بيروت ، ومكتبة المنار - تونس
ومكتبة الرشاد - الدار البيضاء
ويطلب من : المكتبة القومية ٥ ميدان عرابي بالقاهرة

الثمن ٥ قروش

مطبعة مصر
أغسطس ١٩٦٤